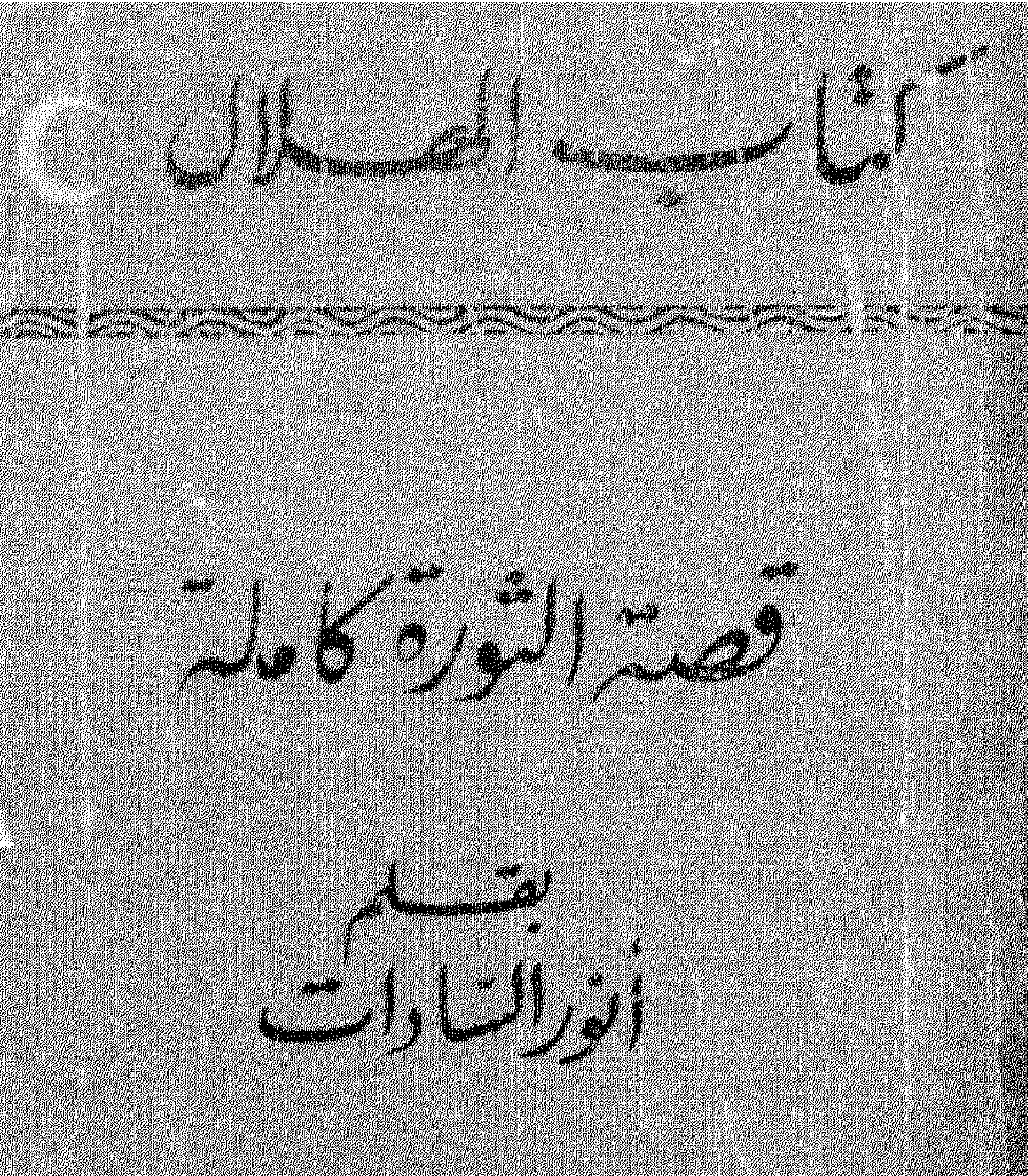


سلسلة شهرية

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحى

العدد ٦٤ ـ ذو القعدة ١٣٧٥ ـ يوليه ١٩٥٦

No. 64 — July 1956

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب
(المبتديان سابقا) القاهرة

المكاتبات

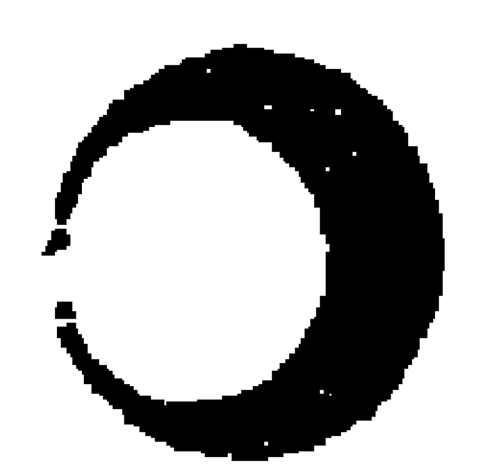
كتاب الهلال ـ بوستة مصر العمومية ـ مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشـــتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ـ مصر والسودان ٨٥ قرشا صاغا ـ سوريا ولبنان ١٠٧٥ قرشا سوريا أو لبنانيا ـ الحجاز والعراق والأردن وليبيا ١١٠ قروش صاغ ـ فى الامريكتين ٥ دولارات ـ فى سائر أنحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغا أو ٩/٣٠ شلنا

كتاب الهلال



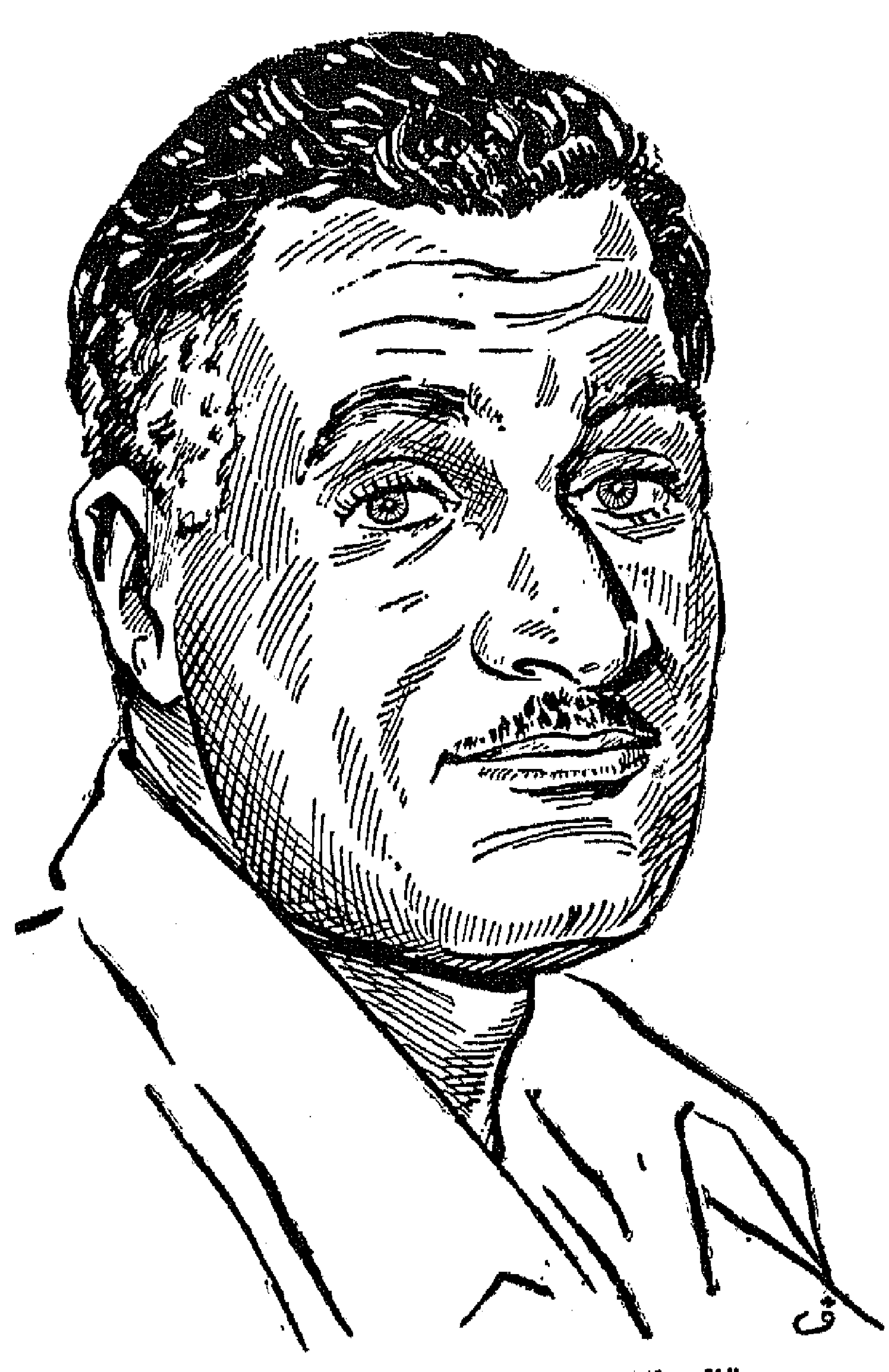
سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

قصة الثورة كاملة

بقلم

أنور السادات

دار الهلال



قائد الثورة الرئيس جمال عبد الناصر

مقدمة

بقلم القائمقام أنور السادات

كنت أكتب ، واروى للشعب قصـــة ثورتنا ، وفى كل مرة كنت اسرد للشعب ــ وليس لغيره ــ حقيقة واحدة ، وهى ان الثورة لم تقم الا من اجل شىء واحد .. من اجل ان يحكم الشعب نفسه بنفسه ..

ورويت للشعب كل الحقائق ... قلت ان الثورة ألغت الاحزاب ، وأسقطت الدستور ، لانها ثورة وليست انقلابا . ثورة تستهدف اقامة نظام ديمقراطى صحيح ، لا نظام مزيف يقوم على الخديعة والتغرير بالشعب ، حتى يتمكن المزيفون والمستغلون والمضللون من نهبه والسيطرة على حياته. نحن لم نكن نريد البطش بالشعب بل بأعدائه .. ومضيت فى حلقات عديدة اروى للناس فى مصر وفى خارج مصر حكايتنا

فرويت قصة العرض الذى تقدم به لنا عم ناريمان يوم أن قام الجيش ليضرب ضربته ، وكان العرض من فاروق الملك السابق .. يطلب منا فيه تأليف الوزارة .. فكان ردنا هو طرد عم ناريمان من مبنى القيادة فى كوبرى القبة

ثم بعد ذلك رويت كيف رفضنا فكرة الحكومة العسكرية

تلك الفكرة التى كان السيد سليمان حافظ يدعونا الى تنفيذها فى كثير من الاحيان

كانت اهدافنا ـ اذن ـ واضحة .. ومحددة واصررنا عليها ولم نتراجع .. وتلك الاهداف كما تحدثت عنها تحت هذا العنوان ، هى اقامة نظام ديمقراطى سليم مستمد من حاجات الشعب ، ونابع من مصالحه .. لا من حاجات الاقطاع والمستغلين والارستقراطية المصرية التى تريد ان تعيش عالة على الناس وجهدهم

وتحدثت فى حلقات هذه القصة التى تراها فى الصفحات الآتية ، عن العقبات التى صادفناها ، وعن المؤامرات .. وعن الذين وقفوا فى الطريق ليعطلوا زحف الثورة المصرية ، وكيف أننا كنا قد قررنا أن يكون الزحف أبيض ، وأن يكون بلا دم .. حتى اذا اعترض الزحف قاطع طريق ، كان حتما اذن ـ أن تضرب الثورة بقبضتها الحديدية . فالمسألة لم تكن تمسنا بل كانت تمس مستقبل ملايين المصريين الذين فى الأغلال

وفى الطريق مضينا .. والتقينا بكثيرين من الاعداء .. الرجعية المتربصة بالبلاد .. الاحزاب التى قامت فى كنف النظام الملكى الاقطاعى وفى حماية قوات الاحتلال ... والتقينا بالخونة والعملاء .. وبالانتهازيين وفلول النظام الذى سقط .. كنا نريد أن ينتهى الزحف الابيض على الأعداء فى ساعة واحدة لا فى ثلاث سنوات

لكن المسألة لم تكن فى يدنا .. فقررنا ان يستمر الزحف مهما كانت العقبات .. فنحن نعرف ما نريد ، لم نكن نريد الا اقامة النظام الديمقراطى .. لا العسكرى كما قال المزيفون

ولقد حددت الثورة موقفها ، ولم يعد أمام الشعب الا أن يستعد ليحكم نفسه بنفسه

ان التاريخ اليوم يسجل الانتصار الاكبر للثورة المصرية

لم يعد امام الشعب الا ان يستعد لمواجهة الانتصار الكبير الحاسم على اعدائه ، بكل رغبته فى العدل والحق والحرية

□

ان آلاف السنين التى مرت بأبناء البلاد ، وهم يجوعون ويمرضون ويمتهنون ، قد كتب عليها ان تصبح منذ الآن تاريخا ، يحفظه الشعب بعد انطلاقه. فلاجوع ولا عرى ولا ضياع فى كنف الحرية ، والشعب اليوم قد حصل عليها !

ان الحكم القومى الذى سيسود لن يجد المزيفون لهم مكانا فى ظله ، والمجتمع سوف يصبح اشتراكيا ، لا تفصل بين طبقاته اسوار عالية رهيبة ، ولا يعلو مواطن على الآخر كأنه اله ينحنى أمامه العبيد

ان الحزبية كانت تصنع هذا كله ... ولم تكن للطوائف الكادحة والعاملة والمنتجة فى نوادى الاحزاب ، الا الوعود ثم الخديعة

اما اليوم .. فالبلاد بلادهم يملكون كل شىء فيها ، بعد أن مهدت امامهم الثورة الطريق ... وازالت منه الصخور والاشواك

كنا نقول دائما للمزيفين : نحن لسنا صناع استبداد ، فعندما حددنا فترة الانتقال كنا نعنى ما نقول ، وكنا قد حددناها ليس من اجل البطش بالشعب ، فتلك ليست

صناعتنا . . . بل اوجدناها للقضاء على الزيف ، على التركة العفنة التى خلفها لنا نظامهم الباطش ، القائم على اعمدة الاستعمار والاقطاع والاستغلال والارستقراطية المتعالية

وكان حتما على الثورة ان تقوض اركان ذلك النظام ، قبل ان تفتح الابواب امام الشعب لينطلق نحو مستقبله كان حتما على الثورة ان تحدد فترة للانتقال . . . يتم خلالها تطهير الارض من الادران ، فيقف الشعب بعد ذلك فوقها آمنا لا تحوطه مؤامرة ، او تتربص به الخديعة

□

ان التاريخ يطوى اليوم صفحاته المليئة بالذل والارهاق والضياع ، يطويها ليفتح صفحات اخرى ، يسجل فيها بدء حياة جديدة لشعب منتصر ، متحرر كريم ، اراد اعداء الانسانية وقف زحفه فهزموا . . . وتشتتوا . . . واجتاحهم الطوفان الكبير !

لا حزبية . .

فالشعب هو الحزب الكبير . .

لا زعامات مصنوعة . .

لا زيف ولا باطل . .

بل مجتمع اشتراكى متحرر وحكم قومى لا يشوبه طغيان قلنا هذا الكلام مرات عديدة . . قلناه تحت هذا العنوان الجليل . . لكن المزيفين كانوا دائما يجدون ما يشوهون به الصيحة الطاهرة المخلصة النابعة من اعماق الشعب

واليوم . . ماذا سيقول المزيفون ، بعد ان اصبحت البلاد ملكا خالصا لابنائها . . لكل الابناء !؟

ماذا سيقول المزيفون والشعب قادم . . والشعب منطلق . . والشعب منتصر !؟

ان الرئيس جمال عبد الناصر قد أطلقها صيحة تنبض بالفرحة والانتصار . . صيحة تحمل الأمل الكبير المضيء للشعب ، والنذير لأعدائه . .

فمن اراد ان يحيا فى كنف الحكم القومى وفى مجتمع اشتراكى لا تفصل بين طبقاته فوارق شاسعة . .

من أراد هذه الحياة التى تمجد الانسان وتخدم ارادته وعمله وكفاحه

من اراد الحرية والعدل والحق . .

من اراد الشرف والعمل الكريم والامن والرخاء . .

من اراد ان يمضى فى طريق لا يعترضه فيه باطش او مستغل او مستبد . .

من اراد ان يصنع مستقبله فى حمى الاشتراكية . .

من اراد ان يرفع راسه بين العباد . .

كل هؤلاء عليهم اليوم ان يصلوا شاكرين للاله القادر العادل رعايته التى حمت الثورة المصرية حتى اتمت زحفها الكبير . . ! !

((انور السادات))



القائمقام أنور السادات

الثورة والديمقراطية

الديمقراطية المظلومة

عاصرت كما عاصر ابناء هذا الشعب تفسيرات مختلفة متباينة لكلمة الديمقراطية طوال ربع قرن مضى ، بل حتى اليوم ..

ففي المــــاضى كان فاروق يطلق على نفســــه الحاكم الديمقراطى ..

ورأينا كيف كان تفسيره لهـــذه الكلمة حين اتضحت الحقائق المخزية فى محاكمات محكمة الثورة . وكيف ان الملايين من ابناء هذا الشعب كانوا لا يجدون القوت الضرورى فى الوقت الذى توافق فيه الحكومات المتتالية ـ من جميع الاحزاب والرجالات والزعماء ـ على انفاق مليون ونصف مليون من الجنيهات على اصلاح وتزويق مركب يسعد فيه فاروق بالسفر والرحلات .. لقد اعتمد هذا المبلغ بوساطة برلمانات الشعب التى كانت تمثل الاغلبية حينا والاقليـــة حينا آخر ..

وبعد ايها القارىء .. اليست هذه البرلمانات وذلك اللون من الحكم هو الديمقراطية ؟..

□

وكان فاروق الحاكم الديمقراطى يحكم هذه البلاد من اقصاها الى اقصاها بوساطة خادمه الامين .. ولذلك رأينا حكامنا الافاضل يحنون الجباه لهذا الخادم ، بل ان واحدا من اولئك الرجال ــ وهو مصطفى النحاس ، الذى كانت

البلاد تأمل ان يكون على يديه الخلاص فى يوم من الآيام ـ لم يتورع عن ان يؤكد ولاءه لفاروق الحاكم الديمقراطى ـ فى نظره ـ بطريقة فذة فى ذاتها حين طلب أن يقبل يده وهو زعيم الاغلبية فى ذلك الوقت ، والذى اسفرت الانتخابات عن فوزه على خصومه فوزا ساحقا .. ثم اتبعها بما لا يخرج عن الكفر حين توجه ببصره وقلبه فى رمضان الى كابرى ، حيث يلهو فاروق ، وطلب من المصريين ان يتوجهوا الى هذه القبلة الماجنة فى خشوع وولاء ..

أليست هذه تفسيرات للديمقراطية .. عاصرناها جميعا وانتهت بهذه البلاد الى الدرك الذى كاد يودى بكل شيء فى هذه البلاد لولا قيام هذه الثورة ..؟

وفى الماضى القريب ، بل القريب جدا ، سمعت وسمع معى الشعب بأكمله وسمعت شعوب كثيرة ، اقول سمعنا تفسيرا جديدا لهذه الكلمة المظلومة فى محاكمات محكمة الشعب على لسان اقطاب جماعة الاخوان المنحلة ..

□

فقد قاموا يدبرون انقلابا داميا مسلحا بالقتل والنسف والخطف ، وحين اراد احدهم ان يبرر هذا العمل قال انه فى سبيل اقامة الديمقراطية !.. ديمقراطية من نوع جديد يسيطر فيها جهاز سرى على رقاب العباد من ابناء البلاد ـ تماما كما يسيطر على أفراد الحزب لصالح رجل واحد ـ هو المرشد العام المقدس ..

وكان ابرع تفسير لهذه الكلمة هو ما لجأ اليه محمد نجيب حين اراد ان يبرر سبب قبول مجلس الثورة لاستقالته فى فبراير ١٩٥٤ ، فراح يؤكد انه كان ينادى بالديمقراطية ومجلس الثورة بأكمله لا يريد الديمقراطية !!.

والعجيب ان هذا التفسير انطلى على كثيرين واصبح نجيب فى نظرهم بطل الديمقراطية العظيم ..

وانى لاذكر جيدا كيف انه بعد ان عاد نجيب فى فبراير ١٩٥٤ ، وكنا قد بلونا طريقته فى ان يجلس بيننا فى مجلس الثورة فيقر ما نقر ثم يخرج فيشيع فى كل مكان انه لم يوافق على كذا وعارض فى كيت ، بحيث اخرج الاخوان وقتها اسطورة الاب الشفوق الرحيم . واظن قرائى يذكرون مقالتى التى نشرتها فى حينها وتحدثت فيها عن نجيب يوم ان صدر قرار محكمة الثورة بسجن فؤاد سراج الدين ، فذهب اليه اخوته قبل التصديق على هذا الحكم بوساطة مجلس الثورة فما كان منه الا ان بكى معهم وقال : ان قرار المحكمة ظالم وان سراج الدين بطل من ابطال الوطنية . ثم جاء الى مجلس الثورة وكانت امضاؤه على التصديق اول امضاء تجدونه محفوظا لدى المحكمة الى يومنا هذا ..

□

اقول كنا قد بلونا طريقة نجيب هذه فلم نعقد اجتماعات مجلس الثورة بعد عودته ، كما كنا نعقدها فى الماضى وحدنا ، وانما جعلناها اجتماعات للمؤتمر المشترك لكى يجلس معنا الوزراء جميعا . فقد كانت الاحداث فى ذلك الوقت تمس السياسة العامة التى هى من اختصاص المؤتمر المشترك

واذكر جيدا تلك الجلسات المتتابعة التى عقدناها فى دار البرلمان ومعنا جميع الوزراء وكانت اولاها يوم ان جاء سليمان حافظ الى جمال عبد الناصر بما سماه طلبات محمد نجيب . وقد كانت تتلخص فيما يلى :

١ ــ حق الفيتو على قرارات مجلس الثورة مع اعطائه الحق فى حضور جلساته

٢ ــ حق الفيتو على قرارات مجلس الوزراء مع اعطائه الحق فى حضور جلساته

٣ ـ حق تعيين قواد الوحدات فى الجيش ابتداء من قائد كتيبة وما يماثلها من باقى الوحدات

٤ ـ جميع تنقلات الضباط وانتداباتهم تكون بواسطته

٥ ـ على الجيش ان يحلف يمين الولاء لشخصه وان يوقع الضباط ومجلس الثورة على وثيقة بهذا القسم

٦ ـ ان لا يرشح مجلس الثورة عند عودة الحياة البرلمانية للبلاد أحدا لرئاسة الجمهورية غيره ، وان يضمن له كرسى رئيس الجمهورية

وجلسنا فى دار البرلمان على هيئة مؤتمر مشترك ولم يحضر محمد نجيب وعرض سليمان حافظ هذه الطلبات على المجتمعين ، وتكلمنا امام الوزراء فى ان هذه الطلبات تعنى فرض ديكتاتورية تهون امامها ديكتاتورية فاروق الحاكم الديمقراطى ، واننا لم نقم بهذه الثورة لكى ينتهى الامر بالبلاد الى دكتاتورية محمد نجيب او اى شخص خلاف محمد نجيب

وتكلم الوزراء مستنكرين هذا الوضع وطلبوا ان يحضر محمد نجيب لكى تناقش هذه الامور معه . فقام سليمان حافظ الى التليفون واتصل بمحمد نجيب وابلغه رغبة المجلس فى ان يحضر وفعلا حضر

وبدات المناقشة من جديد بحضور محمد نجيب

وتكلم جمال عبد الناصر وابدى وجهة النظر هذه فيما يختص بالديكتاتورية التى يريد نجيب فرضها واستحالة الموافقة عليها . وانهى كلامه بأن هناك احد حلين لا ثالث لهما:

الاول : ان يعود محمد نجيب الى رئاسة مجلس الثورة وتسير الامور كما كانت على شرط ان تنتفى الاسباب التى من اجلها قبل المجلس استقالة محمد نجيب فى فبراير والتى تتلخص فى طلباته التى حملها لسليمان حافظ

الثانى : اذا لم يقبل ذلك محمد نجيب فالمجلس لا يقبل

بتاتا هذه الديكتاتورية ويكون الاصوب بدلا من آن نختلف ان تجرى انتخابات فورا وان تسلم البلاد الى الحزب الذى يفوز فى الانتخابات بصرف النظر عن ماهية ذلك الحزب . ولكننا لن نقيم بأيدينا ديكتاتورية بعد ان حطمناها

وهنا يجب ان اقف قليلا ..

فقد رفض محمد نجيب ان يعود اول الامر الى رئاسة مجلس قيادة الثورة بحجة ان هذا المجلس مكروه . ورفض ايضا ان يتنازل عن طلباته التى ارسلها مع رسوله سليمان حافظ ..

ب

اما فيما يختص بالحل الثانى ، فقد طلب ان يناقشه قبل ان يبدى رأيه فيه

ولما طلب تفصيلات عن هذا الحل قال جمال عبد الناصر : ان هذا الحل يعنى اننا يجب ان نعلن اليوم انهاء الاحكام العرفية واباحة تشكيل الاحزاب وترك كل شىء كما كان قبل الثورة لكى تجرى الانتخابات ويتسلم الحزب الذى يفوز زمام الحكم

وهنا استفسر نجيب عن وضعه فى هذا الحل فقال له جمال : سيكون كوضعنا تماما ، فسوف نعتزل الحكم ، ومن يريد أن يدخل الحياة السياسية فى البلاد فليدخل وكل واحد حر

وهنا ظهرت براعة نجيب كبطل من ابطال الديمقراطية

فقد رفض ان يوافق على هذا الحل . وطلب مناقشة حل فرعى آخر هو أن يحتفظ برئاسة الجمهورية وان يشكل وزارة مدنية برئاسته ايضا الى جانب رئاسة الجمهورية ويبقى مجلس الثورة ولكن بشروطه التى طلبها وهو ان يكون له حق الفيتو على قراراته

كان نجيب يطلب هذا فى نفس الوقت الذى كان يشيع فى كل مكان داخل القطر وخارجه ان موضوع الخلاف بينه وبين مجلس الثورة هو الديمقراطية .. وملأت تصريحاته فى هذا الشأن الصحافة فى كل مكان

وهاذا تفسير جديد للديمقراطية ..

فكل ما كان يعنى نجيب هو ان يحتفظ برئاسةالجمهورية ورئاسة الوزارة معا الى يوم القيامة حتى ولو كلفه هـذا ان ينادى امام الشعب بالديمقراطية والجمعية الاستشارية لكى يصبح فى نظرهم بطلا من ابطال الديمقراطية فى سبيل الوصول الى اغراضه ..

□

هذه الوان من التفسيرات لكلمة الديمقراطية المظلومة فى بلدنا الطيب ..

ترى ما هو التفسير الذى تريده الثورة لهذه الكلمة ؟..

وهل هذه الثورة تريد الديمقراطية ام تريد الديكتاتورية؟

وهل حكومة الثورة فى يومنا هذا حكومة ديمقراطية ام هى حكومة ديكتاتورية ام هى نوع من الحكم خلاف كل هذا؟



الثورة ديموقراطية أم ديكتاتورية

حديث الديموقراطية طويل ، وهو حديث الناس جميعا اليوم بلا جدال . ولكن كانت هناك اشاعات تستهدف اثبات امر معين ، وهو ان الديموقراطية لها اعداء فى مصر ، وان مجلس قيادة الثورة هو عدوها الأوحد . . !

الناس جميعا يطلبون الحرية ، ونحن فقط الذين ننفر منها ونبغضها ولا نؤمن بها !

جمال عبد الناصر وكل واحد من اعضاء المجلس ليس الا ديكتاتورا تتلمذ على الفاشيين ويريد ان يحـــكم بالكلمة المجردة !!

أليس هذا هو ما يريده تجار الاشاعات ؟

وياله من موقف تاريخى عجيب !

ان الحريات وكل مقومات الديموقراطية قد ضاعت من شعب مصر .. اغتصبها منه جمال عبد الناصر ورفاق جمال عبد الناصر !

كان الشعب حرا فاستعبد . .

كان الشعب فى مصر يستمتع بكل حقوق البشر منذ آلاف السنين وجاء جمال عبد الناصر ورفاقه يوم ٢٣ يوليو المشهود من عام ١٩٥٢ ، وفى ذلك اليوم من العام المذكور تم تجريد الشعب المصرى من حقوقه كلها التى كان يستمتع بها فسلب منه رغد العيش واستقرار الحال !!

كانت فى مصر قبل ٢٣ يوليو ديموقراطية يعيش الشعب فى كنفها سعيدا حرا ، ويباشر فى ظلها سلطاتها المقدسة ، ويجد الملايين من ابنائه فرصا متساوية ، وكانوا جميعـا

ينعمون فى ديارهم بتلك الديموقراطية ثم جاء ٢٣ يوليو فكان مشئوما ، فقد فيه الشعب كل شيء !!

جاع وتعرى واضطهد وعذب ولم تعد له حقوق .. لان الديموقراطية ذهبت ، وجاءت الديكتاتورية .. جاء الطغيان والاستبداد .. والحكم المطلق !

اليس هذا هو ما يريده تجار الاشاعات من تصـــوير للموقف ؟

وهو موقف تاريخى عجيب كما قلت ..

لكن لماذا نظلم التاريخ ، والخصوم هم الذين يقولون هذا الكلام ؟ وسوف يقولون اكثر منه طالما ان الذين يحكمون البلاد الآن لا يبيحون لهم ما كان يبيحه لهم النظام الذى سقط

نحن اذن اعداء للديموقراطية ، كما هو واضح من كلام هؤلاء ، ومعنى هذا ان الشعب فى مصر لن يحكم حكما ديموقراطيا فاذا رفض فهو يناصب الديموقراطية العداء ، ويريد ان يبطش بالشعب

وجميل جدا ان يطالب اناس فى بلد ما حكومة هذا البلد بالحريات والديموقراطية ، فهى حقوق مشروعة ، يكافح الانسان من اجلها ، ويبذل دمه فى سبيل الحصول عليها

لكن ما رايكم يا طلاب الديموقراطية فى مصر .. ويا ابطال الكفاح الشعبى ويا من تلطمون خدودكم حسرة على الشعب المصرى الذى جرده جمال عبد الناصر ورفاقه من كل الحقوق يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، اقول ما رايكم دام فضلكم فى ان الحكومة القائمة الآن فى البلاد ليست حكومة بالمعنى المتعارف عليه .. بل هى ثورة !

ومطالبة هذه الحكومة بالحريات والانتخابات والدستور وكل الحقوق معناه ان قيادة الثـــورة ليس لها وجـــود لانها ــ اى القيادة ــ من المحتم عليها ان تحقق ــ هى ــ للشعب مطالبه بأسلوبها الذى بدأت به عملها التاريخى .

لانها ثورة كما قلت وليست حكومة !

ثورة لانها لم تستدع ليتولى قادتها الحكم بناء على امر من « ولى الامر » كما كان يقضى نظام الحكم الذى كان قائما!
بل تولت ـ هى ـ الحكم لتقلب ذلك النظام وتغيره .. وقد فعلت !!

ليس جمال عبد الناصر ورفاقه اعضاء حزب من الاحزاب يحكمون مصر فيطالبهم البعض بكذا وكذا .. لا
ان جمال عبد الناصر ورفاقه ليسوا حكاما .. بل قادة لثورة .. والفرق كبير بين الثوار والحكام !!

والثورة لها اهداف حققت بعضها .. وباقى الاهداف سيتحقق قطعا على مر الايام ، طالما ان الثوار يتولون زمام الامور ، ولا اقول الحكم .. بل انى اعلنها اكثر صراحة ان جمال عبد الناصر ورفاقه يمكن ان يقبلوا اى شىء ما عدا شيئا واحدا .. وذلك الشىء هو انهاء الثورة .. قبل ان تحقق كل اهدافها !

ولا اريد ان اكرر واعيد فاتحدث عن اهداف الثورة .. فقد تحدثنا عنها كثيرا جدا .. فلم تعد خافية على احد !

ومن بين تلك الاهداف .. بل هدف الثورة الاخير واملها الضخم هو ارساء اسس النظام الديموقراطى الذى يجعل الشعب يحكم نفسه بنفسه

واذن ما هو التفسير الذى تريده الثورة لكلمة الديموقراطية ؟

واقول : ان الثورة تفسر الديموقراطية باعمالها وبخطواتها التى تتم فى العلن

الثورة تفسر الديموقراطية بالكفاح العملى من اجلها

فهى عندما تقضى على النظام الملكى العفن ، وترسى قواعد النظام الجمهورى فتلك خطوة نحو الديموقراطية كان الشعب حتما سيخطوها لو لم تقم الثورة فى ٢٣ يوليو .. وكان سيخوض معركة دموية حتى يتهاوى ذلك النظام العفن ، ولكن جمال عبد الناصر ورفاقه جنبوا تلك الدماء ..

باعتمادهم على الجيش فى هدم ذلك النظام .. سلميا .. او بالقوة ان كان الامر استدعى قوة !

والثورة تفسر الديموقراطية بالقضاء على الاستعمار .. ففى تحطيمه خطوة كبرى نحوالديموقراطية يخطوهاالشعب وقد كان الشعب سيخطوها حتمـا ذات يوم ... وكان سيضحى بالآلاف من ابنائه فى ساحة المعركة المجيدة لو كانت قد نشبت .. لكن جمال عبد الناصر ورفاقه وفروا على الشعب ارواح شبابه واطفاله ونسائه وشيوخه .. وتم جلاء القوات المحتلة ــ سلميا ــ تماما مثلما تم جلاء فاروق بنفس الطريقة

بنفس الاسلوب الجديد الذى لم يسبق لثورة ما فى اى مكان من العالم ان اتبعته فى نضالها .. اذ ان ثورة مصر ظهرت قيادتها بين صفوف القوات المسلحة .. وضمنت وقوف تلك القوات وراءها .. والشعب ايضا وقف معها !

والثورة تفسر الديموقراطية بالقضاء على الاستغلال والظلم الاجتماعى

والاقطاع كان يمثل فى مصر هذا الاستغلال والظلم .. وقضت عليه ــ سلميا ــ بلا دم ، كان سيسيل فى القرى اذا كان الشعب قد خاض معركة مباشرة ضد الاقطاع فى عقر داره !

والثورة تفسر الديموقراطيةبالوقوفى وجهالارستقراطية المصرية التى كانت تحكم بأبنائها من الباشوات والبكوات والاساتذة السماسرة .. وحالت الثورة ــ نهائيا ــ بين هؤلاء وبين الشعب ! والثورة تفسر الديموقراطية بالقضـاء على التعصب وحكم السمع والطاعة .. اى على الجماعات التى تريد ان تحكم باسم الدين .. لا باسم اى شىء آخر

وقد حدث .. وتمتالخطوةالكبرىفى سبيلالديموقراطية

تلك خطوات الثورة التى فسرت بها الديموقرطية

فما هو تفسير خصوم هذا النظام للديموقراطية !؟

لسنا شيوعيين

تحدثت عن تفسير « الثورة » للديمقراطية ، وأوضحت مدى فهم مجلس قيادة الثورة لمسألة حكم الشعب

وقلت ان جمال عبد الناصر ورفاقه ليسوا حزبا من الاحزاب التى تولت ـ أخيرا ـ الحكم ، ثم أصبح لزاما عليهم أن يخضعوا لنفس المؤثرات والعوامل والقيم التى كانت تسيطر على حكومات ماقبل ٢٣ يوليو

قلت ان جمال عبد الناصر ورفاقه ثوار وليسوا حكاما

اى أن جمال عبدالناصر ورفاقه ـ مادام هذا وضعهم ـ يصبح من المحال مطالبتهم بشىء معين له علاقة بالاوضاع التى يجب أن تسود البلاد

ولا أعنى انه ليس من حق أحد أن يطالبهم بشىء معين ـ لا ـ بل اعنى أن مجلس قيادة الثورة الذى تولى حكم البلاد بعد أن قام بقلب نظام الحكم يجد نفسه أمام أمر واقع لا مفر منه ، وهو الاستمرار فى قيادة « الثورة » التى قامت فى هذه البقعة من العالم يوم أن سقط النظام الملكى والمضى حتى النهاية فى عملية « قلب نظام الحكم القديم » واقتلاع جذوره من أرض البلاد ، مسألة أصبحت ضرورة تاريخية لايمكن الخلاص منها . لا بمنشور يحوى سبابا فى الثورة ، ولا بجهاز سرى يضم مجموعة من المشعوذين

وسأناقش هنا بهدوء تام ، وبصراحة تامة أيضا مسألة عودة الحياة النيابية والدستور والحريات . . الخ

سأناقش موضوع الديمقراطية التى يزعم أبناء العهد

الماضي وخدامه أن جمال عبد الناصرورفاقه اغتصبوها من الشعب المصرى يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ..

ولعل هـــذا التعريف يعجب بعض النـــاس الذين يتهموننا بالفاشية ..

وأعود من حيث بدأت ، فأقول أننا لسنا شيوعيين ، بل لم نعرف ما هى معتقدات أتباع ماركس ولينين وستالين بالتحديد .. وبالرغم من هذا فاني انقل هنـــا كلاما قاله أحد القادة الشيوعيين ، وذلك القـــائد يتزعم بلادا تزيد مساحتها على مساحة أوروبا مجتمعة .. أعنى الصـــين عملاق آسيا الجبار ..

وفى الصين قامت ثورة .. فكيف نجحت ؟!..

هـــل لان الذين قادوها من أتبـــاع ماركس ولينين وستالين ، أم لأنهم كانوا صينيين أولا وآخرا ؟

الرأى الاخير هو الصحيح .. بدليل ان ماوتسى تونج نفسه عندما أراد أن ينادى بمبادىء معينة لم يجد سوى مبادىء الزعيم الوطنى الصينى الـكبير صن يات صن .. ولم يحدث أبدا فى الصين خلال قيام الثورة أن وقف فرد أو جماعة فى وجه قادة الثورة هناك ، وطالبوهم ببرلمـان أو بدستور أو بحريات

كانت كل الجماهير تتجه أولا وآخرا الى اقتلاع جذور النظام القديم الذى حكمت به الصـــين آلاف السنين ، ثم بعد ذلك يمكن أن يقام النظام الذى يتفق ومصالح الجماهير الشعبية

قال ماوتسى تونج ، وهو يوضـــح موقفه أمام الشعب الصينى :

« ان المجتمع الصينى الحالى مازال مستعمرا وشـبه مستعمر وشبه اقطاعى ، وان الاعداء الاساســيين للثورة الصينية هم القوى الاستعمارية وشبه الاقطاعية . وبما أن واجبات الثورة الصينية هى أن تحقق الثورة الوطنيـــة

والثورة الديمقراطية للقضاء على هذين العدوين ، وبما أن القوى اللازمة لهذا العمل تلقى أحيانا مساعدة البورجوازية الوطنية وجزء من البورجوازية الكبيرة ... ومع أن البورجوازية الكبيرة قد خانت الثورة وأصبحت عدوتها ، الا أن الثورة يجب ألا توجه ضد الراسمالية على العموم أو ضد الملكية الرأسمالية ، وانما ضد الاستعمار والاحتكار الاقطاعى ، ونتيجة لهذا نجد أن طبيعة الثورة الصينية فى الوقت الحالى ليست الاشتراكية البروليتارية ، وانما الديمقراطية البورجوازية . وهذا الطراز الجديد من الثورة يتحقق فى الصين ، وفى جميع البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة ، ويجب على الصين أولا أن تحقق هذه الثورة وليس غيرها ، واذا لم نصل الى تحطيم الافكار الرجعية فلا يوجد أمل فى الانتصار . واذا وضعنا فى اعتبارنا الموقف الوطنى والدولى ، ومهما كانت الصعوبات التى تقابلها فى طريق المقاومة ، فان الشعب الصينى سيصل نهائيا الى النصر ..

ان وحشية القوى المظلمة فى الداخل والخارج قد سببت بؤس الشعب الصينى لكن ذلك البؤس اذا كان يمثل القوة الباقية للظالمين فهو يمثل ايضا اجرامهم الاخير ، ففى نفس الوقت يقترب انتصار الجماهير شيئا فشيئا ، تلك هى الحالة فى الشرق .. تلك هى الحالة فى العالم »

انتهى كلام ماوتسى تونج ..

وأود أن يقرأ الشيوعيون فى مصر هذا الكلام ، فهم من بين الذين يتهموننا بالفاشية ...

وثورة الصين قامت بالدم ... خاض الشعب الصينى معارك هائلة طاحنة رهيبة ومات مئات الالوف من شبابه وشيوخه ونسائه وأطفاله

كانت الدماء فى الصين تجرى كالانهار فى السهول وفى القرى وحول المدن ..

وكان لابد أن يحدث هذا لـكى تمضى الثورةالصينية فى طريقها المعلوم .. لان القوات المسلحة فى الصــين لم تقم بالثورة .. فقيادة الثورة كانت خارج صفوف تلك القوات

أما فى مصر فقد حدثت الثورة بأسلوب جديد .. وتولت قيادتها مجموعة من ضباط الجيش .. فحقنت الدماء .. ولم تتعرض مصر للخراب والنسف والموت

▭

ومضت الثورة فى طريقهـــا المعلوم بلا دم .. وتولى جمال عبد الناصر رئاسة الحكومة لا باعتباره رئيسا لحزب مصرى معين أو باعتباره رجلا من رجالات السياسة ... بل باعتباره قائدا للثورة المصرية التى قامت فعلا فى البلاد وبدأت تعمل فى العلن لا فى السر كما حدث فى الصين .. ومن أجل هذا يخطىء الذين يطالبون جمال عبد الناصر ورفاقه بانتخابات أو بأى شىء .. فجمال ورفاقه يمثلون الثورة المصرية وليس الحكومة المصرية .. والوضع مختلف بين الثورة المصرية والثورة الصينية ..

ولـكن الخلاف هنا فى أسلوب الثورة .. وفى قيادتها .. ففى الصين كانت الثورة دموية مسلحة ضد جميع القوى الاستعمارية والاقطاعية والرجعية ، وفى مصر كانت الثورة « سلمية » بيضاء .. لانها كانت مؤيدة بوقوف القوات المصرية المسلحة معها .. فاذا قررت الثورة المصرية تحقيق هدف من أهدافها حددته فى الحال ، وعملت من أجله .. فاذا لم يتحقق الهدف سلميا ، كانت القوات المسلحة فى حل من استعمال القوة بتأييد من الشعب !!

وهكذا مضت الثورة المصرية فى طريقها المحتوم .. فاذا وقف فى طريقها فرد أو جماعة وطالبوها ــ باعتبـــارها حكومة ــ بشىء ما .. كان الوضع غريبا وشاذا ويستحيل قبوله أو التسليم به .. لان قيادة الثورة هى التى تحدد

ما تراه متفقا مع مصالح الشعب لا مصالح اعدائه !!

والنتطور ـ مثلا ـ تشانج كاى شيك يقف أثناء قيام الثورة الصينية ويطالب ماوتسى تونج بانتخابات وببرلمان وبحريات الخ ..

فبماذا كان سيفسر طلبه ؟!.

هل يفسر بأنه موقف وطنى من تشانج كاى شيك ضد قوى الفاشية والديكتاتورية .. أم يفسر بأنه محاولة من تشانج كاى شيك لتعطيل الثورة الصينية ثم القضاء عليها بعد ذلك ؟!.

وبالرغم من أننا لسنا شيوعيين ، فالموقف واحد فى الحالتين ، موقف مجلس قيادة الثورة من رجال السياسة والسماسرة والرجعيين فى البلاد ، الذين يريدون تصفية الثورة المصرية باجراء انتخابات فى الحال ، وبدستور فى الحال ، وبحريات فى الحال .. لكى يعودوا الى اماكنهم

وتلك الاماكن ابعدتهم « الثورة » عنها .. فكيف اذن تعيدهم مرة ثانية .!؟

كيف تعيد الثورة الأوضاع القديمة ، والثورة لم تقم ولم يتعرض رجالها للموت الا من أجل القضاء على تلك الاوضاع .!؟

وقد اوضحت فى الفصل السابق موقف الثورة من الديموقراطية ، فقلت ان الثورة تفسر الديموقراطية بأعمالها. تفسرها بالقضاءعلىالحكام الأغراب عنهذا الشعب والأرستقراطية المصرية الممثلة فى الباشاوات والبكوات والاساتذة السماسرة وتفسرها باقامةأسس صحيحة لنظام جمهورىسليم ، وتفسرها بالقضاء على العصابات الفاشية مثل جماعة الاخوان المسلمين ، وتفسرها برفع مستوى الفلاحين المصريين وهم الذين قامت الثورة من أجلهم بالتحديد .. لأنهم أغلبية الشعب !

ثم أخيرا تفسرها باعداد المدة لتصنيع البلاد وهى بلاد زراعية ..

وحتى تنتهى الثورة من تفسيراتهـــا « العمليـــة » للديموقراطية ستقرر فى الحال ان يحكم الشعب نفســـه بنفسه .. لا بالهضيبى ولا بالبدراوى ولا بالنحاس ولا بسراج الدين .. ولا بأى فرد أو جماعة من تراث الماضى .. تراث ما قبل ٢٣ يوليو !!

هذا هو تفسير الثورة للديموقراطية ..

اما ما هو تفسير الذين يتهموننا بالفاشية للديموقراطية فهو فى جملة واحدة : العودة الى الحـكم !!

تلك هى الديموقراطية فى رأيهم .. العودة الى الحكم أو يظل جمال عبد الناصر ورفاقه تلامذة للفاشيين !!

فكيف اذن يظهر جمال عبد الناصر ورفاقه أمام الشعب والعالم بمظهر الفاشيين ، وفى نفس الوقت يعمل جمـــال ورفاقه على تحطيم أسس الحكم المطلق ..! ؟

حكم القصر والبدراوى وسراج الدين والمشعوذين حفظة سورة آل عمران ! ؟..

كيف أصبح الثـوار طغاة .. والطغاة أبطـالا للحرية والديموقراطية ! ؟..

كيف أصبح مجلس قيادة الثورة الذى عصف بالظالمين فاشيا يستمد أفكاره من هتلر وموسولينى وكل الطغـــاة وأصبح محمود أبو الفتح تاجر الرأى والسيارات بطلا شعبيا تماما مثلما أصبح حسن الهضيبى ! ؟

هذا هو موضوع الفصل التالى

الثورة والرجعية

كيف أصبح الثوار أعداء الظلم والاستبداد ديكتاتوريين طغـــاة واصـــبح تجـار الرأى والدين والوطنية ابطالا للديمقراطية !؟

كيف حدث هذا ؟

كيف تقلب الاوضاع هكذا !؟

وأين كان هؤلاء الابطال قبل ٢٣ يوليو ؟!

لمـــاذا لم يقودوا الجماهير فى ثورة تهـدم صرح الظلم والطغيـان ؟!

أين كان محمود ابو الفتح وحسن الهضيبى وسراج الدين والنحاس وكل القطيع السياسى الذى أصبح بعد ٢٣ يوليو رمزا للديموقراطية والحرية والوطنية والعدالة الاجتماعية؟

أين كان الذين ينادون اليوم بالديموقراطية والحرية يوم كان يحكم البلاد ديكتاتور اسمه فاروق ؟!

لماذا لم يفعل محمود ابو الفتح مثلما يفعل الآن فى ربوع اوروبا .. لماذا لم يقم الدنيا ويقعدها وينـادى بتخليص البلاد من قبضة الحكام الطغـــاة والاقطاع والبـــاشوات والسماسرة ؟!

ولماذا لم يعد حسن الهضيبى جهازا سريا مسلحا ينسف به قصر عابدين ورئاسة مجلس الوزراء حيث كان يربض أعداء الشعب الحقيقيون وجلادوه !؟

لمـاذا لم يترك سراج الدين ســيجاره الضخم لحظة ، ليصرخ فى الناس ان قوموا لتحرروا مصر من هذا الاخطبوط

الرهيب الذى يبطش بمصائركم ؟!
ولماذا .. ولماذا .؟!
لاتوجد الا اجابة واحدة على كل هذه الاسئلة ..وهى أن حكم اسرة محمد على والباشوات والسماسرة كان هو الحكم الديمقراطى الدستورى المجيد الذى يرضى عنه كل هؤلاء الساسة واذنابهم واعوانهم وخدامهم ..
اما اليوم فهم فى محنة .. ويريدون أن يشترك الشعب معهم فى تقويض صرح الثورة التى قلبت نظام حكمهم ، وبطشت بمستقبلهم ، وأبعدت قبضتهم الدنسة عن رقاب ذلك الشعب !
واليوم هم أبطال الديمقراطية ، ونحن أعداء لها !
فكيف حدث هذا ؟!.
مرة أخرى أقول انى سأناقش المسألة بهدوء تام وبصراحة تامة ، وسأحاول ضبط أعصابى وانا اسجل الحقائق .. وهى حقائق كان من المفروض أن يعرفها الشعب فلا يكون فى حاجة الى من يذكره بها .. لكن الظروف كانت تحتم علينا نحن الذين ظهرنا فجأة على المسرح السياسى بلا مقدمات ، أقول حتمت علينا الظروف ان نسكت ونترك أبناء العهد الماضى يسموننا حكومة العسكريين ، لا حكومة الثورة ، ونترك أذناب العهد الماضى يصفوننا بأننا حكام جدد .. ونحن ابعد مانكون عن هذه الصفة ، فليس الذى يغير نظام الحكم هم الساسة والحكام .. بل هو الشعب ، ممثلا فى قيادته التى ظهرت فى ٢٣ يوليو ، وعزلت ملك البلاد ، سيد كل ابطال الديمقراطية وولى نعمتهم ، وصانع مجدهم .!!
سيد حسن الهضيبى الديمقراطى الحر ، وسراج الدين الدستورى العريق ، ومحمود ابو الفتح البطل الشعبى الباسل ..
وكل ربيب للقصر والحكم الذى سقط هو الآن رائد

للحرية وللديمقراطية والدستور .!!
اى لعنة يمكن أن تحل بمصر أكثر من هذه اللعنة .. وأى مصيبة كبرى يمكن أن تطبق على البلاد اذا ماسلمنا ببطولة ذلك القطيع السياسى الديمقراطى وأصغينا الى هذيان افراده .!!
أقول : كيف حدث هـذا ؟ .. كيف قلبت الأوضاع ومسخت الحقائق .!!
اذن اسمعوا ...
مرة أخرى أعود الى الصين ...
الى حيث قامت ثورة وتغير نظام .. واقيم حكم جديد
وأحب أن أقول انني اخترت الصين بالذات ، لان تلك البلاد عندما قامت ثورتها كانت مثل بلادنا .. مستعمرة فيها حكام خونة واقطاع واحتكار .. وذل وحفاة وعراة وجياع ..
وعلى الرغم من ان الذين قاموا بثورة الصين تختلف معتقداتهم عن معتقداتنا ، الا أنهم ـ أى ثوار الصين ـ لم يصنعوا أكثرمما صنعنا .. حتى الآن .. فزعيمهم يقول :
« ان الاصلاح الزراعى هو المحور الرئيسى للثورة الديمقراطية الجديدة للصين »
والاصلاح الزراعى فى الصين قضى على الاقطاع ولم يفعل أكثر مما فعلناه نحن بذلك العدو حليف المستعمر ..
وقد وجد ثوار الصين من يقول لهم انتم طغاة ... أنتم تريدون ديكتاتورية !
كانت ثورة الصين تبطش باعدائها دواما .. وكانت تمضى فى طريقها المليء بالدم والبارود والدمار ولا أحد يستطيع أن يقف فى طريقها .. فالشعب معها ، والشعب شعر انها قامت لتحرره لا لتجعله يؤمن بمعتقدات معينة !
ولو كان الشعب فى مصر قد خاض مع الجيش معركة مسلحة ضد القصر والاقطاع وكل أعداء الشعب لعرف

أهداف الثورة فى الحال ولما وجد من يضلله أو يخدعه ... لكن الوضع فى مصر بالنسبة لقيادة الثورة كان مخالفا لوضع قيادة الثورة فى الصين فكان علينا نحن أعضاء مجلس قيادة الثورة ان نتجاهل مايقال عنا ، وما يشيعه أعداء الشعب عن أهدافنا ... كنا نعتمد على الوقت .. فالايام كفيلة بتوضيح أهدافنا وحقيقة ثورتنا ... لا المعارك !!

▭

وأعود الى الصين فأقول انه بالرغم من المعارك الدموية التى مرت بها الثورة فى الصين الا ان قادتها وجدوا من يقول عنهم انهم طغاة ويريدون ديكتاتورية .. وقال ماوتسى تونج بالحرف الواحد لاعداء الثورة :

« يقال لنا : تقيمون ديكتاتورية .. نعم يا حضرات السادة . انتم على حق فنحن بالفعل نقيم ديكتاتورية ، ان الخبرة التى تكونت للشعب الطينى خلال عشرات السنين ، تبين لنا ضرورة اقامة ديكتاتورية تحرم على الرجعيين حق التعبير عن آرائهم ، فللشعب وحده حق التعبير ، وحق التصويت فمن هو هذا الشعب !؟

فى المرحلة الحالية يتكون الشعب من الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين ، والبورجوازية الصغيرة ، والبورجوازية الوطنية ، وباتحاد هذه الطبقات تكونت حكومة لهم من أجل اقامة ديكتاتورية على خدام الاستعمار ، ومن اجل سحق الاستعمار واعوانه والذين ارتبطوا بمصالحه ، فلا يسمح لهم بالتصرف الا فى داخل حدود معينة ، فاذا تجاوزوا تلك الحدود بالقول أو بالفعل فسيمنعون وسيعاقبون فى الحال ، فلابد من تأسيس النظام الديمقراطى بين الشعب ، فيمنح حرية الكلام والاجتماع والتنظيم ، ولايعطى حق التصويت الا للشعب دون الرجعيين ... فالديمقراطية

للشعب . والديكتاتورية على الرجعيين ... واذا لم نفعل هذا تنهزم الثورة وتقع الكارثة على الشعب ، وتفنى الدولة .. »

هذا ماحدث فى الصين ...

والذى حدث فى مصر بعد ٢٣ يوليو هو ان مجلس قيادة الثورة كان حتما عليه أن يحمى الثورة أو بمعنى أكثر وضوحا يحمى الشعب من الرجعيين .. وكان أول اجراء قام به مجلس قيادة الثورة بعد ٢٣ يوليو هو عزل الحاكم فاروق .. فاذا كان طرد فاروق ديكتاتورية فليكن ... ونحن نفخر بها ..

ثم كان ان قرر مجلس الثورة اسقاط النظام الملكى واقامة النظام الجمهورى ، فاذا كان ذلك ديكتاتورية فما اروع ذلك وما أعظمه وما اتعس الديمقراطية اذا لم تقف الى جانب الذين أسقطوا ذلك النظام ..

واذا كان القضاء على الاقطاع ديكتاتورية فما هى الديمقراطية اذن ؟. قولوا لنا يا فلاسفة هذا العصر ويا حكماء الزمان !

ان الثورة كان لابد أن تمضى فى طريقها ... كان لابد ان تحقق للشعب حاجاته ، لابد أن تقضى على الظلم الاجتماعى والاستغلال والرجعية ، ويستحيل أن تحقق الثورة أهدافها ــ وهى بيضاء وليست دموية ــ الا اذا اخلى الطريق امامها من كل الاعداء ..

فكيف يمكن ابعاد هؤلاء الأعداء من طريق الثورة ؟

هل ببرلمان سراج الدين أو بدستور أحزاب الاقطاع أم بحرية الصحافة .. صحافة أبو الفتح والاحرار الدستوريين وبقية الاذناب !؟

أم بمعركة دموية يباد فيها كل الاعداء كما حدث فى الصين ؟!...

أعداء الثورة

تساءلت فى الفصل السابق عن الطريقة التى كان يمكن بها ابعاد الاعداء عن طريق الثورة !؟

كيف كان يمكن للثورة أن تسقط النظام الملكى وتحدد وضع البدراوى بالنسبة للشعب ، وكيف كان يمكنها أن تجنب البلاد خطر السادة الذين امتصوا دماء الملايين من المصريين !؟

فاذا وقفنا لحظة عند كل هذه الاسئلة عرفنا أن جمال عبد الناصر ورفاقه كان عليهم بعد طرد فاروق أن يبقوا على دستور عام ١٩٢٣ ، وهو دستور وضع على أساس النظام الملكى الاقطاعى

ثم كان علينا أن نجعل البرلمان يجتمع بنـــوابه الذين يمثلون الارستقراطية المصرية ويعملون لحماية مصالحها .. وكان علينا أن نترك الاحزاب كلها بما فيها حزب عبـــد الهادى وحسن الهضيبى ، وحـزب البيوتات الذى يضم ذوى الاصل العريق جدا الاحرار الدستوريين ..

وكان علينا أن نترك الصحافة تقول ما تشاء وتدعو الى ما تشاء .. ثم ماذا بقى بعد ذلك ؟!

بقى أن نعود الى وحداتنا فى الجيش ونترك البلاد لنفس الاشخاص الذين حكموها قبل ٢٣ يوليو ..

اى أن ثورة الشعب المصرى تسلم قيادتها هكذا ببساطة الى النحاس وسراج الدين والهضيبى وابراهيم عبد الهادى

وكل أفاق دعى يريد أن يصبح زعيما بخطبة أو بوعد معسول !

أى أن جمال عبد الناصر ورفاقه ، وكل ضابط وكل جندى من الاحرار .. هؤلاء جميعا ما قاموا بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، الا من أجل النحاس والهضيبى وعبد الهادى وهيكل وباقى الساسة الذين حكموا البلاد فعلا من قبل ولم يصنعوا ثورة..ولم يرفعوا عن الشعب ظلما اجتماعيا ولم يملأوا معدة جائع ولم يمكنوا مريضا من الشفاء !؟

أى منطق هذا ؟ ..

وفيم اذن كان كل هذا الجهد والعرق والتضحيات التى بذلها جمال عبد الناصر ورفاقه ومئات من الاحرار فى الجيش طوال أعوام قاسية مليئة بالاحداث والمفاجآت ؟.. هل كانوا يعدون كل هذه الاعمال التاريخية الثورية لكى يحكم النحاس وسراج الدين وهيكل وعبد الهادى .. وهم الحكام الذين كان فاروق يجلسهم على مقاعد الحكم ؟!

هذا .. اذا كانت الديمقراطية تحتم أن يترك كل شىء كما هو بعد طرد فاروق

يبقى البدراوى فى درين يشرب دم الالوف من المواطنين .. ويبقى كل باشا فى قصره يدوس بأقدامه على مستقبل الشعب ..

ويبقى سراج الدين يدخن سيجاره وهو يحكم مع أذنابه ..ويبقى الامراء والاميرات فى مصايفهم وأوكارهم يستأنفون اكل لحم البشر ، ويبقى ويبقى ...

يبقى كل شىء ما عدا فاروق .. فهل هذه هى الديمقراطية !؟

وهل هذا ما كان يريده الشعب !؟

هل هذا ما كان يحقق العدالة الاجتماعية ورفع مستوى الطبقات ، ويحقق الاستقلال والعزة والتخلص من القيود !؟

هل هذا ما كان يعجل بتصنيع البلاد ، وانفاق نقود

الشعب فى مشروعات للشعب لا فى رحلات الى أوروبا ، و فى اصلاح اليخوت والقصـــور واعداد صنوف المتعـة والرفاهية لعصابة من الافاقين العاطلين !؟

ثم .. هل كان النحاس وسراج الدين وعبد الهـادى وهيكل وباقى القطيع السياسى بدستوره وببرلمانه ، والذى كنا سنتركه يحـكم بعد طرد فاروق .. هل كان ذلك القطيع سيوافق على تحديد الملكية ، واعلان الجمهورية ، والغاء الالقاب ، ورفع مستوى الفلاح والعامل ، واعـداد العدة لكفاح الاستعمار، ثم عدم الدخول فى أحلاف عسكرية ؟ .. وهل كان ذلك القطيع يقبل أن يخاطب أفراده بلقب « سيد » لا « باشا » أو « بك » أو صاحب رفعة ودولة !؟

وهل كان محمد نجيب اذا فرضنا أنه سيكون معهم باعتباره ديمقراطيا .. أقول هل كان محمد نجيب قادرا على توجيه ذلك القطيع والسير معه فى ركب التقدم والمدنية ؟ وماذا أيضا ؟ !

هل كان يمكن ــ لو فرضنا أننا استسلمنا لهذا القطيع ولآرائه وتوجيهاته بعد ٢٣ يوليو ــ أن تتم الانتخابات فى البلاد وليس هناك سوى نفس النواب بدوائرهم التى تكاد تكون ملكا لهم بأرضها ، وبالناس الذين يعيشـــون فوق أرضها !؟

وأسئلة عديدة أخرى تتلاحق وراء بعضها أمامى وأنا أسطر هذا الكلام، ومطلوب من أدعياء الديمقراطية ولصوص الحريات أن يجيبوا عليها ..!

مطلوب منهم أن يقولوا لنا ما هى الديمقراطية فى رأيهم، اذا لم تكن دوائر انتخابية مسجلة بأسمائهم !؟

ما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن عيشا رغـدا وأشهرا ناعمة فى أوروبا وثيابا من باريس وقصرا فى الخلاء .. وكلابا تأكل أطيب أرزاق البشر !؟

ما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن حق عضو البرلمان فى أخذ رشوة علنية من كل طالب وظيفة ، ومن كل تاجر يريد الخروج على القانون ، ومن كل أرملة تريد عملا لوحيدها ، ومن العامل والفلاح .. وحتى من أبناء السبيل !؟

وما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن تحكم العاطلين فى العاملين ، وسيطرة الافاقين والمرتشين والخونة واللصوص والتجار والسماسرة على مصائر الملايين !؟

ثم ما هى حرية الصحافة فى رأيهم اذا لم تكن التجارة فى الورق والسيارات والتآمر مع المستعمر .. والتحدث باسم الاقطاع والمشعوذين !؟

أليست تلك هى ديمقراطيتهم التى يلطمون الخدود ويشقون الجيوب كمدا عليها !؟

وأعود الى سؤال الامس ، فأقول انه كان لايمكن الثورة المصرية أن تمضى فى طريقها اذا اكتفت بخلع فاروق .. ثم تركت الامور كما هى بعد ذلك ..

لو كان قد حدث هذا ، وترك جمال عبد الناصر ورفاقه الامور بعد طرد فاروق كان حتما أن تقوم ثورة أخرى لتحقيق العدالة الاجتماعية .. الا اذا كان أدعياء الديمقراطية يرون أن العدالة الاجتماعية يمكن أن تتحقق على أيدى الباشوات والهضيبى وعبد العزيز البدراوى !؟

وفى هذه الحالة .. اكان من مصلحة الشعب أن يبقى جمال عبد الناصر ورفاقه فى أماكنهم كمسئولين عن الثورة ، ليحققوا أهداف الشعب فى فترة انتقال حددوها من تلقاء انفسهم .. أم كان من أصول الديمقراطية التخلى عن تلك الاهداف الشعبية لتتحقق أهداف سراج الدين والهضيبى وعبد الهادى وباقى القطيع !؟

وقد بقى جمال ورفاقه فى أماكنهم .. واستمروا فى عملية قلب نظام الحكم القديم شيئا فشيئا .. ومضوا

يعملون آناء الليل وأطراف النهار .. فى الصيف وفى الشتاء .. فى البرد وفى القيظ .. ويواجهون الاحداث ويعدون المستقبل للشعب ، ولكى لا يعطلهم الاعداء وقطيع عهد أسرة محمد على ، اتخذوا موقفا حازما حيال كل نشاط يقوم به هؤلاء الساسة وأذنابهم .. وكان لا بد من اتخاذ ذلك الموقف الحازم الصارم حتى لا تزحف الافاعى مرة ثانية لتهدد حياة الشعب .. فأطلقوا علينا من أجل ذلك حكومة الضباط والعساكر .. وعندهم حق .. فنحن ضباط وعساكر فعلا ، لكن لسنا ساسة من نوعهم ، ولسنا حكاما ذوى كروش منتفخة بدم الشعب ، ولسنا من جيل قديم تربى فى أحضان الاستعمار وعاش فى كنفه !!

لسنا سوى ثوار يريدون تحطيم قيود هذا الشعب بلا دم ، وبلا أشلاء تتناثر هنا وهناك ، وبلا بارود ينسف المدن والقرى ، وبلا مجازر فى الشوارع والميادين !

وقد مضينا فى الطريق ، وذلك الطريق كان ولا يزال مليئا بالاعداء .. وكل عدو منهم يريد أن يوقف زحف الثورة ، يريد وقف تطور الشعب ، يريد أن يبقى كعدو الى الابد .. يعيش هو ولتمت الالوف تحت أقدامه !

فهل الديمقراطية ترضى عن هذا ؟؟

هل اذا وقف ابو الفتح ومصالحه مرتبطة بمصالح سراج الدين وباقى القطيع .. ثم اتهمنا بأننا كذا وكذا .. هل نتركه يواصل نشاطه الاجرامى ضد ثورة الشعب باسم الديمقراطية !؟

فاذا أسكتناه وكشفنا القناع عن وجهه يقال لنا أنتم ضد الديمقراطية !

وهل اذا حوكم جواسيس الانجليز أمام محكمة الثورة، وصدر الحكم باعدام شيخهم « كنج صبرى » .. واذا ألقينا

بالمدعو « كريم ثابت » فى الليمان .. نصبح ضد الديمقراطية ! ؟

وهل اذا منعنا صاحب السيجار الفاخر والسياسى البارع فؤاد سراج الدين من التآمر على الثورة ووضعناه فى زنزانة بعيدا عن الشعب نصبح ضد الديمقراطية ! ؟

وهل اذا تركنا تجار الدين يقتلون جمال عبد الناصر ، ومئات غيره ، وتركنا الهضيبى ينسف دور الحكومة ومنشآت الدولة ويقيم حكومة تتاجر فى الدين .. هل اذا كنا سمحنا بهذا ، نصبح مع الديمقراطية ومع الدستور !؟

ان طريق الثورة كان مليئا بالاعداء .. وكان لا بد من ابعادهم عنه ، ولا سبيل الى ذلك الا بمعركة مسلحة يلقى فيها كل عدو للشعب مصرعه .. ولكننا فضلنا أن نبعد هؤلاء الاعداء عن الطريق بقانون الثورة . بالحزم والصمود وبالاصرار على أهدافنا ..

فضلنا هذا على المذابح والمجازر ، فهل لاننا نريد حقن الدماء .. نعمل ضد الديمقراطية !؟

وماذا لو كنا اقتحمنا قصر عابدين وتركنا الشعب يفتك بفاروق وبأسرته ، بدلا من اسقاطه بانذار وطرده بكلمة.. وتركنا الشعب يهاجم الاقطاعيين فى قراهم وفى قصورهم فيهدمها فوق رءوسهم ويأخذ الارض التى هى من حقه..

لو كنا تركنا الشعب يحطم رءوس الباشوات والبكوات وأبناء الارستقراطية المصرية العفنة ، بدلا من الغاء ألقابهم ووقف نشاطهم ..

هل لو كنا فعلنا كل هذا ، نصبح ديمقراطيين ومن أحباب الدستور !؟

الثورة وطريق الدم

انتهى حديثى فى الفصل الماضى عند نقطة هامة للغاية ، بالنسبة لتاريخ هذه الثورة ..

ماذا كان علينا أن نصنع منذ قمنا بتلك الثـورة حتى نصبح ديمقراطيين ، ونصطلح أيضا مع الدستور !

هل كان علينا أن نخوض مجزرة يوم ٢٣ يوليو ضد كل الذين اراد الشعب الخلاص منهم .. الملك والاستعمار والباشاوات والبكوات وملاك أرض الشعب ؟!

وهل كنا حقا قادرين على ابادة كل هؤلاء الاعداء فى معركة واحدة مشتركة حتى بالرغم من وقوف القوات المسلحة معنا والشعب ؟

لقد كان أمرا واقعيا فعلا أن تبيد الثورة كل أعداء الشعب والا كانت مهزلة لا ثورة

ان التاريخ يقول لنا أن كل ثورة فى أى بلد من بلاد هذا العالم قد قضت على أعدائها بمجزرة يفقد فيها الطرفان ـ الشعب وأعداء الشعب ـ مئات وألوفا بل وملايين من الضحايا

ولكن ـ كما سبق أن قلت فى مقالاتى السابقة ـ الفرق بين الثورة التى قامت فى مصر وبين كل الثورات الاخرى هو أن قيادتها ظهرت بين صفوف القوات المسلحة .. أى ظهرت بين نفس الصفوف التى كانت تحمى أعداء الشعب

فالجيش كانت قيادته خاضعة للقصر والاقطاع والاستعمار .. لم تكن قيادة الجيش خاضعة للشعب على

الاطلاق، لكنها أصبحت فعلا خاضعة الشعب فى صباح ٢٣ يوليو ، ووجد اعداء الشعب أن القوة التى كانت تمكنهم من السيطرة على البلاد قد ضاعت منهم ، بل واتجهت الى ابعادهم عن طريق الشعب .. !!

وفوجىء العالم بثورة مصر تتبع أسلوبا جديدا فى القضاء على أعدائها لم تسبقها اليه ثورة اخرى فى أى بلد من بلاد العالم .. فهو أسلوب مستمد من واقع هذا البلد ومن ظروفه ومن امكانياته

فالجيش هو الذى يمثل قوة الثورة المصرية ، واعداء تلك الثورة لا يمكن أن يشتبكوا مع الجيش فى معركة .. فالنتيجة معروفة ! وكان عليهم أن يستسلموا .. كان عليهم - جميعا - أن يرفعوا الرايات البيضاء ويخضعوا للامر الواقع ، لارادة الثورة .. وقد كان !! لكن لانهم لم يبادوا ويفنوا فى مجزرة .. ولأنهم بقوا على قيد الحياة يتنفسون ويأكلون ويشربون ويعيشون بين الناس ، خيل اليهم أن من الممكن وقف الثورة بالمؤامرات ، مادامت تنقصهم القوة التى يمكنها ان تصمد امام القوات المسلحة .!

وعندما تفشل تلك المؤامرات ، وعندما تدفن الثورة كل مؤامرة فى مهدها ، عندما تمنع الثورة مجزرة وتبعد شبح الفتنة ، يقال عن قادتها انهم يريدون ديكتاتورية !!

كأن الديمقراطية هى وقف تطور الشعب ، وكأن الديمقراطية هى ترك الباشوات وترك الهضيبى يلقن السذج سورة آل عمران واحدث وسائل النسف والذبح

وكأن الديمقراطية هى أن يجلس محمود ابو الفتح فى مكتبه فى احدى عواصم أوربا ويوجه الصحافة لخدمة مصالحه .. وهو حليف الاقطاع والزعامات التى تعفنت !

وكأن الديمقراطية هى أن يوقف جمال عبدالناصر عجلة التطور التى بدأت تدور وتخطو نحو الحياة ويقول لباشوات مصر وبكواتها : تفضلوا واحكموا من جديد !

وعندما تضرب الثورة على ايدى الشيوعيين لانهم تآمروا أيضا على الثورة مع الاقطاع تجار الدين والمستعمر وكل الاعداء يقال عن الثورة انها لا تؤمن بالديمقراطية ، ويقول عنها الشيوعيون انها حكومة الفاشست والسفاحين .. !!

ماذا بقى بعد ذلك من مواقف للثورة ضد الديمقراطية !؟

ماذا صنعت الثورة غير هذا ضد ديمقراطيتهم المزعومة ؟

هل بطشت الثورة بمصير الشعب مثلما فعلوا ؟

ان البطش بالشعب هو المظهر الحقيقى للديكتاتورية

فهل الهضيبى هو الشعب ، وهل سراج الدين هو الشعب ؟

وهل الجاسوس كنج صبرى هو الشعب وهل كريم ثابت هو الشعب ، ومحمود ابو الفتح وعدلى لملوم وحافظ عفيفى وعبد الهادى وعملاء اسرائيل وعملاء كل الجهات الاجنبيه .. هل كان هؤلاء الذين أوقفت الثورة نشاطهم ومنعتهم من الوقوف فى طريقها هم الشعب !؟

وهل من أجل موقف الثورة هذا الذى تحمى به نفسها ـ وهى كما سبق أن قلت ثورة لا تريد الدم ـ يصبح قادتها من الذين لا يؤمنون بالديمقراطية والدستور وحرية الصحافة ؟

▭

واعود الى موضوع الدم من جديد ، فأقول ان الثورة لو كانت بدأت فى فجر ٢٣ يوليو بمذبحة ضد القصر والاقطاع والاستعمار وعملاء الدول الاجنبية والباشوات والسماسرة ثم انتهت بانتصار شامل عليهم ، ثم لم يبق فى مصر عدو واحد يمكنه ان يعطل نهضة الشعب المصرى بعد انتصاره أقول لو كانت قيادة الثورة قد خاضت هذه المجازر كلها وانتصرت ثم منعت حرية الصحافـــة ومنعت الانتخابات والدستور وكل الحريات ، لو حدث هذا لاصبحت فى هذه الحالة فقط .. وفى هذه الحالة فقط قيادة ديكتاتورية تؤمن بالحكم المطلق لا بالشعب !

ولكن للاسف الشديد ـ وأقولها بمرارة ـ لم يحدث أن قامت تلك المجازر بعد ٢٣ يوليو

لم تفرش دماء اعداء الثورة الشوارع وكل شبر فى البلاد حتى كان يمكن بعد ابادتهم بالسلاح ان يطمئن قادة الثورة على مصير أهدافهم الشعبية ، فيقام الحكم الديمقراطى فى الحال ، وتعاد كل الحريات فى الحال ، بعد أن خلت مصر من الاعداء !

لكن .. ليس معنى أن قيادة الثورة قد اتجهت فى طريق آخر غير طريق الدم هو أن مجلس قيادة الثورة كان غير مستعد للاتجاه فى هذا الطريق منذ أول دقيقة قامت فيها الثورة !

لا ـ واقولها بملء فمى ـ فنحن كنا على استعداد لكل احتمال ، كنا على استعداد لخوض معركة فى ميادين القصور الملكية وفى قصور الباشوات والساسة الخونة والرجعيين ، وفى قرى الاقطاع وفى القنال

كنا سنفعل ذلك سواء من تلقاء أنفسنا او بحكم الامر الواقع ، وكان النصر سيحالفنا ، فالشعب وراء الجيش منذ انطلق ذلك الصوت من محطة الاذاعة اللاسلكية فى صباح ٢٣ يوليو

لكن بالرغم من ايماننا بأن النصر سيحالفنا لو خضنا معركة مسلحة ضد جميع الأعداء ، الا أننا كنا نضع فى حسابنا دائما مسألة الخسائر !

فماذا كان الشعب سيخسره لو خاض هو والجيش معركة كبرى واحدة ضد الاستعمار والقصر والاقطاع وباقى الاعداء ؟

الم يكن محتملا أن تدمر قرى بأكملها ومدن ايضا ؟ ..

الم يكن محتملا أن يموت الالوف بل ربما الملايين من أبناء الشعب ؟

الم يكن محتملا ان تتحول أرضنا الخضراء الهادئة الى

ساحة حرب يحترق فيها الاخضر واليابس ويدمر فيها الاقتصاد بل والحياة نفسها ؟

وكما قلت ، كنا سننتصر حتما فى تلك الجزرة طال الزمن أو قصر .. لكن بعد النصر هل كان من الممكن اعادة بناء هذه البلاد بعد أن دمرتها الحرب ؟ ..

واذا كانت هناك طريقة أخرى لتحقيق النصر للشعب فى ثورته غير الدمار والموت والفناء .. واذا اتبع مجلس قيادة الثورة هذه الطريقة وحقن دماءالشعبوحمىاقتصاد الشعب ومدن الشعب وقرى الشعب ..

اذا كان مجلس قيادة الثورة قد صنع هذه المعجزةونجح فى اسقاط النظام الملكى بلا دم واعلن الجمهورية بلا دم ، وقضى على الباشوات وحكمهم بلا دم

وقاد معركةالثورة فانتصر الشعب فيها دون أنتختفى من على ظهر الأرض مدينة مصرية واحدة بما فيها منناس ومال وحياة ..

أقول اذا كانمجلس الثورةقد حققوسيحقق الانتصارات فى ثورة الشعب ، أيعد هذا العمل التاريخى المجيد ضد الديمقراطية .. وأية ديمقراطية ؟!

ان الشعب لم يصب بسوء حتى يمكن أن يجد الذين يتهموننا بالفاشية دليلا واحدا على اتهاماتهم لنا ، وعلى تجنيهم علينا .. بلالذين أصيبوا بالسوء هم أعداءالشعب .. هم كنج صبرى وكريم ثابت والبدراوى وسراج الدين وابراهيم عبد الهادى والهضيبى وعصابتهالناسفة ، وعملاء اسرائيل ، وعملاء الدول الاجنبية على اختلافها

وهؤلاء هم الذين يتهمون مجلس الثورة بالدكتاتورية

وانى أقول لهم مثلما قال ماوتسى تونج لاعداء ثورة الصين :

« نعم ياحضرات السادة ، انناقيم ديكتاتورية .. لكن على أعوان الاستعمار والاقطاع »

الضّباط الأحرار

بعد المحنة

عام ١٩٤٩ ، بعد المحنة الـكبرى ، بعد أن عاد جيش البلاد من فلسطين ومعه المأساة الكبرى .. المأساة التى صنعها الخونة والسماسرة الذين حكموا الشعب وقتلوا جنوده وضباطه ومزقوا كرامته وسخروا من مقدساته .. فى ذلك العام بدأت مرحلة جديدة فى الموقف الســياسى فى البلاد .. فبعد انتهاء معركة فلسطين بعد تلك المأســاة التاريخية كان على أعداء الشعب ان يبحثوا عن مخرج لهم فسخط الشعب قد بلغ حدا يهدد بالانفجار وغضب الجيش بعد ان طعن من الخلف يجب ان يزول ..

وكان تنظيم الضباط الاحرار فى ذلك الوقت قد لحقته خسائر شديدة اثناء المعركة فى فلسطين ..

وكان حتما بعد المحنة ان يعوض التنظيم تلك الخسائر ، خاصة وانها ــ أى الخسائر ــ كانت قد بلغت الى حد أن الضباط الاحرار قد فقدوا الاتصال بعضهم ببعض ..

وقد بدأ الضباط الاحرار يعملون على الفور لاعادة الاتصال من جديد ، وكان هدفهم فى هذه المرة تكوين هيئة تأسيسية للضباط الاحرار ثم السيطرة على الجيش تماما بتنظيم ضخم متماسك يمكن ان يبعد شبح المآسى عن الجيش وعن الشعب

وتكونت الهيئة التأسيسية فعلا وكانت تضم فى البداية جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم

وخالد محيى الدين وعبد المنعم عبد الرءوف . .

ثم تضاعف نشاط الضباط الاحرار بعد تلك الخطوة مما حتم زيادة أعضاء الهيئة التأسيسية ، فانضم اليها عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وجمال سالم وعبد اللطيف البغدادى وكاتب هذه السطور

وفى يناير عام ١٩٥٠ أجريت انتخابات رئاسة الهيئة التأسيسية ، وانتخب جمال عبد الناصر رئيسا لهـا بالاجماع

وعلى اثر هذا مضينا نستعد لخوض اضخم معركة فى تاريخ الشعب . بدأنا نعد انفسنا للاشتباك مع الاعداء جميعا تحت سماء هذه البلاد . .

وقد كانت البلاد فى ذلك الوقت أشبه بمسرح كبير يشهد العالم فوق خشبته أعنف مأساة انسانية تعرض لها شعب من شعوب الارض

لاعدالة ولا حرية ولا حق فى ارضنا ، بل فسادواستبداد وحكم مطلق وسماسرة يتاجرون بكل شىء ، بالسياسة وبالارزاق وبالمستقبل نفسه .. مستقبل الملايين ، أما مستقبلهم هم فقد كانوا على ثقة من انه لاتوجد قوة فى الوجود يمكنها زحزتهم عن أماكنهم . .

فالاستعمار حليفهم والرجعية والاقطاع والبرلمان نفسه الذى يسير الامور ، كل هذا رهن مشيئتهم

لايوجد غير الشعب

لم يكن فى مصر ابطال على الاطلاق يمكنهم خوض المعركة ضد هؤلاء الاعداء الطغاة سوى الشعب نفسه ، فكيف كان يمكن للشعب ان يخوض المعركة حتى يمكنه التخلص من قيوده كلها . .

لم تكن هناك قيادة شعبية يمكنها ان تعد الملايين لهذه المعركة .. فحزب الاغلبية الذى يضع الشعب فيه كل آماله قد جاء الى الحكم فى ذلك الوقت وخاض المعركة ـ فعلا ـ لكن ضد الشعب ..

فزعيمه ينحنى حتى يكاد يقول للحاكم بأمره فاروق تفضل اركب على ظهرى .. وأعوان الزعيم يعملون من اجل شىء واحد فقط ولا شىء غيره .. من اجل ان يبقوا كما هم باشوات واصحاب ضياع وعقار وجاه وسلطان .. فمن اذن يمكنه ان يقود الشعب ويكتله ضد جلاديه ؟!..الاخوان .. أن مرشدهم يدخل القصر ويخرج منه ليسبح بحمد الحاكم .. ويعلن على الملأ أنه ملك كريم

السعديون .. انهم لايمثلون سوى انفسهم ..ومصالحهم مرتبطة ببقاء النظام كما هو .. ببقاء الاقطاع والاستعمار والفساد والخيانة .. ببقاء الشعب فى القمقم حبيسا لايجد مخرجا ..

ماذا بقى من قيادات سياسية ؟..

بقى الاحرار الدستوريون ، وهم توائم للسعديين ..

من يتولى المعركة ؟..

كان لابد من معركة مهما كانت الظروف فمن المحال ان تبقى البلاد فريسة للحاكم واعوانه وبرلمانه ودستوره ..

من المحال ان يبقى الجياع والعراة والمستعبدون الى الابد تدوسهم اقــــدام العصابات الحاكمة ، ويفترسهم المستعمرون فكيف يمكن للمعركة ان تبدأ ؟..

كما قلت كان لابد من قيادة تتولاها وكما قلت كان لابد أن تكون قيادة من خارج صفوف حزب الوفد الذى انسلخ عن الشعب يوم ان ضمت قيادته الاقطاع

ومن خارج صفوف الاخوان الذين لايؤمنون سوى بالهضيبى وبالسمع وبالطاعة .. وبولى الامر الملك الكريم.. كان لا بد أن تكون القيادة التى ستخوض بالشعب معركة الحياة والحرية غير مرتبطة بقصر او بحزب من الاحزاب المذكورة ، أو بهيئة تتاجر فى الوطنية ، وفى كل شيء .. كان لابد ان تكون قيادة ترتبط مصالحها بمصالح الشعب حتى يمكن ان تصمد حتى النهاية ، لان فى عدم صمودها الفناء لها .. وللشعب أيضا ..

فأين يمكن ان توجد تلك القيادة .. وكيف يمكنها لو وجدت أن تبدأ فى تكتيل الشعب وخوض المعركة بعد ذلك ؟

لقد سبق ان أكدت فى مقالاتى السابقة عن الثورة والديمقراطية ، أن ظهور قيادة للثورة المصرية بين صفوف القوات المسلحة هو أمر محتوم مستمد من واقع مصر ومن ظروفها المختلفة ..

وكان لايمكن ان تظهر تلك القيادة خارج تلك القوات والا كانت مذبحة يفنى فيها الجيش والشعب قبل ان يفنى الاعداء فمن غير القوات المسلحة كان لايمكن للشعب خوض معركته ضد اعدائه ، لان القوات المسلحة كانت ـ فى هذه الحالة ـ ستنضم الى الجانب الآخر ، الى جانب القصر والاقطاع والاستعمار والرجعية ، ليس لان وحداتها خارجة على الشعب ، بل لان قيادتها كانت خاضعة لاعداء الشعب وكانت تعمل على حماية هؤلاء الاعداء ، فالطريق اذن هو تخليص الجيش من قيادته الخائنة الخاضعة للحاكم والتى تحمى النظام فى البلاد ، وبعد ذلك يمكن ان تبدأ المعركة على الفور .. يمكن أن تبدأ الثورة المصرية التى تؤيدها وتحميها القوات المسلحة ..

الثورة فى عام ١٩٥٠

وقد تكونت فعلا قيادة للثورة المصرية داخل الجيش .. وكان تنظيم الضباط الاحرار كما قلت قد كبر وأصبح نشاطه مضاعفا فى عام ١٩٥٠

وبدات الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الاحرار تعد العدة للضربة الكبرى

كان كل فرد فى تنظيم الضباط الاحرار يؤمن بأنه اما النصر أو الموت ..

وكان كل فرد فيهم يستمد القوة والعزم بل والشجاعة من الشعب نفسه ، من مشاعر الجماهير وآمالها ورغباتها وسخطها العارم على الحكام ، ورغبتها الصادقة فى التحرر

وخرجت المنشورات السرية لتقض مضاجع قادة الجيش ورجال القصر والحكام، وكانت المنشورات ثورية حددنافيها اهداف الشعب بصراحة ..

لم نحدد فيها مطلبا للجيش أو لضباطه وجنوده ..

كل كلمة فى تلك المنشورات كانت مستمدة من اتجاهات الرأى العام فى البلاد .. فالشعب يريد العدالة الاجتماعية ونحن ننادى بها ، والشعب يريد القضاء على المستعمر وأذنابه ونحن نسجل ارادته ، والشعب يلعن الاحلاف العسكرية والدفاع المشترك ونحن نطبع مئات المنشورات لتؤيد وجهة نظر الشعب . ومضى كل منا يكتل ضباط الجيش فى جميع الوحدات استعدادا لبدء المعركة الشعبية ..

أما متى تبدأ المعركة فهذا ما يحدده تقـديرنا للموقف بلغة العسكريين

وقدر الموقف فعلا على اساس قلب نظام الحكم القـائم واحلال نظام جديد مكانه ، وحددت المدة لتنفيذ الخطـة كاملة فى عام ١٩٥٠ بخمس سنوات .. اى أن الثورة كانت ستبدأ عام ١٩٥٥ .. أى فى هذه الايام وليس فى يوليو عام ١٩٥٢ ..!!

وفى يناير عام ١٩٥١ اجريت انتخابات جديدة للهيئـة التأسيسية للضباط الاحرار وأعيد انتخاب جمال عبـد الناصر رئيسا لها للمرة الثانية ..

الشعب لا أولادنا ..

وبعد ذلك وبينما نحن نعد خطتنا لقلب نظام الحكم على أساس تقديرنا للموقف فى البلاد فى ذلك الوقت ، فوجئنـا بالبكباشى عبد المنعم عبد الرءوف وهو ينادى بضم تنظيم الضباط الاحرار كله الى احدى الهيئات ..

ولم يجد عبد المنعم عبد الرءوف من يستمع اليه . كنا جميعا نؤمن بالشعب كوحدة .. وارتباطنا به وبأهدافه ككل ، لا بهيئة ما مهما كانت أهدافها

وأصر عبد المنعم عبد الرءوف على اخضـاع الضباط الاحرار لجماعة الاخوان المسلمين ، وقال وهو يحاول اقناعنا بوجهة نظره ان جميع اعضاء تنظيم الضباط الاحرار يمكن ان يقبض عليهم قبل ان يتمكنوا من عمل شيء .. وسيحاكمون فى هذه الحالة .. فمن يرعى عائلاتهم .. من يرعى اطفالهم وزوجاتهم وأهلهم ؟

وقال أن انضمامنا لهيئة ما فيه ضمان لعائلاتنا فى حالة ما اذا اصابنا مكروه فالهيئة المذكورة تتولى رعاية عائلاتنا واولادنا

وقلنا له جميعا اننا مثله لنا زوجات وأولاد ، ويهمنا أن

نطمئن على مصيرهم ، لكن المسألة ليست مسألة شخصية فنحن نعد ثورة لامؤامرة !!

ومصير أولادنا وزوجاتنا لايعنينا لان الذى نعمل من اجله هو مصير الشعب لاأطفال الضباط الاحرار ..

وقلنا له ان ارتباط الجيش بهيئة ما يعرض البلاد للفوضى، فالجيش يجب ان يكون خاضعا للشعب ككل .. والا جعلت منه الهيئة المذكورة اداة لتنفيذ اغراضها هى وأهدافها هى .. وخططها هى !!

وقلنا له نحن لانستطيع ان نبيع أفكارنا ومبادئنا من أجل اطفالنا

وأصر الضباط جميعا على رأيهم ، فالجيش يجب أن يصان من نفوذ الهيئات والاحزاب ، الجيش هو جيش الشعب وليس جيش الهضيبى او الوفد او جماعة معينة

تنفيذ الخطة قبل موعدها ..

وكان نجاح فكرة تكوين تشكيلات داخل الجيش اكثرمما قدرنا ، ففى كل وحدة من وحدات الجيش أصبح لتنظيم الضباط الاحرار أفراد فيها ..

لم نكن نتوقع عندما قررنا تكوين تشكيلات بين صفوف القوات المسلحة ان تنجح الفكرة الى هذا الحد ، وكانت الامور فى البلاد تتطور بشكل سريع ومثير ..

فقد ظهر مدى ايمان قيادة الوفد بالكفاح المسلح فكانت مهزلة القنال التى كان فؤاد سراج الدين يتولاها من مكتبه بالداخلية

ثم بدأ القصر يتآمر، وبدأ الوفد يتراجع، لكن الراى العام كان فى حالة من اليقظة يصعب معها خداعه

وكان لابد من ضربة قاصمة تنهى المسالة قبل استفحالها فالضباط الاحرار كانوا قدبدأوا يساهمون فى معركةالقنال رغم ارادة القصر وحكومة الوفد ..

واجتمعنا وتبين لنا اننا قد نضطر الى تنفيذ خطتنا قبل موعدها .. أى قبل عام ١٩٥٥

لمن يخضع الجيش ؟!

كان نجاح تكوين تشكيلات للضباط الاحرار فى جميع وحدات الجيش هو أحد عاملين عجلا بتقديم موعدتنفيذ الخطة .. أما العامل الثانى فهو الاحداث السياسية التى طرأت على الموقف فى البلاد بعد حريق القاهرة

وكان لابد من اختيار قائد للثورة .. لكى تبدأ الثورة معاركها مع اعداء الشعب فى العلن وعلى مشهد من العالم كله ..

هنا أود ان اقف قليلا ، فهنا تلعب الظروف دورها .. هنا تتحكم الصدفة ولا شيء غيرها فى الموقف

لقد كان من رأى جمال عبد الناصر وهو رئيس الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار والذى انتخب فى كل مرة رئيسا ، والذى كان عليه ان يقود الثورة فى العلن مثلما قادها فى السر قبل ٢٣ يوليو .. أقول كان من رأى جمال ان يكون قائد الثورة حاملا لرتبة كبيرة من رتب الجيش ، وكان هناك رأى واحد فقط فى الهيئة يعارض ان يقود الثورة واحد من خارج الهيئة التأسيسية .. لكننا اتفقنا ـ جميعا ـ فى النهاية على ان يتولى احد الضباط الكبار قيادة الثورة ، واقترح جمال ثلاثة أسماء : عزيز المصرى وفؤاد صادق ومحمد نجيب

حقيقة فؤاد صادق

وبدأت الاتصالات بعزيز المصرى ، ولكن الرجل أصرعلى أن يظل ابا روحيا للثورة واقنعنا برأيه

وبقى اثنان .. اللواء فؤاد صادق واللواء نجيب ..

وذهب صلاح سالم لمقابلة اللواء فؤاد صادق ، ليعرف نواياه ..

وكان عثمان المهدى ــ رئيس هيئة أركان حرب الجيش قد استقال من منصبه فى ذلك الوقت ولم يكن معقولا ان يفاتح صلاح فؤاد صادق فى أمر قيادته للثورة .. فهو كان مثل محمد نجيب لايدرى ان هناك تنظيما للضباط الاحرار ...

وايضا لايدرى أن هؤلاء الضباط الاحرار قد أعدوا انفسهم للقيام بثورة لقلب نظام الحكم ، كل ماكان يعرفه فؤاد صادق هو ان بعض ضباط الجيش الصغار لهم رأى معين فى الحالة وان هؤلاء الضباط الصغار لايتعدى نشاطهم اعلان السخط والغضب والاسى ..

واعود الى مقابلة صلاح سالم لفؤاد صادق ..

ذهب صلاح اليه فى بيته ، وقال له ان الرأى العام بين الضباط فى الجيش يرشحه لتولى منصب رئيس هيئة اركان حرب الجيش ، وقال له صلاح ان هؤلاء الضباط يمكنهم مساعدته لكى يتولى هذا المنصب فهم قوة ولهم نفوذ كبير ، وظل صلاح يحدثه عن هذا الراى العام لهؤلاء الضباط فى الجيش حتى اقتنع فؤاد صادق وآمن بأنه سيعين رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش ..

وأثناء الحديث دق جرس التليفون ، ورفع فؤاد صادق السماعة ، وكان المتكلم هو اليوزباشى مصطفى كمال صدقى ، وكان مصطفى على صلة ما بالقصر فى ذلك الوقت ، وقال مصطفى كمال لفؤاد صادق ان مرسوم تعيينه رئيسا لهيئة اركان حرب الجيش سيوقعه مولانا فى الصباح ..

وظهرت على فم اللواء فؤاد صادق ابتسامة غريبة ونظر الى صلاح نظرة ذات مغزى . ثم قال وهو لايزال يمسك بسماعة التليفون : بتقول ايه يا مصطفى ؟. زعق شوية

واشار فؤاد صادق لصلاح سالم ان يقترب منه ، واقترب صلاح وقرب أذنه من التليفون كما طلب منه اللواء صادق وسمع صلاح مصطفى صدقى يتحدث عن مرسوم تعيين فؤاد صادق الذى سيصدر فى اليوم التالى .. ثم وضع فؤاد صادق سماعة التليفون

عرف شخصيته

.. فى تلك اللحظة عرف صلاح شخصية فؤاد صادق فالرجل شعر بعد ان ابلغه مصطفى صدقى بأمر تعيينه ان ـ الرأى العام ـ للضباط فى الجيش والذى حدثه عنه صلاح سالم لم يعد يعنيه ..

وقد كشف فؤاد صادق عن شخصيته امام صلاح فجأة، فبعد ان كان قد ابدى استعداده لتحقيق كل رغبات الضباط وحماية مصالحهم والوقوف الى جانبهم ، انقلب فجأة وبلا مقدمات وبعد أن عرف أن هؤلاء الضباط لن يكون لهم دخل فى تعيينه فقد عين والحمد لله ..

ان اللواء فؤاد صادق كشف عن حقيقة معدنه عندما قال لصلاح بعد مكالمة مصطفى صدقى بالحرف الواحد :

ـ اذا كنت بقيت رئيس أركان حرب الجيش فده بمجهودى انا .. وبدراعى أنا

ثم قال لصلاح انه سيعمل على اقامة النظام الكامل فى الجيش وانه لن يسمح بأى نشاط ضد نظم الجيش

وصمت لحظة ثم عاد يقول لصلاح المذهول :

ـ لازم تفهم انت والضباط اللى معاك الكلام اللى بقوله ده .. لانى سأنفذ القانون .. وانصحك انك واللى معاك تدوروا على مصالحكم ومستقبلكم ومستقبل أولادكم أحسن !!

ولم يتمالك صلاح نفسه فقال له وهو حزين آسف :

ـ دى آخر مرة أخش فيها بيتك ... السلام عليكم !!

وهم صلاح بالانصراف وسمع فؤاد صادق يقول له وهو فى طريقه الى خارج البيت :

ـ بيتى مفتوح .. اللى يحب ييجى ييجى .. واللى مايجيش هوه حر ..

وعاد صلاح الى رفاقه يحدثهم بما دار بينه وبين فؤاد صادق ، المرشح الثانى لقيادة الثورة ، وكانت مفاجأة للجميع !!

أما لماذا لم يعين فؤاد صادق فى اليوم التالى رئيسا لهيئة اركان حرب الجيش وعين بدلا منه فى اللحظة الاخيرة حسين فريد فلذلك قصة ثانية ، لعب فيها تشكيل الضباط الاحرار دورا حاسما ..

أين كان محمد نجيب !؟

كيف تم الاتصال بنجيب !؟

كيف ظهر على المسرح .. وهو الذى لم يكن يعد ثورة او أى شىء !!

لقد كان نجيب فى ذلك الوقت قائدا لسلاح الحدود .. ولم تكن له صلة ما بالحركة. ولم يكن يدرى مثل فؤاد صادق ان هناك فى الجيش تنظيما ضخما يعمل تحت الارض ويعد العدة للقيام بثورة لقلب نظام الحكم ..

لم يكن يعلم شيئا بالمرة ، وكنا فى أواخر عام ١٩٥١ ...

واعود مرة أخرى الى الصدفة العابرة ، الصدفة التى جعلت اسم نجيب يتردد على السنتنا وجعلت جمال يرشحه مع عزيز المصرى وفؤاد صادق لقيادة الثورة

فقد صدر الامر بنقل نجيب من سلاح الحدود الى سلاح المشاة ..

وعين حسين سرى عامر ذنب السراى مكانه .. ولم يكن لهذا النقل من مبرر

وتردد فى صفوف الجيش أن محمد نجيب قد يستقيل بعد اللطمة التى وجهت اليه ، وكان الشعور العام فى الجيش ضد حسين سرى عامر .. لالشيء الا لانه ذنب للسراى !!

ومن هنا كان العطف على نجيب

شعر الجميع أنه ضحية لحسين سرى عامر ، ولو كان نجيب نقل أو أحيل الى المعاش وعين بدلا منه أى مدير آخر لسلاح الحدود لما حظى بتأييد الرأى العام فى الجيش على الاطلاق ، لكن لان الذى عين مكانه هو ذنب للسراى فنجيب اذن يستحق العطف ، ويجب ان يقف الضباط الاحرار الى جواره. وفعلا حدث عقب أن سرى نبأ اعتزام نجيب تقديم استقالته ان اتصل به جمال عبد الناصر وقال له :

ـ أن الضباط يطلبون منك أن تبقى كما أنت فى سلاح المشاة ولا داعى لتقديم استقالتك

وقال له جمال أيضا ان اللطمة التى وجهت اليه انما هى موجهة للجيش ، ولهذا فالجيش يعتزم رد اللطمة بأشد منها !!

هكذا بدأ اتصال الضباط الاحرار باللواء نجيب ، فهو فى محنة وهم يقفون الى جواره باعتباره ضحية لذنب السراى ..

ومن هنا جاء ترشيحه لتولى قيادة الثورة ، ومن هنا بدأ القدر يفتح أمامه أبواب التاريخ !.

خطة الثورة

بعد البداية

وقفت فى الفصل السابق عند البداية .. بداية اتصال تشكيل الضباط الاحرار باللواء محمد نجيب ، وكان ذلك فى عام ١٩٥١ ، وذلك الاتصال تم لا على أساس مفاتحتـه فى موضوع قيادة الثورة ، بل لاقناعه بعدم تقديم استقالته بعد أن نقل من منصبه فى سلاح الحدود الى المشاة ، ليحل حسين سرى عامر عميل القصر مكانه بناء على رغبة القصر

وشرحت فى المقال السابق كيف حظى اللواء نجيب بتأييد الرأى ألعام فى الجيش أوبعبارة أخرى بتأييد تنظيم الضباط الاحرار ، وهم كانوا على استعداد لتأييد أى ضابط كبير آخر أصابه سوء على يدى عميل السراى حسين سرى عامر !

وفى ذلك الوقت لم يكن محمد نجيب يعلم ماذا يجرى فى الجيش !؟

لم يكن يعلم ان فى الجيش تنظيما سريا ضخما يباشر نشاطه تحت الارض استعدادا لقلب نظام الحكم .!

ولم يكن يعرف أنه كان ـ فى ذلك الوقت ـ المرشح الثالث لقيادة الثورة فى حالة ما اذا لم يتول قيادتها عزيز المصرى أو فؤاد صادق .!

وفى المقال السابق عرف القارىء كيف صمم عزيز المصرى على أن يبقى أبا روحيا لنا . وبذلك كان علينا الاتصال بالمرشح الثانى اللواء فؤاد صادق ، ثم اكتشف صلاح سالم حقيقته أثناء وجوده فى بيته ، وعرف مدى غروره وصلفه وأنانيته ، عرف من أى طينة عجن ذلك الرجل !.

وبعد أن ظهرت لنا حقيقة فؤاد صادق اسقطناه من حسابنا ثم جاء دور المرشح الثالث محمد نجيب ، وحدث ما رويته من نقله الى سلاح المشاة ، ليحتل حسين سرى عامر مكانه فى سلاح الحدود ، ثم اتصال جمال عبد الناصر به وتأكيده له أن الجيش يعتبر اللطمة التى أصابته موجهة للجيش نفسه ، وسيرد الجيش اللطمة بأشد منها .. للقصر !!

وبعد اتصال جمال باللواء محمد نجيب استعد تنظيم الضباط الاحرار لرد اللطمة فعلا . واجتمعنا وقررنا أن تكون اللطمة عن طريق نادى الضباط .!

اختبار قوة الاحرار

قررنا أن نخوض معركة انتخابات النادى لانتخاب محمد نجيب رئيسا لمجلس الادارة مع حرمان سلاح الحدود من تمثيله فى المجلس ، لان مديره حسين سرى عامر خصم لنا .. ولانه عين القصر المفتوحة فى الجيش .!!

ولم يكن غرض التنظيم من خوض معركة نادى الضباط الانتقام من حسين سرى عامر ورد اللطمة للقصر فقط ، بل رأينا أن هذه المعركة اذا انتصرنا فيها تكون بداية عظيمة للمعركة الكبرى القادمة معركة قلب نظام الحكم ، فمعركة الانتخابات اذا خضناها تكون أول معركة علنية يخوضها الضباط الاحرار ضد القصر ، وانتصارنا فيها يشعرنا بالثقة ، ويبعث فى نفوس جميع الرفاق فى التنظيم الاحساس بالقوة ، وليس هذا فقط فان الجيش بعد انتصارنا فى معركة النادى سوف تسرى فيه روح جديدة ويكون الانتصار اختبارا لروح التضامن بين القوات المسلحة كمجموعة واحدة تقف خلف تنظيم الضباط الاحرار

وقدرنا أيضا نتائج كثيرة أخرى لمعركة انتخابات النادى لو انتصرنا فيها فالملك سوف يشعر بهزيمة عملائه فى تلك

الإنتخابات بأن الجيش غير راض عن تصرفاته ، ويمكن أثناء هذه المعركة كشف الخونة وجميع عملاء القصر وهم الذين سيقفون ضدنا وضد الذين سنرشحهم للفوز فى معركة النـــادى ...

ومضينا نستعد للمعركة الاولى بيننـــا وبين القصر ، وشعر القصر بأن فى الجيش نشاطا مريبـا ، وان فى الافق سحبا تنذر بالشر ، فأصدروا أمرا بتأجيل انتخابات نادى الضباط .!

التنظيم يتحدى أمر التأجيل !

وقد كان علينا أن نمضي حتى النهـــاية لتنفيـذ خطتنا كاملة ، ولم نبال بقرار التأجيل . فصدرت الاوامر لجميع الضباط الاحرار بأن يتوجه أكبر عدد منهم الى النادى فى نفس التاريخ المحدد للانتخـــابات وكان محددا لهـــا ٣١ ديسمبر ١٩٥١

وفى الموعد المحدد كان فى نادى الضباط عـدد كبير من الضباط الاحرار . وأعلنوا على الفور احتجاجهم على امر تأجيل الانتخـابات ، ثم طلبوا دعوة الجمعيـــة العمومية للاجتماع بعد ثلاثة أيام بوساطة رياسة الجيش لتقـــرر ما تشـــاء ...!!

ولم نكن نتوقع ان تستجيب رياسـة الجيش لهـــذا التحدى ، لكن يبدو انها ــ أى الرئاسة ــ خشيت توتر الموقف فاستجابت للمطلب وتمت عملية الانتخاب !

وهنا وزع الضباط الاحرار كشفا بمن يرشـــحونهم للانتخاب . ومن ضمن هؤلاء الذين حددنا أسماءهم اللواء محمد نجيب .. وهو الذى لم يكن يعرف ماذا يجرى وراء الستار . وماذا نعده له نحن أفراد التنظيم من مفاجآت كبرى ستغير مجرى حياته .!

ونجحت خطة التنظيم .. فكل الذين سجلنا اسماءهم

فى قائمة الانتخابات نجحوا وبأغلبية ساحقة .!

وليس هذا فقط ، بل لقد مضينا فى تحدى القصر الى أبعد مدى ، فرفض تعيين مندوب من سلاح الحدود فى مجلس ادارة النادى .!

وكذلك كسبنا المعركة حسب الخطة الموضوعة ! وقد حدث ماتوقعناه ، ارتفعت الروح المعنوية بين جميع أفراد القوات المسلحة ، وازددنا ثقة فى خطتنا وفى معاركنا وفى أعمالنا .. !

وجاءت الاحداث ..!

واقبلت الاحداث لتدفع عجلة التاريخ بسرعة لم نكن نتوقعها ، فقد وقع حريق القاهرة ـ يناير سنة ١٩٥٢ ـ واجتمعنا على الفور لنغير خطتنا كلها . وكان الاجتماع فى منزل حسن ابراهيم ، وكنا قد قدرنا مدة خمس سنوات للقيام بالعملية الكبرى ، عملية قلب نظام الحكم ، لكن ذلك الحدث الضخم كان أشبه بالنذير لنا .. وقدرنا الموقف فى ذلك الاجتماع مرة ثانية ، ثم قررنا ان نكون على استعداد خلال شهر واحد ... وبذلك تغيرت الخطة .!

وأثناء حريق القاهرة صدرت الاوامر لجميع الضباط الاحرار الذين فى القاهرة بمقاومة اعمال التخريب ، كنا نعرف النتيجة ، فالقصر والاستعمار واعوانهما سيمضون فى ضرب الحركة الوطنية بكل وسيلة . ولا سبيل الى مقاومة هؤلاء الاعداء الا بثورة ، لا بالتخريب والخطب الرنانة ، وقد وضح الموقف السياسى فى البلاد وضوحا تاما بعد حريق القاهرة ، وعرف من لم يكن يعرف أنه لا توجد قيادة شعبية لثورة مصر ضد الاستعمار ..

فقيادة الوفد انتهازية وتمسك الحبل من الوسط ، فهى مع الشعب حينا وضد الشعب فى أغلب الاحيان .!

وكانت وزارة على ماهر التى تكونت عقب حريق القاهرة

عبارة عن خدعة اراد القصر والاستعمار بها التمهيد لحكم البلاد بالحديد والنار ثم تصفية الحركة الوطنية نهائيا على ايدى الخونة والاذناب وأصحاب المصالح المتناقضة مع مصالح الشعب !!

وفعلا لم تلبث وزارة على ماهر ان طارت فى فبراير .. اى بعد ايام من تأليفها !

حقيقة رشاد مهنا ..

وقبل ان امضى فى سرد احداث ما بعد حريق القاهرة ، أود ان اقف قليلا لاتحدث عن رشاد مهنا .. لازيح الستار عن سر آخر غير سر محمد نجيب !!

ان رشاد مهنا لم يكن فى تنظيم الضباط الاحرار ، لم يكن واحدا منا .. وعلاقته بنا سأتناولها بالشرح التام .. فقد حدث بعد انسحاب عبد المنعم عبد الرءوف من الجمعية التأسيسية للضباط الاحرار ان اقترح جمال عبد الناصر ضم رشاد مهنا بدلا منه ، وعارضت رأى جمال لانى كنت اعرف شخصية ذلك الرجل .. من تاريخه ومن واقع تصرفاته !!

لكن جمال ذهب فعلا الى رشاد مهنا وعاد ليقول لنا ان رشاد لم يصدق أن فى الجيش تنظيما سريا يعد العدة للقيام بثورة فى البلاد . كل ماكان يعرفه رشاد مهنا هو أن فى الجيش رأيا عاما ضد القصر فقط، وقال لنا جمال أيضا ان رشاد مهنا رفض ان ينضم الى التنظيم وقال انه يفضل التعاون من بعيد لبعيد !!

وهكذا تراجع رشاد مهنا فى عام ١٩٥٠ ، مثلما تراجع من قبل عام ١٩٤٢ .. ولذلك قصة سأرويها فيما بعد !!

وأعود الى قصتنا فأقول انه بعد ان طارت وزارة على ماهر فى فبراير عام ١٩٥٢ ، ذهب جمال عبد الناصر مرة

ثانية الى رشاد مهنا ، وفاتحه فى موضوع تنفيذ الخطة ..
اى قلب نظام الحكم !!
وهنا شعر رشاد مهنا ان المسالة جد ، وان الجيش فعلا يمكن ان يفعلها ــ اليوم ــ ويقلب النظام ، وقد وافق رشاد مهنا فى هذه المرة على الاشتراك فى تنفيذ الخطة ، وقال لجمال عبد الناصر ان معه ناسا ، اى وراءه راى عام فى الجيش ..! وقد وضع جمال خطة قلب نظام الحكم على أساس أن رشاد مهنا سيشترك فيها وان معه ناسا وصدرت الاوامر للضباط الاحرار بالاستعداد .. وكان ذلك فى مارس عام ١٩٥٢

رشاد مهنا يتراجع ..

وفجاة بعد أن أعددنا كل شيء للتنفيذ ، على أساس اشتراك رشاد مهنا معنا جاء ذلك الرجل الى جمال ليقول له انه نقل الى العريش ...

وعرفنا بعد ذلك ان رشاد مهنا قدم طلبا كتابيا الى رئاسة الجيش للخدمة خارج القاهرة .. ويبدو انه شعر بعد أن اتفق مع جمال على الاشتراك فى قلب نظام الحكم .. أقول انه شعر بالخوف فقدم ذلك الطلب ليبتعد عن هؤلاء الذين يريدون توريطه فى عملية قد تطير فيها رقبته !

وقد عدلت الخطة بعد تراجع رشاد مهنا وسفره الى العريش وكان لابد من تعديلها بحيث لاتعتمد على رشاد مهنا ، وألغيت الاوامر واجلت العملية الى أجل غير مسمى

كان موقف رشاد مهنا صدمة لكل الضباط الاحرار ، واخرجنا رشاد مهنا من حسابنا نهائيا ، مثلما أخرجنا عبد المنعم عبد الرءوف ، وكان ذلك باعثا على ارتياحى أنا شخصيا لانى كنت أعرف حقيقة رشاد مهنا اكثر من جميع الزملاء .. وكان رأيى دائما هو عدم الاتصال به أو الثقة فيه

محمد نجيب والرغبة السامية

مايو ١٩٥٢ ، وكنا فى رمضان ، طلب محمد نجيب عقد الجمعية العموميه لنادى الضباط بناء على رغبة سامية !

وعرض نجيب على الجمعية موضوع قبول عضو من سلاح الحدود ورفض الطلب بالاجماع ..

كان نجيب حتى ذلك التاريخ لا يدرى مايدور حوله .. لا يعرف شيئا ولا يرى شيئا ..

ان آخر شيء كان يتوقعه محمد نجيب هو ان يقلب الجيش نظام الحكم ؟

اقول كان لايعلم حتى ذلك الحين ـ مايو عام ١٩٥٢ ـ ان فى الجيش تنظيما سريا ولم يعرف أى شيء عن الضباط الاحرار ، وانما كان يعرف جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم

ولم يكن يعرفهم على أساس انهم يعملون داخل تنظيم سرى يعد العدة للقيام بثورة ، بل كان يعرفهم على أساس ان لهم رايا عاما فى الجيش فقط !

هكذا كان وضع قائد الثورة الذى حرر البلاد ، وطرد الملك واعلن الجمهورية وحطم الاقطاع وقضى على تجار السياسة والفساد

هكذا كان حال اللواء محمد نجيب فى عام ١٩٥٢ أى فى عام الثورة ، رجلا مسالما يرى أن الرغبة السامية لها احترامها ويرى ان المسألة فى الجيش ليست ثورة بل رأيا عاما لجمال وصلاح وعبد الحكيم !

هكذا كان حال الرجل الذى تحدث عنه العالم كله واشاد بثورته المجيدة وببطولته الفذة ، وقيادته للشعب المصرى فى معاركه ضد الاستعمار والاقطاع .. ضد جلاديه

كان مثل اى رجل فى مصر وفى مثل سنه ، مثل ابى وأبيك ...

كان موظفا يجلس الى مكتبه من الصباح حتى الظهر وليس فى ذهنه اى شىء عن العـــدالة الاجتماعية أو عن الاستغلال والاستبداد ومحنة الاستعمار ، كل الذى كان يشغل باله فى عام الثورة .. عام ١٩٥٢ هو نفس الشىء الذى كان يشغل بال اى موظف كبير فى مثل سنه .. ربما علاوة او ترقية أو منصبا آخر غير منصبه فى سلاح المشاة !

لم يكن يخطر على باله ان التاريخ يعده ليكون أكثر من هذا .. ليكون على رأس ثورة .. ثم ليكون رئيسا لجمهورية البلاد .. لا رئيسا اسلاح الحدود !!

ولم يكن يخطر على باله ان جمال وعبد الحكيم وصلاح الذين يراهم احيانا كما يرى عشرات غيرهم من الضباط فى كل يوم يعدون العدة لـكي يفتحوا امامه أبواب التاريخ ثم ليقولوا له .. تفضل .. انت زعيم !!

هذا هو وضع محمد نجيب فى عام ١٩٥٢ ... فى عام الثورة !!...

موظف كبير من موظفى الدولة .. اساءت اليه السراى عندما نقلته من وظيفته ، فقرر القدر ان يعوضه عن هذه الاساءة الهينة بوضعه على رأس الدولة !!

جمال وعبد الحكيم فى القاهرة

واعود الى القصة فأقول انه فى صيف ذلك العام بحث التنظيم امر تنفيذ الخطة من جديد .. وتقرر تأجيل التنفيذ الى نوفمبر من نفس السنة .. سنة ١٩٥٢

وكان هناك اربعة من الهيئة التأسيسية للتنظيم خارج القاهرة وهم جمال وعبد الحكيم وصلاح وكاتب هـــذه السطور .. كنا فى العريش ورفح

وفى شهر يوليو سافر عبد الحكيم عامر الى القاهرة فى اجازة مرضية ، وسافر جمال الى الاسكندرية فى اجازة أيضا ، ثم قطع جمال اجازته وعاد الى القاهرة بعـد أن

سمع اشاعات عديدة عن الاجراءات التى سيتخذها الملك ضد الضباط الاحرار .. وبعد ان سمع أن هناك أوامر من الملك بسرعة البحث عن هؤلاء الضباط بين أفرادالقوات المسلحة للبطش بهم .!

١٥ يوليو .. ونجيب لايعرف !

وفى ذلك الوقت أى فى يوليو .. أى فى شهر الثورة ، كان محمد نجيب مريضا فى منزله ، وأيضا ليس فى ذهنه شىء عن أية ثورة .!

ربما كان امله الوحيد فى شهر يوليو ان يغادر فراشه الى عمله فى سلاح المشاة ، وكان املنا نحن هو أن يغادر ذلك الرجل فراشه ليذهب الى قصر عابدين رئيسا للجمهورية !

أى موقف ذلك الذى مرت به الثورة المصرية فى ذلك الشهر من عام ١٩٥٢ .؟!

خطة الثورة توضع وقائد الثورة فىمنزله لا يعلم !؟ قائد الثورة فى فراشه والثورة نفسها تجهله .. قائد الثورة فى فراشه ، والثورة نفسها لا تدرى هل هو الذى سيوضع على رأسها ، أم سيكشف أحد حقيقته فىاللحظة الاخيرة ، مثلما اكتشف صلاح حقيقة فؤاد صادق .!؟

لم يكن هناك وقت على الاطلاق امام جمال ورفاق جمال لاكتشاف حقيقة محمد نجيب .. فنحن فى ١٥ يوليو .. ونجيب لا يعلم شيئا بالمرة .. ثم يصدر الامر بحل مجلس ادارة نادى ضباط الجيش

نجيب فى بيته لا يعلم

صدرت الأوامر بحل مجلس ادارة نادي الضباط فى ١٥ يوليو ١٩٥٢ .. كانت مفاجأة للجميع ، وان كنا نعرف أن القصر كان يتربص بمجلس الادارة المذكور بعد ان لمس مدى سيطرة ذلك المجلس على الموقف وتحديه للرغبات السامية ، ورفضه قبول عضو يمثل سلاح الحدود

ولم تصدر الاوامر فقط بحل المجلس ، بل وبتعيين مجلس ادارة مؤقت ، ليس للضباط الاحرار عليه سلطان او نفوذ !

وشعرنا جميعا بأن الضربة الثانية ستوجه للضباط الاحرار ، وكان علينا أن نبدأ فى العمل فورا لنضيع على القصر فرصة البطش بنا

وفى ١٦ يوليو عقد اجتماع سريع حضره جمال وحسن ابراهيم وكمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين وبغدادى وكان ذلك الاجتماع هو أخطر اجتماعات الهيئة التأسيسية التى كان بعض أفرادها فى فلسطين ورفح فى ذلك الوقت ، وفى ذلك الاجتماع تقرر بدء المعركة الكبرى النهائية ، وكان يجب علينا ان نأخذ بمبدأ المباداة حتى لا نؤخذ على غرة ، ويتوصل جواسيس القصر الى معرفة اشخاص الضباط الاحرار وتشكيلاتهم فى أسلحة الجيش المختلفة

الوقت سيد الموقف ..

وكانت هناك حركة تنقلات ضخمة فى الجيش ، وشعر

التنظيم أن هذه الحركة انما الغرض منها هو تشتيت شمل الضباط الاحرار واحداث ارتباك بين صفوفهم .. وفعلا حدث ما كانت تهدف اليه رئاسة الجيش .. فقد بدأت التحركات بين وحدات الجيش على أثر صدور حركة التنقلات السريعة وشعر التنظيم بالخلل فى جهازه نتيجة لتلك التحركات .. فهناك ضباط أحرار كان عليهم أن يتركوا أماكنهم الى غيرها نتيجة لتلك التحركات الجديدة

كانت فترة حاسمة فى تاريخ الضباط الاحرار ، وكان الوقت هو سيد الموقف .. ولابد من التماسك والتكتل ثم الوثوب على الاعداء قبل ان تحدث كارثة

كانت هناك خطتان .. نواجه بهما الموقف :

الأولى هى البدء فى تنفيذ الخطة الاساسية ، اى القيام بقلب نظام الحكم ، واقامة نظام جديد ، فاذا لم يكن هذا ممكنا . أى اذا ما جاءتنا احداث جديدة ، أو ظروف طارئة تؤجل الخطة الاولى وتنفذ الخطة الثانية وهى كانت تقضى بالقيام بحركة اغتيالات على نطاق واسع

كنا فى ١٨ يوليو ، شهر الثورة .. وعندما استعرضت الخطة الثانية اعترض عليها جمال عبد الناصر

قال ان الاغتيالات لن تحقق أهدافنا ، لأن النظام سيبقى كما هو حتى لو نجحت خطة الاغتيالات

وقال جمال أيضا ان هذه الخطة سوف تعطى فرصة لقوى الرجعية مجتمعة تقضى فيها على جميع الضباط الأحرار . وبهذا نكون قد ضيعنا الفرصة الكبرى على الشعب ، فرصة قيام القوات المسلحة وهى أمل البلاد الوحيد بقلب نظام الحكم

١٩ يوليو ونجيب لايعلم .!

كانت الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار توالى اجتماعاتها فى تلك الايام التاريخية الرهيبة المليئة بالاحداث

وابلغ جمال الهيئة أنه يمكن تنفيذ الخطة الأساسية بالقوات الموجودة ، وقال ان ذلك يمكن ان يتم ليلة ٢١ و ٢٢ يوليو

كل هذا كان يحدث وكل تلك الاحداث التاريخية الكبرى كانت تقع واللواء نجيب فى بيته لايعلم شيئا ولايرى شيئا .. بل لم يكن قد عرف أن فى الجيش تنظيما سريا سوف يقلب نظام الحكم .. وكنا فى ١٩ يوليو

وقد صدرت الأوامر لجميع الضباط الاحرار بالانتظار يوميا فى « مراكز تجمع » من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى منتصف الليل .. وابلغوا بموعد التنفيذ ، وكل هذا واللواء نجيب فى بيته لا يرى شيئا ولا يسمع شيئا ، بل ولم نكن قد فاتحناه حتى ذلك الوقت بمسألة قيادته للثورة .. على أى حال لقد كان كل شىء يعد له لكى يدخل من أبواب التاريخ ، لكى يحرر الشعب ، ويطرد الملك ويقضى على الفساد ويعلن الجمهورية

كنا جميعا نمهد له الطريق فى تلك الايام نحو الخلود .. كنا نواصل ليلنا بنهارنا لكى يخرج من بيته ـ وهو لا يعلم ـ ويقال له .. أنت زعيم

رقابنا .. ومصائر اطفالنا وزوجاتنا .. كل هذا لكى يصبح اللواء الذى فى بيته على رأس الدولة وهو لايعلم

وكما قلت كنا فى ١٩ يوليو ، اى قبل الثورة بأربعة أيام

لنتأمل ـ اذن ـ فى هذا الوضع التاريخى العجيب ، وليتأمل معنا العالم كله فى كيف يصبح الرجل ـ اى رجل ـ زعيما وقائدا لثورة شعبية فى أربعة أيام .. فى غمضة عين

اليس هذا شيئا أشبه بالسحر ؟ ألا يذكرنا هذا بمصباح علاء الدين وخاتم سليمان ، والعملاق الذى يخرج من القمقم ليقول : شبيك لبيك عبدك وملك يديك !

لقد قلنا للواء نجيب هذا .. قلنا له شبيك ولبيك وكل ماتطلبه بين يديك .. وطلب أن يكون فكان

العمالقة على باب نجيب ..

قلت أننا كنا فى ١٩ يوليو ، وكانت الاوامر قد صدرت الى مجموعات الضباط الاحرار ، وكان على كل مجموعة أن تنفذ دورا معينا فى الخطة

وكان جمال عبد الناصر هو الذى وضع الخطة العامة وعاونه عبد الحكيم عامر وكمال حسين ، وكان عبد الحكيم فى تلك الايام كما قلت — فى الفصل السابق — فى أجازة مرضية

وتم وضع الخطة العامة ثم كلف عبد الحكيم بوضع الخطة التفصيلية واستعان عبد الحكيم بزكريا محيى الدين

وفى ٢٠ يوليو أى قبل الثورة بثلاثة ايام توجه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر الى بيت محمد نجيب لابلاغه بأنه الزعيم والقائد ومحرر البلاد الذى سيقلب نظام الحكم

وطرق العملاق باب البيت وكان عند نجيب البكباشى جلال ندا والصحفى محمد حسنين هيكل .. وكانت الانظار قد اتجهت الى نجيب فى ذلك الوقت بعد أزمة مجلس ادارة نادي الضباط

واقول مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى الألف أن نجيب لم يكن يعلم لماذا جاء اليه جمال وعبد الحكيم .. وربما ظن أن الاثنين جاءا لمواساته بعد حل مجلس ادارة النادى ولتشجيعه كالعادة .. وتظاهر جمال وعبد الحكيم انهما جاءا للاستفسار عن صحة اللواء .. وبدأ الحديث فى موضوع آخر غير موضوع الثورة .. فلا احد فى الحجرة كان يعلم ماذا فى رأس جمال وعبد الحكيم ، ولا احد فى الحجرة — حتى نجيب — كان يتخيل انهما جاءا ليقولا

لنجيب أيها القائد .. أنت زعيم الشعب

والحديث الذى دار كان حول موضوع نادى الضباط فقد كان ذلك الموضوع هو حديث الناس فى ذلك الحين ، ودار الحديث ـ كما قلت ـ حول التصرف الذى يمكن ان يحدث بعد حل مجلس ادارة النادى .. وقال جمال عبد الناصر :

ـ احنا عاوزين نرفع قضية أمام مجلس الدولة .. ومحتارين مين اللى يرفعها

وقال جلال انه مستعد ان يرفع القضية باعتباره ضابطا على المعاش وعضوا فى النادى

ومضى جمال حتى نهاية الشوط فأخرج ستة جنيهات وأعطاها لجلال ندا كمصاريف القضية .. ولم يتمكن جمال وعبد الحكيم من الانفراد بنجيب . وكان عليهما أن يتظاهرا أمام نداوهيكل بأنهما ما جاءا الا للاستفسار عن صحة نجيب

وظلا جالسين فترة طويلة ، والحديث يدور حول نفس الموضوع .. وحول القضية التى سيرفعها جلال ندا امام مجلس الدولة .. وأخيرا لم يجد جمال وعبد الحكيم بدا من الانصراف .. دون أن يفاتحا « نجيب » فى مسألة الثورة .. وهو كان لايدرى ماذا فى رأسيهما

وبعد تلك الزيارة ـ فى ٢٠ يوليو ـ لمس جمال انه ربما يكون من الخطر على الثورة الاتصال بنجيب مرة ثانية ، اذ ربما انه كان فى ذلك الوقت موضوعا تحت المراقبة

وامام هذا الخاطر قرر جمال الاتصال بنجيب بعد نجاح الخطة .. اى بعد القيام بالثورة

ازمة النادى وازمة الحكم !

وجاء يوم ٢١ يوليو .. ولم تكن الخطة التفصيلية قد فرغ منها بعد

وأجلت العمليـــة من ليلة ٢١/٢٢ الى ٢٢/٢٣ حتى يمكن استدعاء جميع الضـــباط الاحرار الذين لازالوا فى الاجازة وكان كمال الدين حسين هو حلقة الاتصال معهم .. يبلغهم تطورات الموقف اولا بأول

فماذا حدث بعد ٢١ يوليو ؟!

اى قبل الثورة بيومين اثنين ؟!

ان نجيب لم يعرف. كان لا يزال ينتظر فى منزله حل أزمة نادي الضباط ، أما نحن فكنا ننتظر حل أزمة نظام الحكم



أحداث الليلة الأولى

احداث الليلة الاولى

تاجلت عملية قلب نظام الحكم من ليلة ٢٢/٢١ الى ٢٢ / ٢٣ يوليو ، حتى يمكن استدعاء جميع الضباط الاحرار الذين كانوا فى الاجازة ..

وكمال الدين حسين كان حلقة الاتصال بين التنظيم وبينهم ، ليبلغهم تطورات الموقف أولا بأول ، بعد أن اتخذت الجمعية التأسيسية للضباط الاحرار قرارا ببدء الثورة

وكنت قد قلت فى مقال سابق أن جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ذهبا الى بيت اللواء نجيب يوم ٢٠ يوليو ، ليبلغاه ـ ولاول مرة ـ أن فى الجيش تنظيما سريا له تشكيلات فى جميع وحدات القوات المسلحة .. !

ثم ليبلغاه أيضا أن هذا التنظيم السرى الضخم قرر القيام بقلب نظام الحكم وانه ـ اى التنظيم ـ قد اختاره ليكون قائدا للثورة وأن العملية ستبدأ بين لحظة وأخرى !

وفى بيت نجيب وجد الرفيقان زوارا عنده ، فلم يتمكنا من ابلاغه هذه الحقائق ودار الحديث حول الموقف بعد حل مجلس ادارة نادى الضباط، وكان نجيب يجهل تماما الغرض الذى جاء من اجله جمال وعبد الحكيم . كان يعتقد انهما ما جاءا الا لزيارته ، ولتشجيعه ـ كالعادة ـ بعد أن حل مجلس ادارة نادى الضباط ..

ومر الوقت والزوار مع نجيب ، والرفيقان يتحدثان عن كل شيء ما عدا ـ الثورة ـ وقلب نظام الحكم

ثم خرجا بعد أن أوهما الزوار ومحمد نجيب أيضا أن

كل ما يشغل بالهما هو رفع قضية فى مجلس الدولة ، لعدم شرعية حل مجلس نادى الضباط وتعيين مجلس جديد له

وفى ذلك اليوم ــ ٢٠ يوليو ــ قرر جمال عدم الاتصال باللواء نجيب ، لابلاغه بأن الثورة ستقوم وانه قائدها ، الا بعد انتهاء العملية ونجاحها ..

لقد قال جمال أن بيت نجيب ربما كان موضوعا تحت المراقبة ، بعد أن ظهر أمام السراى كخصم لحسين سرى عامر ، وفى هذه الحالة يصبح الاتصال بنجيب قبل بدء العملية خطرا على الثورة

الوزارة الخامسة والاخيرة .. !

وبعد هذا أى فى ٢٠ يوليو ، تحدد موعد قيام الثورة نهائيا ليلة ٢٢/ ٢٣ يوليو ، وصدر ذلك القرار بالموعد النهائى من أعضاء الجمعية التأسيسية الموجودين فى القاهرة ، ولم اكن موجودا يومها فى القاهرة وأيضا صلاح سالم وجمال سالم فقد كنا فى العريش ورفح

وفى ذلك الوقت ، عندما قررت القوات المسلحة قلب نظام الحكم فى البلاد كان حسين سرى قد استقال مع وزارته ، وهى الوزارة المشهورة التى كان كريم ثابت ــ باشا ــ وزيرا فيها ـ

ودارت المشاورات كالعادة لتأليف الوزارة الخامسة بعد حريق القاهرة

وكانت حكومة حسين سرى فى قبضة السماسرة والخدم، وكذلك كانت كل الوزارات التى تكونت بعد حريق القاهرة لا يكاد افرادها يستقرون على مقاعد الحكم حتى تتحرك أصبع سمسار أو خادم فيطيروا من فوق المقاعد كالدمى..

كيف يحكم الشعب !؟

ان نظام الحكم فى ذلك الوقت كان يتهاوى من تلقاء نفسه، والبلاد معه ..

والمسألة كانت : هل يحكم الشعب أم يحكم القصر عن طريق عملائه من أمثال كريم ثابت ؟ !

ان الشعب كان لا يحكم على الاطلاق فكانت الوزارات التى تتكون تبدو كحكومات لشعوب أخرى تعيش فى بلاد أخرى غير مصر

فكيف ــ اذن ــ كان يمكن أن يحكم الشعب والقوات المسلحة هى التى كانت قيادتها تحمى النظام نفسه ؟!

كان حتما ــ اذن ــ كما قلت فى مقالاتى كلها أن يتخلى الجيش عن قيادته الخائنة المتآمرة مع القصر والاقطاع والاستعمار على الشعب ..

تلك القيادة التى خضعت للقصر وحكومة الوفد أيام معارك القنال ، فمنعت القوات المسلحة من خوض تلك المعارك جنبا الى جنب مع أبناء البلاد على اختلافهم

كيف ظهرت القيادة الجديدة !؟

وكما قلت وسأقول دائما أن الثورة المصرية كان عليها فى عام ١٩٥٢ ، أن تجد قيادة جديدة لها ..

قيادة غير وفدية ، لان الوفد انسلخ عن الشعب عندما ضمت قيادته الاقطاعيين

وغير قيادة السعديين والاحرار الدستوريين الذين يمثلون مصالح الساسة الذين خلقهم الاستعمار والقصر والرجعية المصرية ..

وغير قيادة الاخوان ، لأن الاخوان أهدافهم هى استغلال الدين لمصالح الرجعيين ..

هو الدين الذى تقف آياته فى صف الشعوب لاحكامها ..

أين ــ اذن ــ كان يمكن ان تظهر قيادة شعبية للثورة المصرية ؟!

وفى أى صفوف بين هذه الملايين المصرية المستعبدة يمكن

أن يخرج زعماء يولون وجوههم شـــطر الشعب ويعطون ظهورهم للاستعمار والقصر !؟
ليس هنـاك سوى القوات المسلحـة كما قلت ، فهى الصفوف التى تضم الوف المصريين المسلحين ..
والضباط والجنـود الذين تضمهم تلك القوات ليسوا مرتبطين ـ بأية مصـالح ـ مع القصر والاقطاع وحاميهما الاستعمار .. !
فقيادة الثورة المصرية تكون فى هذه الحـالة خاضعة لمصالح الشعب ، ويمكن أن تمضى فى الطريق الذى يحقق تلك المصالح
وكانت منشورات الضباط الاحرار تعلن أهداف تنظيمهم الضخم الذى يعمل لقلب نظام الحكم فى البلاد ، وهى ـ أى المنشورات ـ كانت تحـدد اتجاهات الشعب تماما ، فى السياسة وفى الاجتماع ، كانت المنشورات صدى لما يعتمل فى صدور الملايين المصرية .. !
وفى كل صباح كانت تلك المنشـورات تحمل أهـداف القيادة الجديدة .. الى الشعب والجنود والضباط
والضباط الاحرار كانوا قد انتشروا بالعشرات فى جميع وحدات الجيش ، حتى أن ادارة المخابرات وهى من أخطر أجهزة الجيش وأمنعها كان للضباط الاحرار أفراد فيها !
وامام هذه الحقائق كلها تقرر قلب نظام الحكم بواسطة القوات المسلحة .. وتحددت ـ كما قلت ـ ليلة ٢٣/٢٢ للبدء فى العملية .. لقد ظهرت القيادة الجديدة !

فى مطار العريش ..

وفى يوم ٢١ يوليو .. فى ساعة مبكرة من الصباح كانت هناك طائرة تتجه من القاهرة الى العريش .. وهى نفسها الطائرة التى تسافر الى العريش عادة كل يوم ـ اثنين ـ لكن فى هذه المرة كان حسن ابراهيم فيها ، أرسله جمال

عبد الناصر الينا .. صلاح سالم وجمال سالم وأنا
وكان جمال عبد الناصر قد اتصل بنا تليفونيا وأخطرنا بأن « حسن » فى طريقه الينا .. وفى مطار العريش كنت مع جمال سالم فى انتظار الطائرة
جاء حسن ابراهيم ليبلغنا أن الخطة الاساسية ستنفذ ما بين ٢٢ يوليو و ٥ أغسطس !!
وطلب حسن منى أن أسافر على الفور الى القاهرة لمقابلة جمال عبد الناصر .. !
وقال جمال سالم أنه ما دامت الخطة ستنفذ خلال هذه الفترة ، فانه سيبقى فى العريش لينهى بعض الاعمال العاجلة ، ثم يطير الى القاهرة يوم الخميس
وتركت حسن ابراهيم لأعود الى رفح سريعا ، وأعددت حقائبى على الفور ، ثم استأذنت من قائدى فى السفر ، بعد أن أخبرته أن والدتى مريضة جدا .. وكان القطار الذى يسافر الى القاهرة يقوم فى الصباح .. !
وفى صباح ٢٢ يوليو كنت جالسا فى قطار القاهرة

من السينما الى المعركة !

وفى محطة القاهرة وكانت الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ، رأيت أن أقضى السهرة مع أولادى فى احدى دور السينما الصيفية القريبة من منزلنا .. اعتزمت هذا على أساس أننى سأتوجه فى الصباح التالى لأقابل جمال عبد الناصر وأتلقى منه ما يخصنى من أوامر لتنفيذ الخطة ..
وكانت دار السينما تعرض ـ كالعادة ـ ثلاثة أفلام مرة واحدة .. وجلست مع الاولاد فى السينما نتابع الروايات الثلاث

وفى خلال تلك المدة كان جمال قد ذهب الى منزلى بسيارته الاوستن المشهورة ولم يجدنى ، ولم يعرف البواب دار السينما التى ذهبنا اليها وعاد جمال يسأل مرة أخرى بعد

ساعة فلما لم يجـدنى ، ترك لى بطاقة مع البواب كتب عليها :

« المشروع ينفذ الليلة ، المقابلة فى بيت عبـــد الحكيم الساعة ١١ .. »

وجمال فى تلك الليلة كان يلف بسيارته فى جميع انحاء القاهرة كالنحلة تماما .. ليوزع الاوامر على الزملاء ..

وما كاد البواب يناولنى البطاقة بعد عودتنا من السينما حتى وجدت نفسى أقفز فوق درجات السلم الى شقتى ، تاركا أولادى مذهولين مع البواب .. !

وخلعت القميص والبنطلون ، وارتديت ثيابى العسكرية ، ثم ركبت سيارتى الخاصة الصغيرة وانطلقت بها ..

اننى لم اجد أحدا فى بيت عبد الحكيم عامر .. فأين أذهب .. كنت حائرا !!

الملازم الذى قبض على !!

لم أر بدا من التوجه الى مبنى رئاسة الجيش ، لا بد أن قواتنا قد اتجهت اليها ما دامت العملية قد بدأت ، وكنت منطلقا فى شوارع القاهرة بأقصى سرعة تحتملها السـيارة الصغيرة ، وعند قشلاق العباسية أوقف أحد الضـباط سيارتى .. ولما رأى رتبتى خاطبنى باهجة حاسمة مليئة بالحزم ، بالرغم من انه كان يوزباشيا لكنه كان من الضباط الاحرار ..

قال لى أن لا أذهب الى وحدتى فى الصباح وأن أكون فى انتظار أوامر جديدة !

وعلمت أن تلك كانت صيغة الامر الذى يبلغه الضباط الاحرار الى جميع الضباط من رتبة بكباشى فما فوق ..!

وتابعت مسيرى فوصلت الى قشـلاق السوارى ، وكان الطريق هناك مقفلا ، وتأكدت أن العمليـة بدأت فعـلا ،

وخاصة بعد أن سمعت أصوات مئات الطلقات وهى صادرة من ناحية مبنى القيادة ٠!

وأردت أن أمر من « الكردون » الذى صنعته قواتنا ٠٠ ولكن الضابط منعنى ٠ وكان صارما جدا معى ٠٠ لأنى لا أعرف كلمة السر ٠!

كان موقفى رهيبا ٠٠ فبلا كلمة السر لن يسمح لى الضابط الصغير أن أمر من « الكردون » الا على جثته ٠!

فكيف أتصرف اذن ٠!؟

كيف أقنعه أنى من الاحرار ٠٠ كيف أدعه يتركنى أخوض المعركة مع قواتنا ٠٠

لقد كنت أرى أشباحا عديدة من بعيد .. انها قواتنا تقلب نظام الحكم ٠٠ وأنا واقف خلف « الكردون » والضابط الصغير يمنعنى بل وبدأ يتحرش بى ٠٠!

وامتلأت رأسى بمئات الخواطر ٠٠ ترى هل أصيب أحد من الزملاء ٠٠ ترى ماذا يصنع جمال الآن ٠٠ وأين عبد الحكيم ٠٠ أين الجميع وماذا صنعوا ٠٠!؟

وعدت بسيارتى ثم اضطررت الى اللف من فوق كوبرى القبة ، لأمر من المدخل الثانى للكوبرى الذى يواجه مستشفى الجيش

وهناك وجدت الطريق مغلقا أيضا ، ولكن ضابط « الكردون » كان يعرفنى ٠٠ لمحت وجهه من بعيد فعرفته ، انه ملازم أول كان يعمل معى فى رفح ، وهو يعرفنى شخصيا ، قضينا معا وقتا طويلا فى مكان واحد ٠!

واقتربت من « الكردون » ، وقد استراحت أعصابى قليلا ٠٠ أضاء الامل فى صدرى ٠٠ سوف أمر اذن وأشترك فى العملية !!

وما كدت أقترب حتى سمعت صوت الملازم صديقى وهو يمنعنى من الاقتراب ٠٠ ثم وهو يقترب منى ويرى وجهى ٠٠ لكن لاتظهر على وجهه علامات تبشر بالخير ، فبالرغم من أنه

عرفني الا أنه كان لايعلم انى من الضبـاط الاحرار فالقى القبض على فى الحال ٠!!
وهنا شعرت بصدرى يمتلئ بالضيق وبرأسى تكاد تنفجر، حاولت افهامه دون جدوى ، ان الصداقة التى تربط بيننا لم تشفع لى عنده فى معركة الحياة أو الموت ٠٠ فلم يصدقنى لانى لا أعرف كلمة السر ٠!
ولم أعـرف ماذا يمكننى أن افعـل ، وزاد من هلعى أن أصوات الطلقات النارية من قريب ازدادت حدتها ٠!!

يا عبد الحكيم ٠٠ أنا أنور ٠!!

وفجأة أضاء الامل مرة ثانية صدرى ٠ وكنت مع الملازم صديقى الذى قبض على فوق الكوبرى ، فسمعت صوتا من بعيد يشبه صوت عبد الحكيم عامر ٠٠ واجتاحنى شـعور بالخلاص ، كان الصوت القريب الى نفسى يصدر تعليمات الى قوات كثيرة ، ويحدد لها أماكنها ٠٠ وفى هـــذه اللحظة كانت العربات المحملة بالجنود والضبـاط تمر من أمامى ، انها قواتنا بدأت تقلب نظام الحكم !
ووجدت نفسى أنادى بملء صوتى :
يا عبد الحكيم ٠٠ يا عبد الحكيم ٠٠ أنا انور ٠!
ورأيت شبح عبد الحكيم يقترب منا ٠٠ وهنا فقط أفرج عنى صديقى الضابط !

البطل الصامت ٠!!

ومضيت مع عبد الحكيم ٠٠ لم يكن معى سلاح ، وناولنى عبد الحكيم طبنجة ٠٠٠ وهو فى تلك الليلة كان يحمل كل أنواع الاسلحة الصغيرة ٠٠
وبدأت أسأل عبد الحكيم فى لهفة عن الموقف ٠٠ وكان صوت الطلقات لايزال يدوى كالرعد من حولنا ، وقال عبد الحكيم :



اللواء عبد الحكيم عامر

ـ رئاسة الجيش سقطت ..
وصمت ثم عاد يرد على أسئلتى فى هدوء عجيب ..
قال لى :
ـ الطلقات اللى انت سامعها دى عملية تطهير لمبنى الرئاسة !
ولم يقل لى عبد الحكيم فى تلك اللحظة انه هو الذى قاد معركة رئاسة الجيش ، وانه هو الذى احتلها بجنوده !
هو الذى قاد الجنود ثم تقدمهم واقتحم بهم المبنى وهو يحمل طبنجته .. تماما مثلما فعل ذات يوم فى فلسطين.. عندما تقدم وفي يده مسدس ومن خلفه عساكره واقتحم مستعمرة نيتساليم ... وكان تصرفه ذاك أشبه بالاساطير التى ترويها لنا جداتنا ...
ولولا انه رقي الى رتبة صاغ استثنائيا لما عرف أحد ماذا صنعه يوم نيتساليم .. انه صامت على الدوام ، لايتكلم أبدا عن نفسه ، وأعصابه تبدو كأنها فى أعماق الجليد !!
لقد كان عبد الحكيم عامر دائما باسلا حاسما يخوض معاركه بايمان راسخ متين وأعصاب تبدو ساعة المعارك كأنها الفولاذ !
انه فى يوم نيتساليم بمسدسه وعساكره من خلفه ..
وفى يوم رئاسة الجيش بمسدسه وعساكره من خلفه ..
وفى يوم ٢٧ فبراير فيما بعد .. فى عام ١٩٥٤ حين تدخل ببسالته وحسم الموقف ، فمنع بجرأته قيام حرب أهلية كانت على وشك أن تقع بعد دقائق ..
أقول فى كل هذه المواقف كان عبد الحكيم بطلا أسطوريا يحمل رأسه على كفيه وبايمان لايزعزعه رصاص أوديناميت!

المخابرات تعرف الخطة

وأعود الى قصتنا ... الى قصة سقوط رئاسة الجيش.. بمن فيها من قواد !!

فى الساعة الحادية عشرة مساء يوم ٢٢ يوليو ، توجه احد ضباط المخابرات ، اليوزباشى سعد توفيق وهو كان من الضباط الاحرار وأبلغ جمال عبد الناصر أن الخطة اكتشفتها رئاسة الجيش ، وان حسين فريد رئيس هيئة اركان حرب الجيش ، قد دعا قواد الوحدات الى مؤتمر عاجل فى مبنى الرئاسة ..

جمال كقائد ..

وكان معنى ذلك أن الثورة لن تقوم ... بعد أن عرفت قيادة الجيش خطة الضباط الاحرار ..

لكن جمال عبد الناصر لم يتراجع..ان العملية قد بدأت ولا سبيل الى التقهقر ، فلم يبق غير ساعة واحدة وتصل جميع قواتنا الى مراكز تجمعها .. وتبدأ المعركة !!

أقول لم يتراجع جمال ، بل قرر القبض على هؤلاءالقواد الذين دعاهم حسين فريد للاجتماع فى مبنى الرئاسة !!

وفى ذلك الوقت ، وبعد كل تلك التطورات كان اللواء محمد نجيب لايزال فى منزله .. لايرى شيئا ولا يسمع شيئا !

كيف نجحت الثورة ؟

شخصية جمال

بدأت الثورة اذن ـ واللواء نجيب لايعلم ··
وانطلقت رصاصات جنود عبـد الحكيم عامر حول مبنى رئاسة الجيش وسقطت القلعة المنيعة في ثوان ·· وبقوادها
لقد كان بين الذين وقعوا فى قبضة الثورةوفى لحظاتها الاولى رئيس هيئة أركان حرب الجيش بلحمه ودمه ·!
لقد وفر لنا كشف المخابرات لخطتنا وقتنا طيبا ، كماوفر علينا جهودا ضخمة فى نفس الوقت فبعـد أن علم جمـال عبد الناصر بأن المخابرات كشفت الخطة كان مفروضـا أن تقف جميع العمليات التى سيقوم بها الضباط الاحرار يوم ٢٢ يوليو ··· أى تقف الثورة ويبقى النظام ··!
وهنا تتضح شخصية جمال كقائد ·· انه لا يتراجع·· انه يصمد ·· يقرر هذا بعد أن علم باجتماع قوادالوحدات لمواجهة الثورة واخمادها ·· وبعد أن عرف هـذا كله قرر القبض على هؤلاء القادة فى مبنى رئاستهم ، وبهـذا يوفر التنظيم جهودا ضخمة فى الرجال والوقت كانت ستـبذل للقبض على هؤلاء القواد فى منازلهم ·· كل على حدة !·
لقد اصطاد جمال عصافير عـديدة بحجر واحـد ·· أما الحجر فكان عبارة عن مجموعة من الجنود فوجىء جمال بهم ليلة الثورة وهميتقدمون تحت رئاسة ضابطهم ـ اليوزباشى محمد شديد ـ نحو مراكز تجمع قوات الضباط الاحرار ·· وظن جمال أن تلك القوة أوفدتها رئاسة الجيش كمقدمـة للقوات التى ستحشدها لاخماد الثورة ·!!
وتتضح الحقيقة ·· ويعرف جمال أن اليوزباشى «شديد»

جاء بتلك القوة التى تعمل تحت رئاسته من تلقاء نفسه ، وبلا أوامر من أحد عندما علم بأنباء الثورة ، فقرر أن يشترك بجنوده فى المعركة قبل موعد بدئها بساعة ٠!!

وكانت تلك المفاجأة مكملة لمفاجأة كشف المخابرات للخطة، واجتماع قواد الجيش العاجل بدعوة من حسين فريد فى مبنى الرئاسة !٠

واتخذ قرار فى الحال بعد وصول قوة الضابط شديد بأن تتوجه نفس القوة برئاسة عبد الحكيم عامر وتحتل مبنى رئاسة الجيش ثم تلقى القبض على القادة أثناء اجتماعهم العاجل ٠!

وفعلا قام عبد الحكيم وهو يشهر مسدسه ، وتقدم الجنود ثم اقتحم بهم مبنى الرئاسة وانتصر التنظيم فى المعركة الاولى ، وهى كانت أول معركة حاسمة ، تكسبها الثورة٠!

وقد قتل فى تلك المعركة اثنان وجرح أربعة من الفريقين٠!

مفيش حاجة

كان كل واحد من الضباط الاحرار يحتل مكانا معينا فى أرض العملية ، وكل واحد كان عليه تنفيذ جزء من الخطة٠٠ ولعل جمال عبد الناصر كان الوحيد الذى ليس له مكان يستقر فيه ٠٠ كان يطوف بأرض العملية كلها !

وبعد أن سقطت رئاسة الجيش وقبض على رئيس هيئة أركان الحرب وقواده كان جمال قد انتهى من طوافه، واطمأن على نتائج الضربة الاولى فتوجه الى مبنى رئاسة الجيش وجلس فى المكتب ٠٠٠ ثم دق جرس التليفون بعد وصول جمال بقليل ، وكان المتحدث هو اللواء عبد الله النجومى٠٠

وسمع جمال النجومى يسأل عن حسين فريد رئيس هيئة أركان الحرب ٠٠ ورد عليه جمال بأن الباشا يقوم بجولة تفتيشية !

وسأل النجومى عن اسم من يتحدث اليه فقال له جمال انه الضابط النوبتجى !

والنجومى كان يتحـدث من الاسـكندرية ليطمئن على الموقف .. وسمع جمال النجومى يقول له :
ـ حسين فريد وهوه بيكلمنى من شوية سـمعت ضرب نار والسكة انقطعت
ورد عليه جمال فى هدوء :
ـ لا .. مفيش حاجة أبدا !

رشاد مهنا مرة أخرى .!

وفى الساعة الثانية من صباح ٢٣ يوليو بلغت من القاهرة اشارة ـ النجاح ـ المتفق عليها الى جميع وحـدات الجيش خارج القاهرة... فلم تمض ساعة حتى كانت جميع وحدات القوات المسلحة يسيطر عليها الضباط الاحرار ..

فقد كانت التعليمات تقضى بأنه بمجرد تبليغ اشـارة النجاح يسيطر الضباط الاحرار على القوات فى الحال

وفى العريش ورفح كان صـلاح سالم وجمال سالم قد سيطرا على جميع القوات هناك سيطرة كاملة .. بمن معهما من ضباط أحرار

وفى تلك اللحظة وبعد أن سـيطرجمال سالم وصـلاح سالم على قوات العريش ورفح توجه جمال سالم الى رشاد مهنا .. وكان وقتذاك فى العريش كمـا سبق أن قلت فى مقال سابق ، وطلب جمال سالم من رشادمهناأن يتولى قيادة لواء العريش وبالرغم من أن رشادا كان قد عرف أنباء نجاح التنظيم فى السيطرة على الجيش ، الا أنه ترددأيضا فى هذه المرة مثلما كان دائما يفعل كلما اتصل به أحد من التنظيم ليطلب منه أن يشترك فى العمليات !

وبعد أن رفض رشاد مهنا أن يتولى القيادة فى العريش، طلب جمال سالم من صلاح حتاته ـ رئيس الدائرة الاولى لمحكمة الشعب اليوم ـ أن يتولاها وفعلا تولى صلاح قيادة لواء العريش بدلا من رشاد مهنا !

حقيقة تعلن لأول مرة ٠!

أين كان نجيب أثناء هــذا كله ٠٠ وماذا كان يفعل ٠٠ والساعة كانت الثالثة من صباح ٢٣ يوليو ٠٠ وكل شيء كان قد تم بنجاح مذهل ، وأقول كل شيء لأن قيادة الضباط الاحرار كانت تؤمن بأن السيطرة على القوات المسلحة بعد ابعاد قيادتها الخاضــعة للملك هو الاساس فى عملية قلب نظام الحكم !

وقد تم هذا فعلا فى الساعة الثالثة من صباح ٢٣ يوليو ٠٠ وسيطر الضباط الاحرار على جميع قوات مصر المسلحة فى القاهرة وخارج القاهرة فى تلك الساعة !

فأين كان اللواء محمد نجيب ٠٠٠ قائد الثورة ؟!

أين كان فى تلك الساعة ٠٠ بعد نجاح العملية الكبرى وبعد أن أصبح نظام الحكم بلا جيش يحميه ٠٠ ويذود عنه!

فى الساعة الثالثة صباحا من ٢٣ يوليو بدأ أول اتصال بين قيادة الجيش الجديدة أعنى الضباط الاحرار وبين محمد نجيب ٠٠ وهذه حقيقة تعلن على العالم لاول مرة !

وكان ذلك الاتصال عن طريق التليفون !

لقد دق جرس التليفون فى رئاسة الجيش للمرة الثانية، ورفع جمال عبد الناصر السماعة ٠ وظن أن المتحــدث هو اللواء عبد الله النجومى أيضا ٠٠ يريد أن يطمئنــه حسين فريد على الحالة !

ولــكن المتحدث فى هذه المرة كان اللواء محمد نجيب ٠٠ وكان يتكلم من منزله ٠٠ وقال محمد نجيب بالحرف الواحد:

ــ المراغى اتصــل بى من اســكندريه ٠٠ قال لى روح هدى الحالة فى رئاسة الجيش ٠٠ هيه ايه الحكاية ياجمال!؟

وانى أنقل هنا ما كتبه اللواء محمد نجيب بنفسه فى عدد الاهرام الصادر فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٤ ونشرت الجريدة ما كتبه نجيب فى صــفحتها الاولى تحت عنــوان ٠٠ قائد الثورة يسنجل ٠٠

قال نجيب عن حديث المراغى معه بالحرف الواحد :

ـ دق جرس التليفون فى منزلى ، واذا بالاستاذ مرتضى المراغى يكلمنى من الاسكندرية ويقول لى : الاولاد بتوعك متجمهرين عند كوبرى القبة وعاملين دوشة ٠٠قوم سكتهم أحسن مش راضيين يسمعوا كلام حد !

وقلت له : أنا ماعنديش أولاد ولا حاجة !

قال لى : فيه شوية ضباط متهورين عاملين دوشة ٠٠!

قلت له : أعرف منين الكلام ده ، يمكن حد مدبر مكيدة ضدى علشان أروح وتمسكونى وتقولوا ده شريك معاهم٠٠

فقال لى المراغى : أنا حا أجيب لك دولة الرئيس الهلالى باشا علشان يكلمك بنفسه ويعطيك عهد ان ما حدش يمسكك ٠٠

قلت له : وازاى أتحقق من شخصيتكم فى التليفون ؟!

ومرت لحظات ، واذا بالتليفون يدق من جديد ، وكلمنى الاستاذ نجيب الهلالى من الاسكندرية وقال لى :

ـ أنا أستاذك يا نجيب ٠٠ ومستقبل الوطن متوقف عليك،فأرجوك تعمل على تهدئة الحالةلأن الانجليز سيحتلون مصر ، وتبقى مسألة خطيرة ٠٠ فطمأنته وقلت له : « انى ذاهب لأرى الحالة بنفسى »

انتهى ماكتبه نجيب بنفسه فى الاهرام عام ١٩٥٤

والذى لم ينشره اللواء نجيب فى الاهرام هو حقيقة ما فعله بعد اتصال المراغى والهلالى به ليلة ٢٢ يوليو ٠٠ انه كان فى منزله ٠٠ لايرى شيئا ولا يعلم شيئا ٠٠ ثم فى الساعة الثالثة اتصل بجمال فى مبنى القيادة ـ كما قلت ـ وبعد أن كان كل شىء قد تم وأصبح الجيش تحت سيطرة الضباط الاحرار !

وقد رد جمال على سؤال نجيب بأن وضح له الموقف كله ٠٠ وأبلغه ـ لأول مرة ـ أن فى الجيش تنظيما اسمه تنظيم الضباط الاحرار ، وأن قيادة ذلك التنظيم قد سيطرت ـ

الآن ـ على جميع القوات المسلحة فى جميع أنحاء البلاد !

قال جمال لنجيب بالحرف الواحـــد فى تلك الساعة من صباح ٢٣ يوليو شارحا له الحكاية ...

ـ الضباط الاحرار قاموا بالثــورة الليلة .. والثــورة نجحت والمنطقــة العسكرية محاصرة .. واحنــا عايزينك تيجى ، حانبعتلك عربية تجيبك ..

وهكذا عرف نجيب ـ لأول مرة ـ حـكاية الضبــاط الاحرار !

وفى الساعة الخامسة صـباحا .. أى بعـد ساعتين من معرفة نجيب لحكاية الثورة ، وبعد أن عرف أن جمال يجلس ـ الآن ـ مع أعضاء القيادة الجديدة فى مبنى رئاسة الجيش اقول فى الساعة الخامسة وصل نجيب الى مبنى رئاسة الجيش .. وفى هذا الوقت كان عبد الحكيم عامر جالسا يعد البيان الذى سيذاع على الشعب فى الصباح من محطة الاذاعة ..

وجلسنا جميعا فى مبنى القيادة نرقب شروق الشمس .. وكل شىء قد كلل بالنجاح الساحق ، ولم نكن نتوقع النجاح بهذه الصورة السريعة الخاطفة !

القاهرة تستيقظ

وأشرقت الشمس على القــاهرة ، ثم خرج النــاس من منازلهم ، وامتلأت شوارع المدينة الكبيرة بهم، وخرج أفراد منا الى المدينة ليروا بأنفسهم مدى انعكاس الثورة على الشعب ثم بدأ الصــحفيون يفدون الى مبنى القيادة .. ان الشعب يؤيد ما حدث .. ان الشعب يعلن عن تأييده فى كل شبر فى البلد ، الناس فرحون . كل الناس . فقد كانت فرصة العمر !!

صحيح أن الشعب فوجىء بماحدث، لكن المفاجأة أيقظت وعيه فى الحال ، فوقف الى جانب القوات المسلحــة لايمانه

بأنها ستتولى تصفية حسابه مع جلاديه !!

ان الذى كان يطوف بشوارع القاهرة فى صباح ذلك اليوم التاريخى ، كان يرى صورا للشعب مليئة بالامل والثقة !

ان بائع « الخروب » الذى وزع ما يحمله على الناس مجانا فى ميدان السيدة زينب ، كان يعبر بتصرفه ذاك عن ايمان الشعب بما حدث ، وأيضا كان يعبر عن حاجة الشعب الملحة الى قيام ثورة ..

وغير بائع الخروب .. مئات من الصور الباهرة التى كانت تعكس فى صدق كبير بهجة الشعب بما حدث فى تلك الليلة .. بثورة القوات المسلحة من أجله !

وفى القاهرة كانت قيادة الثورة المصرية وليدة أحداث ٢٣ يوليو تستعد للمرحلة الثانية من الخطة الاساسية ، وتلك الخطة كانت تعتمد على ثلاث مراحل :

الاولى : السيطرة على القوات المسلحة

والثانية : السيطرة على البلد ..

والثالثة : طرد الملك ..

وفى الاسكندرية كانت حكومة البلاد والملك يترقبان ما سوف يجرى بعد ذلك فى حيرة .. وربما كانت الحكومة والملك ، بل وكل أعداء الشعب .. كانوا لايتوقعون أن يمضى الجيش الى أبعد من هذا .. لقد ظنوا أن المسألة لاتعدو طلبات يريد هؤلاء الضباط اجابتها ، ثم ينتهى الاشكال .. !

فى أقل من ٢٤ ساعة ..

وكنا نحن نعتقد أن تنفيذ المراحل الثلاث للخطة الاساسية ، ربما استغرق وقتا طويلا بعد بدء العملية ..

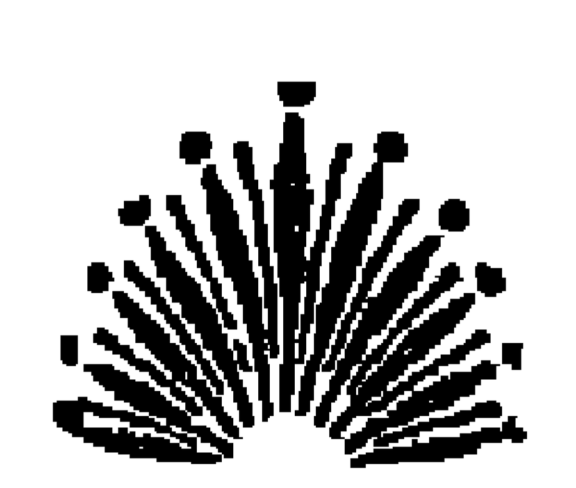
لكن ما ان انتصف نهار ٢٣ يوليو حتى كانت السيطرة على الجيش قد أصبحت مطلقة ، بل ان الذى كان يرى حال

البلد فى منتصف نهار ذلك اليوم ·· كان يقطع بأن الجيش قد سيطر عليها أيضا !

وكان المظهر الضخم لهذه الحقيقة ·· أى سيطرة قيادة الثورة على البلد ·· يبدو من فرحة الناس بما حدث ·· وتلك الفرحة كانت تكاد تقفز من وجه كل مواطن فى الطريق!

تمت ـ اذن ـ مرحلتان من الخطة الاساسية فى أقل من ٢٤ ساعة ·· لقد كانت ـ فعلا ـ معجزة لم نتوقع أن تتم على الاطلاق فى مثل هذا الوقت القصير جدا !·· ولم يبق أمامنا الا المرحلة الثالثة ·· طرد الملك !

ثم بعد ذلك نمضى فى تحقيق أهداف الثورة المصرية ··



طرد الملك فاروق

ثورة بلا ضحايا

انهارت القلاع واحدة وراء الاخرى فى ساعات ، وكانت الخطة الأساسية لقيـادة الضباط الاحرار تتضمن ثلاث مراحل ..

وكما قلت تمت مرحلتان من الثلاث بنجاح ساحق وفى ساعات ..

وسيطر الضباط الأحرار على الجيش تماما فى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢

ثم سيطرت قيادتهم على البلد نفسها فى اليوم نفسه ، فقد كان الشعب يترقب تلك الفرصة ، وهى كانت فرصة العمر كما قلت أمس ، وما كاد يسمع البيان الذى أعدته قيادة الضباط الأحرار من الراديو حتى وقف وراء القوات المسلحة مؤيدا ومنفذا لتوجيهات قيادتهـا الجديدة ، فلم يقع حادث تخريب واحد ، ولم تحدث فتنة ..

لم يجد أعداء الشعب فرصة لاحداث شغب يعطل تنفيذ المرحلة الثانية من الخطة ، وهى السيطرة على البلد ..

لقد استيقظ وعى الشعب فى الحال بالرغم من أنه فوجىء بما حدث فى ذلك اليـوم ، وكان ذلك الوعى هـو المظهـر الحقيقى القوى لسيطرة قيـادة الضباط الأحرار على البلد ·
وكان معنى وقوف الشعب وراء أحداث ٢٣ يوليو هو أن الشعب يريد ثورة ... يريد الخلاص ..!

وكل شىء كان هادئا فى البـلاد .. لا دم ولا بارود ..

لا قتلى ولا جرحى .. لم تنسف مدينة ولم تتزلزل الارض تحت أقدام الناس ..!

انها كانت ثورة عجيبة لم تشهد بلد من بلاد العالم التى تحررت مثيلا لها ..

كل ثورة كان لها ضحايا يعدون بالألوف وبالملايين الا ثورة مصر ..!

كل ثورة كان لا يمكنها أن تتقدم خطوة الا اذا فتكت طبقة بأخرى فتمضى فى طريقها فوق الأشلاء والدم والأنقاض .. الا ثورة مصر

كل ثورة كانت تنسف وتدمر وتقتل وتشيع الموت حيث تكون الا ثورة مصر ..!

ان كل شيء كان هادئا فى مصر يوم الثورة ..

لم يكن فى مصر غير الفرحة والآمال التى سطعت فى الصدور

لم يخسر الشعب نقطة دم واحدة يوم ٢٣ يوليو ، وبالرغم من هذا مضت عملية تغيير نظام الحكم فى طريقها بنجاح وبسرعة مذهلة ، لا تكاد تصدق !

فهل حدثت تلك المعجزة التاريخية الكبرى لأن الثورة المصرية ليس لها أعداء ..! ؟

لا أحد يمكنه أن يزعم هذا ، فلم توجد الثورة التى لا أعداء لها ..

فكيف اذن لم تحدث مجزرة ..؟

كيف لم تغرق الدماء الشوارع وكيف لم يقتل مواطن واحد من أبناء البلاد ، الذين يريدون التحرر ..! ؟

كل مواطن كان يجلس فى بيته وفى عمله أو فى المقهى ... كل الشعب كان هادئا ساكنا ونظام الحكم يشهد أخطر تطور منذ ثلاثة آلاف سنة ..!

فما هو السر ؟.. لماذا تكون الثورة المصرية هى وحدها

التى تتم هكذا فى هدوء ، وبلا مجازر فى الشوارع وفى الحقول ؟
لماذا أخذت الثورة المصرية هذا الشكل العجيب السلمى ! ؟

اننى هنا أقول مرة أخرى ان السبب فى هذا هو أن أعداء الثورة المصرية كانوا يحكمون الشعب بواسطة القوات المسلحة ، ثم فجأة ثارت القوات المسلحة على هؤلاء الأعداء وبعد أن أصبح لتلك القوات قيادة جديدة ..

فكان على هؤلاء الأعداء أن يستسلموا أو يبادوا ، فلا قوة هناك يمكنها أن تحميهم .. لم يعد معهم جيش ولا شعب !

هكذا بدأت عملية تغيير نظام الحكم ، وهكذا مضت فى طريقها بعد ٢٣ يوليو !

أبواب التاريخ

قلت لم يبق بعد السيطرة على الجيش والبلاد الا مرحلة واحدة ، ثم تبدأ الثورة المصرية تحقق أهدافها ، لم يبق الا طرد الملك ...

وجلسنا فى مبنى القيادة ، بعد أن أعد عبد الحكيم البيان الذى سيذاع على الشعب فى صباح ٢٣ يوليو وكنا فى تلك اللحظات قد اطمأنت قلوبنا على الحالة تماما ، وكان اللواء نجيب قد عرف أن الجيش قام بثورة بعد أن سأل جمال عن الحكاية فرواها له ، وأخبره أن الضباط الأحرار قد سيطروا على الجيش ، ثم طلب منه أن يحضر فورا الى مبنى الرئاسة وأرسل له سيارة لتعود به ..

وفى اللحظة الاولى التى وطئت أقدامه فيها مبنى رئاسة الجيش كانت أبواب التاريخ كلها قد فتحت على مصاريعها أمامه .. كان قد أصبح زعيما ، وهو الذى كان لا يعلم ..

كان قبل حضوره بلحظات يسأل جمال عن الحكاية ، لأن المراغى طلب منه تهدئة ــ الأولاد ــ الذين عملوا « دوشة » عند كوبرى القبة !

مناورة قبل طرد الملك

كانت خطتنا تقضي بأن نقوم بمناورة مع الملك ، حتى نطمئن الى أنه ليس هناك تدخل أجنبى يهدد مصالح البلاد وبعد أن نطمئن ننقض على صاحب الجلالة ونطرده ..

وجلسنا نتكلم ، وكان موضوع الحديث يدور حول رئاسة الحكومة ، أو بعبارة ادق حول الرجل الذى نريد فرضه على الملك كرئيس لمجلس الوزراء ، وكان نجيب لا يزال فى منزله .. لم يحضر الينا بعد . فهو قد حضر كما قلت فى الساعة الخامسة صباحا ..

واستعرضنا أسماء رجال السياسة الذين يمكن أن نفرضهم على الملك رغما عنه !

ولم نكن نريد على الاطلاق واحدا من رجال الاحزاب ، مهما كان موقفه من القصر ، لأننا أردنا أن لا نطبع ثورتنا بطابع حزب معين له مصالح تتعارض مع مصالح الشعب .. فالمسألة كما قلت كانت عملية تغيير كامل لنظام الحكم ، ولم تكن مسألة حكومة من الحكومات ..

ورأينا أن على ماهر هو الرجل الوحيد الذى لا ينتمى لحزب من الأحزاب ، وهو كان رئيس الحكومة التى تولت زمام الامور بعد ٢٦ يناير المشهور !

وبدأنا نعد تفاصيل المناورة قبل الانقضاض على الملك ..

على ماهر رئيس مجلس الوزراء بدلا من الهلالى الذى كان موجودا فى الحكم حينئذ ، فاذا خضع الملك لرأينا وجاء بعلى ماهر يمكن بعد ذلك أن نبعث به الى الملك يحمل طلبات لنا — كما تقضى المناورة — فاذا رفض الملك طلباتنا كان ذلك ايذانا ببدء المعركة معه !

وبعد أن انتهينا من هذه المسألة فتح باب الحجرة ودخل اللواء نجيب .. قائد الثورة ..

البحث عن عنوان على ماهر

وفى الساعة التاسعة من صباح ٢٣ يوليو اتصل نجيب الهلالى بنا مرة ثانية ، وحاول أن يتفاهم ، وتحدث اليه محمد نجيب وكنا من حول نجيب نهمس فى أذنه بما يجب أن يقوله للهلالى ..

وانتهت المحادثة ولم ينجح الهلالى فى اقناعنا بشىء ..

ثم كلفنى الزملاء بالاتصال بعلى ماهر لنبدأ المناورة ثم تتم المرحلة الثالثة من خطة التنظيم .. أى طرد الملك ..

ولم أكن اعرف عنوان منزل على ماهر ولا أحد فى الحجرة كان يعرف العنوان أيضا .. وكان الصحفيون يفدون منذ الصباح المبكر على مبنى القيادة .. وفى هذه اللحظة التى كنا فيها نبحث عن عنوان منزل على ماهر دخل علينا الاستاذ احسان عبد القدوس ، وسألته على الفور هل يعرف منزل على ماهر ، ورحب احسان بتوصيلى الى المنزل .. وقمت معه على الفور ..

هل هذه طائراتكم ؟

وصعدنا الى الدور الثانى فى المنزل ، وجلسنا فى الشرفة فى انتظار على ماهر . وجاء على ماهر ، وقبل أن يجلس قال لى ان عنده فى البيت ــ الآن ــ الاستاذ ادجار جلاد فهل يأتى به ليحضر المقابلة ، فقلت له :

ــ لا . مايجيش .. عايزين نقعد وحدنا ..

وبدأت أتحدث اليه عن مهمتى ... قلت له اننى موفد من القيادة لكى يؤلف الوزارة !

وخيم الصمت علينا فترة قصيرة .. وانتظرت رد على ماهر .. ولكنى شعرت انه يريد أن يسمع كلاما أكثر ، وفى هذه اللحظةبالذات مرت أربع طائرات من ذوات الاربع محركات فوق رؤوسنا ، على ارتفاع قليل لدرجة أنأصواتها

غطت على حديثنا فسكتنا الى أن ابتعدت ، وهنا التفت على ماهر وسألنى :

ـ الطيارات دى بتاعتكم ؟

وأجبته مبتسما لأطمئنه :

ـ نعم ، والقوات المسلحـــة كلها لا تخضـع الا لقيادتنـا اليوم ..

ومضيت أتحدث الى على ماهر بصراحـــة .. تكلمت عن الفساد وعن الاوضاع الغريبة التى تمر بها البـلاد ، وعن الملك وتصرفاته الشاذة .. (وهنا شـعرت بقدم احسـان عبد القدوس تدوس على قدمى .. وبدأ احســان يزغدنى خلسة حتى لا أستمر فى الحديث بهذه الصراحة)

لكنى لم أتوقف . ومضيت أتكلم بصراحة أكثر ، حتى يفهم على ماهر وجهة نظر القيادة .. ثم عدت أقول لعلى ماهر ان القيادة تكلفه بتأليف الوزارة ..

وقال على ماهر :

ـ أنا مستعد أتعاون ، بشرط أن يكلفنى الملك بتأليف الوزارة !

وقلت له :

ـ تقدر تعتبر نفسك من دلوقت مكلفا بتأليف الوزارة ، فجهز نفسك من الآن

ثم قلت له وأنا أهم بالانصراف :

ـ فيه طلبات الجيش عايز من الملك ينفذها فورا ..

وقبل أن أنصرف قال على ماهر :

ـ الزيارة دى ستبلغ للملك .. وأظن من الاحسن أبلغها أنا دلوقت لادجار جلاد وهوه موجود عندى !

وقلت له :

ـ تقدر تقول اللى تحب تقوله .. احنا بنشتغل دلوقت على المكشوف . وعلى فكرة نجيب الهلالى اتصل بنا النهارده

وعرف اننا رفضنا بقاءه فى الوزارة .. ولا بد انه بلغ رأينا للملك ..

.. ثم غادرت منزل على ماهر الى القيادة

لقد بدأت المناورة مع الملك ...

وجاء عم ناريمان

وجلست أروى تفاصيل ماداربينى وبين على ماهر للزملاء .. ثم جاء من يخبرنا أن مصطفى صادق عم ناريمان يريد مقابلة أحد من القيادة

لقد جاء مصطفى صادق ليعرض علينا تعيين اللواء نجيب وزيرا للحربية

وقال لنا مصطفى صادق أيضا انه ما علينا بعد تعيين نجيب وزيرا للحربية الا أن نذهب الى قصر رأس التين ونقيد أسماءنا في سجل التشريفات ثم ينتهى الاشكال !

وفوجىء مصطفى صادق برفض العرض الذى حمله اياه فاروق .. وقلنا له انه لابد أن يؤلف على ماهر الوزارة بلا مناقشات أو أخذ ورد

ثم قلنا له ونحن نشيعه الى الباب ان على ماهر سيحمل طلبات أخرى لنا الى جلالة الملك ..

وخرج عم ناريمان بعد فشله فى مهمته

وكان البيان الذى أذعناه اكمالا لخطوات « المناورة » لايتضمن سوى أن الجيش قام بحركته لتطهير صفوفه .. أى ان الحركة مقصورة على الجيش فقط ..

كانت المناورة متشعبة وكان لابد لنا أن نأخذ حذرنا .. ومن أجل هذا لم نكشف كل أوراقنا يوم ٢٣ يوليو

الملك يطلب منا تأليف الوزارة

وبعد ظهر ٢٣ يوليو جاء عم ناريمان الى القيادة مرة ثانية، وكان يحمل عرضا جديدا من الملك ..

قال لنا ان جـــلالة الملك يعرض علينـــا نحن أن نؤلف الوزارة ..

وشعرنا بسخف الاقتراح ، الى حد اننا لم نحتمل وجود عم ناريمان معنا فى الحجرة فطردناه منها .. بدلا من توديعه كما فعلنا معه فى المرة الاولى

ثم جلسنا نسخر من ذلك العرض العجيب ، وشعرنافى تلك اللحظة أن المناورة بدأت تنجح

وقد اتصل بنا على ماهر بعـــد خروج مصطفى صـادق بقليل ، وقال لنا انه تلقى الامر بتشكيل الوزارة ..

ثم قال أيضا ان الملك طلب اليه أن يسافر فى الحال الى الاسكندرية ، وانه — أى على ماهر — يريد مقابلتنا قبل أن يسافر ، ليعرف وجهة نظرنا تماما ، ثم يحمل طلباتنا بعد ذلك ليبلغها الى صاحب الجلالة ..

وقال على ماهر ان الملك قلق جدا ويريد أن يراه سريعا لكى يطمئنه

جر شكل الملك

لقد كانت المسألة في نظر الملك .. بل وفى نظر جميع الساسة المصريين فى ذلك اليوم هى اننا نريد تطهيرالجيش فقط من الخونة والاذناب..كانوا يعتقدون انها أزمة لاتلبث أن تحل ، ثم تعود المياه الى مجاريها .. يبقى الملك على عرشه ويبقي الجميع فى أماكنهم .. والشعب أيضا ..

لقد كانت المناورة فى بدايتها ..

كنا نجلس فى مبنى القيادة نعد خطة خلع الملك ، والملك فى الاسكندرية ينتظر وصول على ماهر اليه ليطمئنه بعـد أن تحل الأزمة باجابتنا الى طلباتنا ..

قد حددنا لعلى ماهر الساعة الخامسة والنصف منمساء ذلك اليوم لنقابله فى منزله ونسلمه طلبات الجيش .. ثم بعد ذلك يسافر الى الاسكندرية ليطمئن صاحب الجلالة ..

وفى الموعد المحدد خرجنا من مقر القيادة .. جمال عبد

الناصر ومحمد نجيب وأنا ، وتوجهنا الى منزل على ماهر واكمالا للمناورة سلمنا على ماهر عريضة دونت فيها طلبات الجيش

انني أذكر أننا وقعنا فى ورطة عندما قال لنا على ماهر قبل أن نقابله ان الملك في انتظار طلباتنا ·· فلم تكن في رؤوسنا طلبات معينة ، ان الشيء الوحيد الذى يملأ رأس كل فرد منا هو مسألة تغيير نظام الحكم·· أما طلبات الجيش من صاحب الجلالة فذلك شيء لم يخطر على بالنا اطلاقا ··

ان الاحوال في ٢٣ يوليو كان تترى بسرعة فائقة ·· لم نكن قد أعددنا أنفسنا لهذه الظاهرة العجيبة ·· للسرعة الفائقة ··

وأذكر أننا جلسنا نكتب طلبات على الورق كيفما اتفق ·· كان لابد أن نمضى فيمناورتنا مع الملكالى نهاية الشوط قبل أن ننقض عليه لنسقطه عن عرشه

واتفقنا ــ بعد جهد ــ علىأن تكون الطلبات التى سيتقدم بها على ماهر الى صاحب الجلالة أساسها طرد الحاشية ، فقد كنا نعرف أن الملك سيرفض هذا الطلب ، وبهذا نكون قد نجحنا في جر شكله ، فتبدأ بعد ذلك عملية طرده

وهكذا كتبنا طلبات من الشرق والغرب على الورق ، كان أساستها كما قلت طرد الحاشية ··

وبعد أن قابلنا على ماهر فىالساعة الخامسة سلمه جمال عبد الناصر تلك الطلبات ، واستعد على ماهر للسفر على الفور ، فطلبنا منه أن يخطرنا من الاسكندرية بالنتيجة ، وقال له جمال ان المسئولية ستقع على الملك اذا لم تجب كل هذه الطلبات فى الحال ..

وخرجنا من منزل على ماهر بعد أن تمنينا له سفرا سعيدا .. خرجنا ليبدأ جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين فى وضع تفاصيل خطة طرد فاروق ، وتجهيز القوات اللازمة للسيطرة على الاسكندرية وتأمينها ..

تحرك القوات الى الاسكندرية

قطعنا ـ فى المناورة ـ مع الملك شوطا بعيدا .. سافر على ماهر الىالاسكندرية يحمل طلباتنا الى صاحب الجلالة، وبعد أن أكد له جمال ان المسئولية ستقع على الملك فى حالة عدم اجابته الطلبات كلها !

كنا نريد جر شكل صاحب الجلالة لكى نبدأ فى اسقاطه عن عرشه وبذلك تتم المرحلة الثالثة من الخطة الاساسية

وقد عدنا من منزل على ماهر فى مساء ذلك اليوم (٢٣ يوليو) الى مقر القيادة فى كوبرى القبة لنرقب الاحداث ..

واللواء نجيب كان يجلس بيننا لا يدرى ماذا فى رؤوسنا

كنا لا نشك فيه ، ونعتبره واحدا منا وخاصة بعد أن فرضناه قائدا عاما للقوات المسلحة ، وكان هـذا العرض من بين الطلبات التى أرسلناها لفاروق ..

وصحيح انه لم يكن بيننا أحد قد اكتشف حقيقته بعد ، فهو يجلس بيننا كأنه فرد منا ، وكنـا نحن نحاول قدر ما نستطيع افهامه بأنه القائد والزعيم وصانع كل هـذه الاحداث التاريخية .. كنا قد قررنا أن نفنى جميعا فى شخصه

قررنا أن نجعل منه زعيما لهذا الشعب يقوده فى معاركه القادمة ضد جميع أعدائه .. أما نحن فقد اعتبرنا أنفسنا جنودا فى ثورة نجيب .. !

وانقضى يوم ٢٣ يوليو ، وجاء يوم الثورة الثانى ، وكنا لا نزال على مقاعدنا فى مقر القيـادة لم ننم ولم نسترح ،

والعرق يغرق ثيابنا فالحر كان شديدا .. لكننا لم نشعر بالارها فىعلى الاطلاق . كنا نعرف أن أمامنا ليالى أخرى سوف نقضيها ساهرين على مقاعدنا ، وربما فى الشوارع وفى الحقول مع الشعب نخوض معركة دموية من أجل مصائر الملايين

لم نكن نعرف ـ بالتحديد ـ ماذا سوف يحدث لنا فى يوم الثانى للثورة ، لان الاحداث كما قلت كانت تترى بسرعة فائقة لم نتوقعها ، والقلاع كانت تتساقط من تلقاء نفسها ..

كل الذى كنا نعرفه اننا قد سيطرنا على القوات المسلحة وعلى البلد ..

وبعد ذلك اتأت الاحداث بما تشاء من مفاجآت ، فقد كنا على ثقة من أن عملية تغيير نظام الحكم ستتم اليوم أو غدا أو بعد شهر .. حتى لو ظهرت فى الافق بوادر تدخل جهات أجنبية فقد كان كل واحد منا قد أعد نفسه قبل أن يغادر بيته وأولاده لمعركة سيخوضها .. وربما مات وربما فقد ذراعا .. المهم أننا جميعا كنا على استعداد للنزول الى الشوارع والحقول وخوض حرب مدمرة ضد جميع الاعداء لو فكروا فى الوقوف أمام الثورة

جمال يأمر بتحرك القوات

أن على ماهر وصل الى الاسكندرية وقابل صاحب الجلالة على الفور وقدم له طلباتنا ، وفى صباح اليوم الثانى للثورة ـ يوم الخميس ٢٤ يوليو ـ اتصل بنا على ماهر من الاسكندرية وقال ان صاحب الجلالة قد وافق على جميع طلباتنا !

وطلب على ماهر أن نوفد اليه أحد أعضاء القيادة الى الاسكندرية ليخبره بالتفاصيل ، ووقع الاختيار على لأقوم بهذه المهمة

وحتى ذلك الوقت كان على ماهر لا يعرف ماذا نهدف اليه بالتحديد . كان يعتقد حتى صباح الخميس ٢٤ يوليو أن الازمة انتهت بعد أن قبل الملك طلباتنا . . والمياه ستعود الى مجاريها قطعا ، وخاصة وأن الملك قبـــل أفدح تلك الطلبات بالنسبة له . . وهو طلب ابعاد الحاشية !

وان كان قد قال لعلى ماهر انهم ـ اى أفراد الحاشية ـ كأهل منزلى فكيف يتدخل الجيش فى شئون بيتى !؟

على ماهر ـ اذن ـ ظن أن الأزمة انتهت بعد أن تحدث الينا بالتليفون ، وأبلغنا بموافقة صاحب الجلالة على طلباتنا

ولم يكن يعرف ـ مثلا ـ أنه بعد أن غادر القاهرة فى اليوم السابق . . أى فى مساء ٢٣ يوليو لم يضـــع جمال عبد الناصر دقيقة واحدة ، فجلس ومعـــه زكريا محيى الدين ـ وكان فى ذلك الوقت مديرا للعمليات ـ وبدأ الاثنان يدرسان الموقف فى الاسكندرية واحتياجات عمليـــة طرد الملك . .!

درست فى تلك الليلة كل الاحتمالات

كما أعدت فى نفس الليلة خطة السيطرة على الاسكندرية وتأمين مرافقها

وانتهت الدراسة قبل أن يتصل على ماهر بنا فى صباح الخميس (٢٤ يوليو)

لقد أصدر جمال أمرا بتحريك قوة الى الثغر . . وكانت القوة التى أمر جمال بتحريكها لاسقاط الملك ، وطرده عبارة عن لواء مشاة وآلاى دبابات لتأمين المدينة واعتبرت مدفعية قواتنا فى الاســكندرية ضمن القوة التى ستقوم بتنفيــذ المرحلة الثالثة من الخطة . . طرد الملك

على ماهر يسأل . . ما الداعى لهذا ؟!!

وبالرغم من أن اللواء محمد نجيب كان يجلس معنا فى حجرة واحدة ، بل وحول مكتب واحد فى ذلك اليوم ، الا

انه كان لا يشترك مع أحد فى أعداد أى شيء ، فكل الخطط كانت معدة قبل أن يأتى الينا وقبل أن يعرف أنه زعيم الشعب !

وحتى التفاصيل كان يعدها جمال والزملاء وهم من حول نجيب يبتسمون له فى احترام وثقة وهو صامت يترقب الاحداث !

وقد تحركت من القاهرة القوة التى ستسقط الملك فى ليلة ٢٤ يوليو .. أى فى نفس اليوم الذى قبل فيه الملك كل طلباتنا !!

وقد فوجيء على ماهر والملك بهذا الذى حدث .. فوجئا بالطابور المسلح يدخل الاسكندرية . وكانا قد اعتقدا أن المياه ستعود الى مجاريها بعد ان قبلت الطلبات !!

وقوبل ذلك الطابور المسلح من الشعب فى الاسكندرية بالتهليل والهتاف الذى شق عنان السماء ..

وكما حدث فى القاهرة صباح ٢٣ يوليو حدث فى الاسكندرية ..

التف الشعب حول القوات المسلحة يؤيدها ويحتضن أفرادها ، ويجرى خلف المصفحات فى الشوارع بعد أن غمرته الفرحة ..

وبعد أن أخذت قواتنا فى الثغر أماكنها طبقا للخطة ، اتصل بنا على ماهر مرة اخرى بالتليفون ليسألنا :

ـ ما هو الغرض من وصول تلك القوات .. ألم يوافق الملك على جميع طلباتكم ؟!

وأردف على ماهر يقول فى التليفون :

ـ ان الملك قلق جدا منذ وصلت تلك القوات .. ويسأل ما هو الداعى لهذا ، بعد أن أجابكم الى ما تريدون ؟!

وقلنا لعلى ماهر :

ـ لا شيء .. لا شيء بالمرة .. طمئن مولانا وقل له ان

هذه القوات أرسلناها لتأمين الاسكندرية ، ومنع الاضطرابات والحوادث !!

نجيب يطلب السفر معى ...

وبقى التنفيذ ..
متى تبدأ العملية ؟!

ان قواتنا فى الاسكندرية ، وقد اتخذت أماكنها والشعب من حولنا يؤيدها ويهتف لافرادها من الاعماق ، لا اضطرابات ولا حوادث ..

كل شيء كان هادئا فى المدينة تماما مثلما كانت القاهرة يوم ٢٣ يوليو ..

وكان جمال قد كلفنى ـ كما قلت ـ بالسفر الى الاسكندرية بعد أن تحدث الينا على ماهر من هناك ليخبرنا بأن الملك وافق على الطلبات ، ثم طلب أن يسافر أحدنا اليه ليخبره بالتفاصيل ..

وطلب جمال منى أن أؤجل سفرى الى صباح الجمعة ـ ٢٥ يوليو ـ حتى تكون قواتنا قد وصلت واحتلت أماكنها ..

وقررنا عزل الملك يوم ٢٥ يوليو ..

وفى صباح الجمعة ـ ٢٥ يوليو ـ طلب محمد نجيب أن يسافر معى الى الاسكندرية ، وكنا قد اتفقنا مع على ماهر على اننى أنا الذى سأقابله وحدى ، فرفضنا طلب محمد نجيب ، لكنه ألح علينا بشدة لكى يسافر معى !

فوافقنا بعد أن لمسنا مدى تمسكه بتلك الرغبة ، وبشرط أن لا يحضر معى مقابلة على ماهر ساعة الوصول ، وانما يذهب لمقابلة على ماهر بعد الظهر ، وهو يحمل الانذار التاريخى المشهور ، الموجه الى الملك والذى نطلب منه فيه أن يتنازل عن العرش ويغادر البلاد ..

جمال قال لى ..

وكان على أن أغادر القيادة الى المطار .. وقبل أن أغادر المبنى أخذنى جمال عبد الناصر الى ركن من الردهة وكان وجهه قد اكتسى بذلك الطابع المعروف عنه ساعة أن يقرر أمرا .. الصلابة والعزم القوى والاصرار التام .. وكانت فى يده سيجارة وقال لى وهو ينفخ دخان سيجارته ورأسه يتحرك قليلا الى الامام كعادته :

ـ شوف يا أنور .. لازم نخلص من فاروق النهارده او بكره بالكتير .. لان الموقف ماعدش يحتمل !

ونظرت الى وجه جمال وهو يكلمني ، وعرفت أنه يتحتم فعلا الخلاص من فاروق بأية صورة اليوم ـ الجمعة ـ أو غدا .. ان جمال لا يلقى الكلام جزافا .. فهو لا يقرر أمرا الا اذا عرف أن لا مناص منه حتى لا تحدث كارثة !

اليوم أو غدا .. لا بد أن يطرد فاروق .. فقد كانت المشاكل قد بدأت تطل علينا فى اليومين الماضيين ..والموقف لا يحتمل وجودها !

كانت مشاكل تهدد وحدتنا وتماسكنا .. ونحن لم نخلقها .. بل خلقها واحد لم نكن نتوقع على الاطلاق أن يظهر بيننا فى اليومين المذكورين .. انه رشاد مهنا !!

زوبعة على أبواب القيادة !

كان رشاد فى العريش كما سبق أن ذكرت ذلك فى حينه .. وكان قد رفض أن يتولى قيادة لواء العريش عندما طلب منه ذلك جمال سالم .. وتخلى عنا أيضا كعادته حتى بعد أن عرف الحقيقة كلها .. بعد أن عرف أن الضباط الاحرار قد سيطروا على الجيش تماما .. فى ليلة الثورة الاولى ، وبعد أن وصلت الى العريش اشارة النجاح !

وعندما عرف أن الضباط الاحـرار نجحوا تماما وأنه سوف لا يكون له مكان على الاطلاق بينهم ، وخاصة وأن جمال سالم كلف صلاح حتاتة بقيادة لواء العريش .. أقول بعد أن عرف رشاد أن الثـورة نجحت بدونه ، جاء الى القاهرة بلا اذن وتوجه من فوره الى سلاح المدفعية ، وهو كان يتبع له ، وكان ضباط السلاح لا يعرفون شيئا عن موقفه ليلة الثورة ، كانوا لا يعلمون أنه رفض التعـاون ورفض أن يشترك فى العملية .. وظن ضباط السلاح أن رشاد مهنا هو أحد أقطاب الثورة .. وربما ظنوا أنه هو الذى قاد لواء العريش وسيطر عليه !!

لهذا قابلوه بالهتاف ورحبوا به وحملوه على الاعناق .. ثم أركبوه سيارة وتقدموا السيارة بالموتوسيكلات ، وجاءوا الى القيادة بالبطل !!

ورأينا موكب رشاد مهنا يدخل من باب القيـادة .. وأمامه راكبو الموتوسيكلات .. وكانت مفاجأة .. شعرنا على الفور أن زوبعة على الابواب !

وكنا لانستطيع أن نقول لضباط المدفعية أن هذا الرجل ليس واحدا منكم .. لم يشترك معـكم فى عمل .. انه رفض أن يعاونكم ..

كان الموقف ـ اذن ـ حرجا للغاية ولايحتمل أية خلافات .. فالملك لا يزال فى البلاد ..

تلك كانت احدى المشاكل التى أطلت علينا فى اليومين الماضيين . وقررنا أن نلتزم الصمت حيالها لان الموقف كما قلت كان لا يحتمل أية خلافات ، ومعـــركة فاروق على وشك أن تقع

أما المشكلة الثانية ، فقد كانت لا تقل خطورة عن مشكلة وجود رشاد مهنا

أعنى مشكلة الخلافات

الانجليز فى القاهرة

فقد كان هناك أناس فى البلد دفعهم الحرص الشديد ، وخوفهم الشديد فى يوم الثورة الاولى وفى يومها الثانى الى أن يجيئوا الينا ليقولوا ..

ــ فاروق اتصـــل بفايد .. الانجليز فى طريقهم الى القاهرة ..

وأقوال أخرى كان مصدرها الرعب والفزع مما سوف يقع ..

وكنا نعرف أن هؤلاء الناس جبناء تفزعهم المعارك .. كنا نعرف أن ما يقولونه ليس صحيحا .. الا اننا كنا قد قررنا أن نعد أنفسنا لكل الاحتمالات .. وأسوأها

لهذا كانت طائرات سلاح الطيران المصرى طوال أيام ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ يوليو دائمة الحركة والاستكشاف فوق المناطق التى يحتمل أن يزحف منها الانجليز على القاهرة .. اذا فكروا فى التدخل ..

وكانت تقارير سلاح الطيران تصل الينا فى مبنى القيادة ساعة بساعة ..

تلك كانت المشاكل التى رأينا أن وجود فاروق يوما أو يومين آخرين سيضاعفها

يا باشا .. قررنا عزل الملك !!

وأعود الى الموضوع .. فبعد أن كلمنى جمال قبـل مغادرتى القيادة الى الاسكندرية توجهت ومعى اللواء محمد نجيب الى المطار ، وانطلقت بنا الطائرة الى أرض العملية .. الى الاسكندرية ، وفى مطار النزهة وجدنا منـدوب على ماهر فى انتظارنا ..

وحسب الاتفاق توجه اللواء نجيب الى القيـادة فى مصطفى باشا ، وتوجهت أنا مع منـدوب على ماهر الى

رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى ..

وقضيت ساعة ونصفا مع على ماهر .. سألنى عن القوات التى وصلت الإسكندرية مرة ثانية ، وكانت الحيرة بادية على وجهه ومضى يقول لى :

ـ الملك وافق على الطلبات كلها .. واستقالات افراد الحاشية فى جيبى أهه

وأخرجها من جيبه ليرينى اياها ، وتظاهرت بالاهتمام فتناولت منه الاستقالات لأقرأها ، ولفت نظرى توقيع الياس اندراوس على استقالته ، فقد وقع صاحبها عليها هكذا : « أليس أندراوس » ، وبخط ردىء للغاية ..

وهززت رأسى فى دهشة .. ان الياس اندراوس كان أحد الذين يحكموننا .. نحن الشعب .. كان محسوبا علينا كمصرى ، ويؤلف الوزارات ويسقطها .. وهو لايعرف كيف يكتب اسمه .. لا يعرف لغة البلاد التى ينتمى اليها

وتنبهت على صوت على ماهر مرة أخرى وكان لا يزال حائرا .. وسألنى مرة ثالثة عن حكاية القوات التى جاءت الى الاسكندرية

وفى هذه المرة اعتدلت فى مقعدى وبدأت أتحدث اليه فى الموضوع لأول مرة .. قلت له وكان ساعتها يبدو مذهولا للغاية :

ـ بصراحة يا باشا القيادة قررت عزل الملك « اليوم »

لا خيار لك فالشعب مع الجيش !!

وقبل أن يفيق على ماهر من ذهوله أردفت قائلا له :

ـ اللواء نجيب سيجىء اليك فى الساعة السابعة وهو يحمل انذارا موجها الى الملك من القيادة ، بتنازله عن العرش ومغادرة البلاد ، وعليه أن يتحمل النتائج فى حالة رفضه لهذا الانذار ..

ومضيت أقول لعلى ماهر :

ـ أنصحك ـ وأنت الذى ستتوجه بهذا الانذار ـ أن تؤكد للملك أن لا فائدة من المقاومة اطلاقا ، لأن الجيش والشعب سيسحقان أية مقاومة مهما كانت ، والاوامر التى صدرت قاطعة فى هذا الشأن ..

وكان على ماهر لا يزال فى ذهوله الشديد .. فاقتربت منه قائلا :

ـ أنت لا خيار لك فى هذا .. بل اننى أعتقد أنك مسئول عما أصاب البلاد الى حد ما لانك أنت الذى نصبته ملكا على البلاد فى دقائق عام ١٩٣٦

وهنا لاحظت أن على ماهر تحمس قليلا .. فقال :

ـ أنا نصبته فعلا ملكا على البلاد .. لكننى لم أكن اتصور أبدا أن يصل على يد مربيه أحمد حسنين الى ما وصل اليه اليوم .. انه هو الذى كتب بيديه أفعاله ومصيره ..

ومضى على ماهر يقول لى :

ـ لعلك أنت تعلم ، ويعلم الناس أن فاروق أبعدنى منذ احدى عشرة سنة بتأثير من مربيه أحمد حسنين والحاشية

وسكت على ماهر ثم عاد ينظر الى .. ربما ليتأكد من أن ما قلته له منذ لحظات هو الامر الواقع .. وقمت لأؤكد له مرة ثانية أن لا خيار له فى الامر .. فالشعب مع الجيش سيسحقان أية مقاومة .. وعدت من بولكلى الى مصطفى باشا .. حيث كان نجيب هناك ، وكان معه أيضا زكريا محيى الدين ـ مدير العمليات ـ وجمال سالم وحسين الشافعى

وأخبرتهم أن على ماهر جاهز لتلقى الانذار فى الساعة السابعة من هذا المساء

زكريا محيى الدين يفاجئنا .. !

كان زكريا محيى الدين فى تلك اللحظة منتحيا فى ركن من الحجرة وأمامه خريطة لمدينة الاسكندرية ، ثبت فوقها دبابيس عديدة ، وفى كل دقيقة يدخل أحد الضباط الحجرة ليتلقى أمرا ثم يخرج .. وزكريا كأنه غير موجود فى الحجرة .. لا يتحدث الينا ولا يلتفت الى أحد .. كان منهمكا فى « البحلقة » فى الخريطة ، وفى تثبيت الدبابيس على أماكن متعددة فيها .. فهو كان مديرا للعملية ..

وكتبنا صيغة الانذار ، ثم اتصلنا بجمال عبد الناصر فى القاهرة وأخبرناه بما تم حتى اللحظة بعد مقابلتى لعلى ماهر .. ثم قرأنا له صيغة الانذار الذى سيوجه الى الملك فأقرها ..

ثم بعد ذلك اتجهنا الى زكريا محيى الدين فى الركن الذى انتحى فيه بعيدا عنا فى الحجرة .. وسألناه متى تكون قواته جاهزة فى أماكنها المحددة لها حسب الخطة ، لكى نسلم الانذار ثم تبدأ عملية طرد فاروق ..

وفوجئنا بزكريا يقول فى هدوء :

ــ العملية لا يمكن أن تتم الليلة ..

وذهلنا .. وسألناه فى صوت واحد :

ــ لماذا ؟!..

ثم بدأنا نتناقش .. وارتفعت أصواتنا لتنفذ من الجدران ..

رصاصة رأس التين

كانت مفاجأة لم نتوقعها ... فزكريا محيى الدين اصر على رأيه وظل متمسكا بذلك الرأى ووجهه يبدو هادئا للغاية ، ونحن من حوله تكاد اصواتنا تبلغ حد الصراخ

فبعد ان انتهينا من وضع صيغة الانذار الذى سيوجه باسم القيادة الى الملك ، اتجهنا الى زكريا نسأله : متى تكون قواته جاهزة ؟..

وبهدوء تام أجاب :

ــ العملية لا يمكن ان تتم الليلة !..

تلك كانت مفاجأة زكريا محيى الدين لنا فى ذلك اليوم ... ٢٥ يوليو

فهو كان مديرا للعمليات ، وهو الذى كان مسئولا عن تحركات القوات فى الاسكندرية أثناء قيامها بعملية طرد فاروق

وقال لنا زكريا ان القوات لم تنل قسطها من الراحة ، وبعضها وصل الى المدينة متأخرا ، وهو لا يستطيع أن يخوض معركة بجنود متعبين ، وقال ان القوات بعد ان تستريح وتنال وجبة ساخنة ، يمكن ان تبدأ المعركة على الفور !..

وقلنا له ان مسألة التعب والارهاق هذه لا يصح ان نسلم بها ، لاننا جميعا لم ننل اى قسط من الراحة طوال ثلاث ليال ، ولا نزال نقف على اقدامنا متحفزين لخوض هذه المعركة ، وغيرها !..

وبهدوء ايضا اجاب زكريا :

ـ ماليش دعوة بيكم ... لكن قواتى لابد ان تستريح ، وكل شيء حيكون جاهز بكرة الساعة الثامنة صباحا

ولم يفلح احد منا فى اقناع زكريا ، لكى يبدأ فى تنفيذ العملية اليوم (٢٥ يوليو)

وسلمنا الامر لله ... ثم اضطررت الى الاتصال بعلى ماهر فى بولكلى لكى اخبره ان موعد الساعة السابعة مساء ، قد تأجل الى التاسعة من صباح اليوم التالى

وذلك الموعد كنا قد حددناه لعلى ماهر لكى نقابله فيه ونسلمه الانذار التاريخى الموجه الى الملك فاروق من القيادة بالتنازل عن العرش ومغادرة البلاد

اعدام فاروق

وقضينا ساعات الليل فى مناقشات عنيفة

ان جمال سالم يصر على ان لا يخرج الملك حيا من البلاد، انه يرى محاكمته جزاء ما اقترف من جرائم فى حق الشعب وهى جرائم يستحق من اجلها الاعدام

وظل جمال سالم مصرا على رأيه هذا ، وكنت قد قلت رأيى فى الموضوع وهو ان محاكمة فاروق سوف تستغرق وقتا ، ونحن نريد التخلص منه فى اقرب وقت ، اليوم او غدا ، ويكفى ان يخرج من مصر ثم تطوى صفحته ولا حاجة الى ان نبقيه فى البلاد الى ان يعدم ، فالاحداث يمكن ان تفاجئنا وتأخذنا على غرة !

وظلت المناقشة دائرة بيننا فى القيادة بمصطفى باشا فى تلك الليلة حتى بلغت الساعة الثانية صباحا ، وهنا قررنا عرض موضوع ـ مصير فاروق ـ على الزملاء بقية اعضاء القيادة فى القاهرة

فالهيئة التأسيسية للضباط الاحرار يمكنها ان تجرى عملية اقتراع حول المسألة .. وسواء صوت اعضاؤها ضد

اقتراح جمال سالم او ايدوه فالمسألة حينئذ تصبح امرا واقعا

واستقل جمال سالم طائرة فى تلك الساعة وطار بها الى القاهرة ، ليأخذ الاصوات حول مصير فاروق .. ثم عاد الينا فى الساعة السابعة من الصباح ومعه رأى لبقية الزملاء

وكانت الاصوات التى اشتركت فى حسم ذلك الخلاف هى : تسعة أصوات فقط .. وهم اعضاء الهيئة التأسيسية واللواء محمد نجيب لم يكن عضوا فى الهيئة ، فلم يكن له صوت فى عملية الاقتراع

وقد رجح الزملاء كفة الرأى القائل باخراج فاروق من البلاد دون محاكمة .. لان المسألة : كما قلت ـ كانت تحتم الخلاص منه فى ساعات قبل ان تحدث مفاجآت !

وقد علمت من جمال سالم بعد عودته من القاهرة ان جمال عبد الناصر اتصل بعزيز المصرى فجر ذلك اليوم ـ ٢٦ يوليو ـ واخذ رأيه فى الموضوع

مستشار السفارة الامريكية يسأل ؟!

وفى الساعة السادسة من صباح ـ ٢٦ يوليو ـ كان زكريا محيى الدين يرأس مؤتمرا من ضباط جميع القوات الموجودة فى الاسكندرية ، وشرح لهم واجباتهم ثم اصدر اليهم الاوامر النهائية

وبعد نصف ساعة تحركت القوات ، ثم احتلت مراكزها قبل الثامنة صباحا

وفى الساعة التاسعة توجهت مع اللواء نجيب الى رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى لتسليم على ماهر الانذار الموجه الى الملك .. وقبل ان نصل الى مكتب رئيس الوزراء قابلنا مستشار السفارة الامريكية فى الردهة ، وكان المستشار الامريكى فى حالة يرثى لها .. كان يرتعش ، وكان قد فقد السيطرة على اعصابه تماما .. وقال موجها حديثه الينا :

ـ انا قادم الآن من رأس التين ، ان هناك معركة ..
واردف المستشار الامريكى قائلا وهو يرتعش :
ـ ما سبب هذا ؟.. ان الملك فيما نعلم قد اجاب كل طلبات الجيش ، واريد تفسيرا لهذا الذى يحدث الآن عند راس انتين ، ويهمنى ان اطلب باسم « واشنطن » ما يفيد تأكيد سلامة فاروق الشخصية

وصمت المستشار الامريكى ثم نظر الينا فى حيرة
وقال له اللواء نجيب :
ـ اننا قادمون الآن للتفاهم مع رئيس الوزراء فى هذا الموضوع

وتركنا مستشار السفارة الامريكية لندخل مكتب على ماهر

على ماهر ظن ان الجيش تراجع

وبعد ان صافحنا رئيس الوزراء ، مددت يدى فى جيبى وبحركة مسرحية اخرجت « الانذار » من حافظتى وقدمته الى اللواء نجيب ، فسلمه هو بدوره لعلى ماهر .. وكان الانذار من صورتين وقع على ماهر على احداهما بتسلم الصورة الاصلية

ورايت على ماهر يلتفت الى وفى عينيه تساؤل واضح ، والم يكن قد بدأ يقرأ الانذار ، وفهمت فى الحال انه يريد ان يعرف ان كان هذا هو « الانذار » الذى حدد مصير فاروق ؟!

ويبدو ان على ماهر كان قد اعتقد اننا تراجعنا عن مسالة طرد فاروق ، وخاصة بعد ان تأجل ميعاد مقابلتنا له من السابعة مساء الى اليوم التالى !

وقد أومأت برأسى لعلى ماهر وكأنى اقول له : نعم .. هذا هو الانذار بعينه !

وبدأ على ماهر يقرأ الانذار ، ثم التفت الينا قائلا بعد ان انتهى من قراءته :

ـ هذا هو ما يستحقه ، فكثيرا ما نصحته ولم يستمع ابدا الى نصحى

وغادرنا مكتب على ماهر .. وخرج هو معنا فى تلك اللحظة ليتوجه الى الملك ويسلمه الانذار

وكان الملك قد استدعاه فى صباح ذلك اليوم ، قبل ان نقابله ، وذلك عندما شعر بالقوات وهى تقيم حصارا حول سراى رأس التين

وقبل ان يستقل على ماهر السيارة لتتجه به الى رأس التين قلت له وانا اهمس فى اذنه :

ـ ان كنت ترى انك فى حاجة الى حضورى معك فأنا مستعد

ولكنه قال ان لا داعى لذلك فى هذه الخطوة

ومضت به السيارة الى الملك .. ليسلمه انذارا من القيادة يقضى بأن يتنازل عن عرشه فى تمام الساعة الثانية عشرة ظهرا .. ويغادر البلاد فى السادسة من مساء نفس اليوم والا ...

الدافع لهدم رأس التين

وكانت القوات التى تقرر اشتراكها فى عملية طرد فاروق قد اقامت حصارا على سراى رأس التين وسراى المنتزه ، وفى نفس اللحظة كانت هناك قوات فى القاهرة تحاصر قصرى عابدين والقبة

وحول سراى رأس التين حيث كان الملك هناك كانت القوات المحاصرة تتكون من مشاة وعربات مصفحة ومدفعية وقد احتلت المدفعية منذ الصباح الباكر موقعا يتحكم فى سراى رأس التين ، بحيث يمكن هدمها اذا ما استدعى الامر ذلك

وكان على قوات المشاة ان تتقدم لحصار السراى ، غير ان الاوامر التى صدرت لقائد تلك القوات كانت تقضى بعدم الاشتباك مع قوات حرس السراى الا بامر من القيادة

واثناء تقدم تلك القوات لاتمام الحصار خارج الاسوار حدث ان صعدت قوات الحــرس الى الابراج فوق تلك الاسوار ، وراحت تنصب عليها مدافع «الماكينة» لاعتقادهم ان القوات المتقدمة ستهاجم السراى فى الحال ، وواجبهم يقضى بالدفاع عنها ... فهم كانوا لا يعلمون شيئا

وتنبه قائد القوات المتقدمة لحصار السراى ، وكان قد تعدى نطاق الحصار المعين له فى « العملية » .. ورأى قائد القوة المدافع والحرس ينصبها فوق الابراج ، فنادى جنود الحرس وهو يأمرهم بالانسحاب .. وكانت تبدو على وجوه جنود الحرس الحيرة الشديدة ، كانوا ينصبون المدافع فوق الابراج وهم ينظرون الى اخوانهم جنود المشاة ، وهم خارج الاسوار وكانت تلك النظرات فيها ابلغ آيات القلق والاضطراب فهم لا يستطيعون ان يفتحوا مدافع الماكينة على اخوانهم هؤلاء ... وفى نفس الوقت واجبهم يحتم عليهم الدفاع عن السراى ، لانه لا توجد اوامر جديدة قد وصلتهم ، حتى كان يمكنهم ان يتخذوا موقفا مختلفا

وفى هذه اللحظة وبعد ان نادى قائد القوة جنود الحرس يأمرهم بالانسحاب خرجت رصاصة ـ طائشة ـ من مدفع كان احد الجنود ينصبه فوق البرج .. ويبدو ان الرصاصة خرجت خطأ من شدة ارتباك الجندى ، وفى الحال لم تجد قواتنا بدا من اسكات المدفع الذى انطلقت منه الرصاصة ، ولا احد كان يعلم ساعتها ان تلك الرصاصة خرجت خطأ وفتحت النيران على البرج الذى انطلقت منه الرصاصة ، وفعلا سكت المدفع بعد ان اصيب سبعة من جنود الحرس

ولم يصب احد من القوات التى حول الاسوار

تلك كانت المعركة التى افزعت مستشارالسفارةالامريكية والم تفزعه هو وحده بل وجعلت فاروق يفقد اعصـــابه ويتهاوى كالحطام

فاروق يستنجد بالسفير الامريكى !

ويقول على ماهر ان تلك المعركة الصغيرة كان لها وقع الصاعقة على فاروق والحاشية فما كادت الطلقاتتتتابع حول السراى حتى اعتقد فاروق انه ميت لا محالة .. ولم يتمالك نفسه فاصيب بحالة ـ هيستيريا ـ واسرع يطلب على ماهر فى فندق سان ستفانو .. فلما وجده لم يستيقظ بعد ظل يصرخ فى التليفون طالبا من ادارة الفندق ايقاظه فى الحال .. وفعلا استيقظ على ماهر وكلم الملك ، فسمعه يتحدث بصوت ضعيف مشوب بالذعر وهو يطلب حضوره

وفى نفس الوقت استنجد فاروق بالسفير الامريكى ، وارسل له السفير سكرتيره الخاص ، ثم بعد ذلك ارسل لنا مستشار السفارة

كانت معركة فاصلة ما فى ذلك شك بالرغم من بساطتها وهى ان دلت نتائجها على شىء فانما تدل على انه لا توجد قوة مهما كانت يمكنها الصمود امام تكتل الجيش والشعب

فما كادت تلك المعركة تنتهى بهذا الوضع الذى ذكرته حتى خرج من السراى اللواء عبد الله النجومى ومعه اربعة ضباط من الحرس ، وقالوا لقائد القوة المحاصرة انهميريدون الذهاب الى القيادة فى مصطفى باشا للتفاهم .. وجاءوا الى القيادة فعلا .. وكانوا فى حالة عصبية مروعة ، فحجزناهم هناك .. لتستريح اعصابهم .. فهم كانوا لا يعرفون شيئا ولا يعلمون ماذا فى الافق !

فاروق طلب استثمار ثروته !

واتصل بنا على ماهر وقال لنا ان الملك قد خضع للانذار وطلب منا على ماهر ان نوافيه فى بولكلى ـ لنشترك معه فى وضع صيغة وثيقة تنازل الملك عن العرش وايضا لكى يعرض علينا طلبات الملك الاخيرة بشأن سفره

وتوجهنا الى بولكلى مرة اخرى ، محمد نجيب وجمال سالم وانا .. ووجدنا سليمان حافظ جالسا مع على ماهر ثم ارسل يستدعى السنهورى لاعداد صيغة التنازل ، وفى هذه الاثناء عرض علينا على ماهر طلبات الملك بشأن رحيله وهى :

- أن يسمح له بالسفر فى المحروسة ويتولى قيادتها جلال علوبة
- ان يجرد كل شىء فى السرايات الملكية ثم يضاف ما فى تلك السرايات الى ثروته وان تجمع ثروته مع ثروة شقيقاته وتستثمر لحسابهم او تقسم عليهم .
- ان يسمح له باصطحاب بوللى وحلمى حسين ، وان لم يكن هذا ممكنا فيسمح لبوللى فقط بالسفر معه

تلك كانت طلبات فاروق الثلاثة ، وقد وافقنا على الطلب الاول فقط ، ورفضنا باقى الطلبات بلا مناقشة

ولم يكن لفاروق خيار فى الامر ، فقد كان ينفذ كل مايطلب منه بلا تردد ، بعد ان اصبح كل ما يأمل فيه هو ان يخرج حيا من هذه البلاد

كان قد اقتنع انه لا توجد قوة ـ مهما كانت ـ يمكنها ان تحميه من الجيش والشعب .. فتهاوى من تلقاء نفسه وبلا اية مقاومة

ارادة الشعب

وكتب السنهورى وسليمان حافظ صـــيغة التنازل

ـ الاولى ـ وعرضت تلك الصيغة علينا ولكن جمال سالم اعترض بشدة .. فلم تكن تلك الصيغة تتضمن السبب الاساسى الذى حتم على فاروق ان يتنازل عن عرشه .. لم يكتب فيها نزولا على رغبة الشعب

وكتب جمال سالم الصيغة النهائية والتى وقع عليهـا الملك نزولا على رغبة الشعب

واخذ سليمان حافظ « الوثيقة » وتوجه الى راس التين ليوقع الملك المخلوع عليها

وخرجت انا لاتوجه الى رئاسة البحرية المصرية ، كى اتفق هناك على خروج « المحروسة » لتحمل فاروق الى حيث يشاء ، وايضا لكى اخلي سبيل امير البحر جلال علوبة الذى كان ممنوعا من مغادرة مكتبه

وفى طريقى رأيت سليمان حافظ واقفا مع الضابط الذى كان يرأس قوة حصار رأس التين ، وكان الضابط قد منعه من دخول السراى ، وطلبت من الضابط ان يتركه واوصلوه الى الباب الخارجى للسراى وظل الضابط معه حتى فتحوا له الباب

وتوجهت انا بعد ذلك الى رئاسة البحرية .. وهناك فوجئت بما لم يكن فى الحسبان !!

المحروسة وضباط البحرية والسواحل

تركت سليمان حافظ بعد ان فتحوا له باب سراى راس التين ، وكان يحمل وثيقة تنازل فاروق عن العرش ليوقعها صاحب الجلالة ثم يرحل بعد ذلك عن البلاد

ثم توجهت الى رئاسة البحرية لاعطى تعليمات بخروج « المحروسة » لتحمل فاروق الى منفاه ، وايضا لكى اخلى سبيل امير البحر جلال علوبة الذى اراد فاروق ان يتولى هو قيادة المحروسة فى رحلتها

وكان امير البحر المذكور ممنوعا من مغادرة مكتبه فى ذلك الوقت

وهناك .. فى رئاسة البحرية فوجئت ـ كما قلت امس ـ بما لم يكن فى الحسبان !!

فما كدت اصل الى الرئاسة حتى جلست مع قائد البحرية وكان معنا رؤساء الفروع ، واخبرتهم بقرار القيادة الذى يقضى بخروج المحروسة لتحمل فاروقا الى المنفى .. وما ان سمعوا ذلك منى حتى قالوا لى انهم يتوقعون نسف المحروسة اثناء خروجها الى عرض البحر !!

وقبل ان افيق من دهشتى مضوا يقولون لى : ان مراكب الاسطول المصرى كلها واقفة فى الميناء ـ الآن ـ وجميعها محملة بالذخائر ، وهم لا يستبعدون ان تطلق احدى قطع الاسطول نيران مدافعها على المحروسة وهى ماضية بفاروق الى المنفى !!

والواقع اننا كنا لا نعلم بالتحديد نوايا السلاح البحرى

المصرى ، فتنظيم الضباط الاحرار بالرغم من نجاحه فى تكوين تشكيلات فى جميع وحدات القوات المسلحة لم يكن على علاقة ما بضباط البحرية

وكان جمال عبد الناصر قبل الثورة باسبوعين ، قد سافر الى الاسكندرية فى اجازة ـ كما سبق ان قلت ـ فى مقال سابق ، وهى لم تكن اجازة للراحة ، بل سافر الى الاسكندرية خصيصا لكى يتصل بضباط البحرية ، ولكى يخلق صلة بين بعضهم وباقى القوات المسلحة تمهيدا للقيام بالثورة

وكانت مهمة صعبة الى حد كبير .. فجميع اخواننا الضباط الذين ارتبطوا بالتنظيم فى جميع اسلحة الجيش كان من السهل خلق الصلة بيننا وبينهم سواء كانوا فى الطيران او فى باقى الوحدات ، لاننا ـ جميعا ـ كنا زملاء فى كلية واحدة .. هى الكلية الحربية

واما بالنسبة لضباط البحرية فان كليتهم لم توجد الا بعد ان انتهينا من دراستنا وتخرجنا ، فلم نكن نعرف احدا من هؤلاء الضباط المعرفة التى تجعلنا نفاتحهم فى مثل هذه الامور !!

وكنت قد قلت من قبل ان ثورتنا هذه كان الاساس فى قيامها قائما على الصداقات وصلات الاخوة بين اعضاء التنظيم .. وقبل ان توجد الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، كانت الصداقات بيننا هى الدافع القوى والاول الى التفاهم والاتفاق على عمل واحد .. ثم تحديد اهداف واحدة

فقد كان مجرد الحديث عن هذه الاهداف بين الافراد جريمة كبرى وخيانة يعاقب صاحبها عقابا صارما

ومن اجل هذا كنا نحن ـ الاصدقاء ـ نتبادل الحديث حول ذلك العمل وتلك الاهداف دون ان نخشى افتضاح امرنا ، ومن اجل هذا ايضا ظل الضباط الاحرار يعدون

خطتهم ومشروعاتهم طوال عشر سنوات ، ولم يعرف احد سرهم !!

واعود بك الى موضوع البحرية فأقول ان جمالا ظل فى الاسكندرية اياما قليلة وهو يحاول عمل حلقة اتصال مع ضباطها .. وبينما هو فى محاولته اذ طلب اليه اعضاء الهيئة التأسيسية العودة فورا الى القاهرة .. لانه ـ كما قلت من قبل ـ قد وصل الى علمنا ان الملك ينوى البطش بالضباط الاحرار بعد ان عرف اشخاصهم !!

وترك جمال الاسكندرية قبل ان يتمكن من ايجاد الصلة بيننا وبين ضباط البحرية

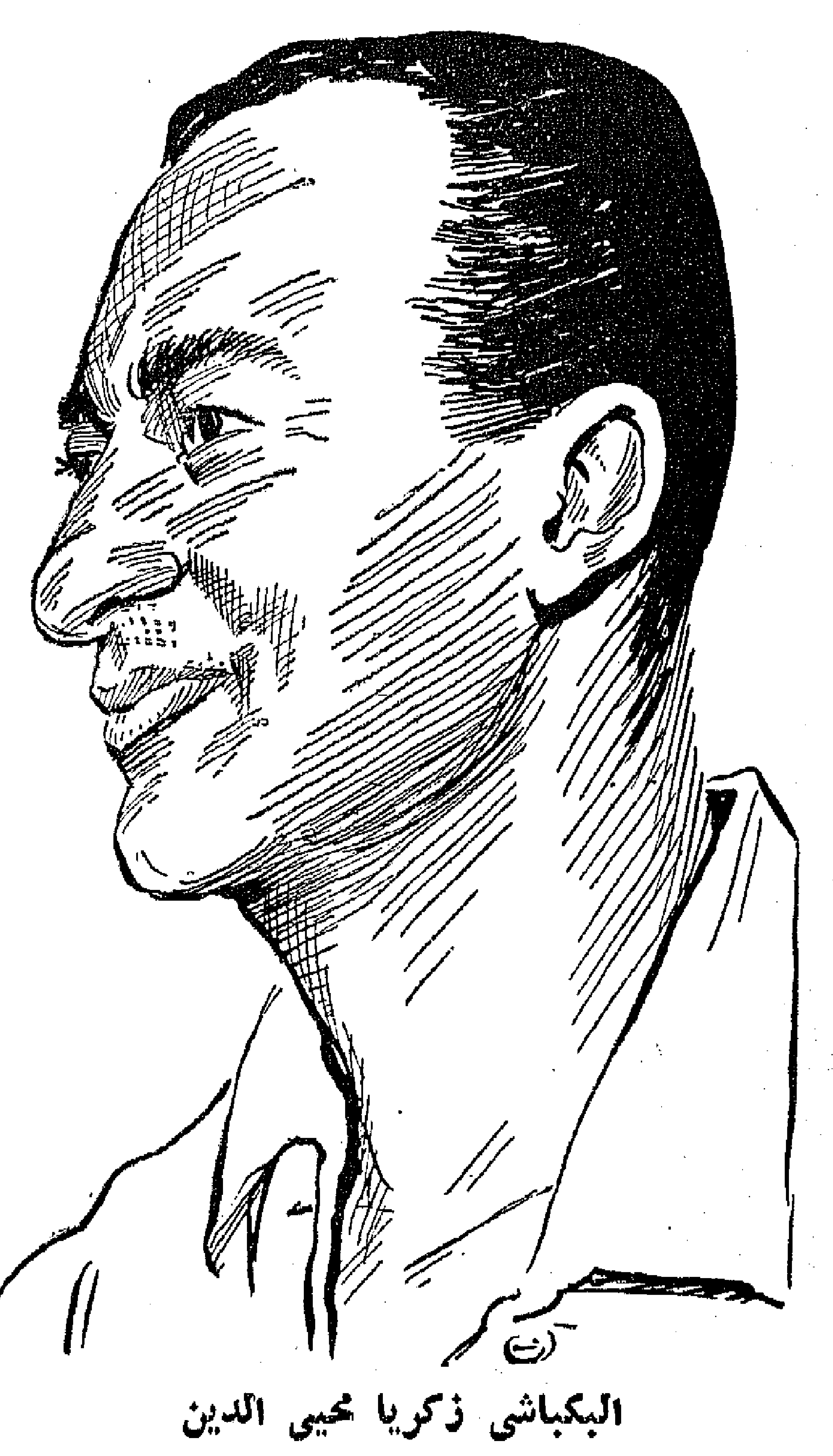
المفاجأة الثانيـــــة

تذكرت كل هذا وانا جالس مع قائد البحرية ورؤساء الفروع فى رئاستهم ، ولهذا كانت دهشتى كبيرة عندما قالوا لى ان مراكب الاسطول الراسية فى الميناء ربما اطلقت مدافعها على المحروسة وهى تحمل الملك المخلوع الى منفاه وتناقشنا طويلا حول هذه المشكلة ، وقلت لهم ان القيادة ارتبطت بوعـــد ، ولابد من ان ينفـــذ وعد القيـــادة ، لابد ان تخرج المحروسة سليمة الى عرض البحر بمن عليها

واستقر رأينا ـ كوسيلة لمنع ضرب المحروسة بالمدافع ـ ان نوزع انفسنا على مراكب الاسطول .. انا وقائد البحرية ورؤساء الفروع ، كل واحد منا يصعد على ظهر مركب من مراكب اسطولنا فى الميناء ، على ان يكون كل واحد منا مسئولا عن منع ضباط البحرية من نسف المحروسة !!

وجاءوا باحد اللنشات ليحملنا الى مراكب الاسطول الراسية فى الميناء .. وبينما كنت متأهبا للنزول الى اللنش اذ دق جرس التليفون فى غرفة قائد البحرية ، وقالوا لى ان القيادة تطلبنى

كان زكريا محيى الدين ـ مدير العمليات ـ هو الذى



البكباشي زكريا محيي الدين

يتكلم .. قال لى انه نمى الى علمه ان ضباط مدفعية السواحل قرروا ضرب المحروسة بالمدافع الساحليةالضخمة اثناء سفرها بالملك المخلوع ، وهم لن يسمحوا لها بالخروج من الميناء !!

وطلب منى زكريا محيى الدين ان اتصل بهم واعمل الترتيب اللازم حتى ينفذ وعد القيادة !!

وكانت مفاجأة ثانية فى ذلك اليوم

فضباط الاسطول قد استطعنا ان نجد طريقة لمنعهم من نسف المحروسة . فماذا نصنع لنمنع ضباط السواحل من اطلاق مدافعهم الضخمة الرهيبة ؟!

ولم اجد بدا من الاتصال تليفونيا بمندوب الضباط الاحرار فى مدفعية السواحل .. وشرحت للضابط الموقف ثم طلبت منه ان يتوجه بنفسه الى جميع مواقع المدفعية الساحلية لكى يشرح للضباط الوضع بالتفصيل ، ويقول لهم ان القيادة ارتبطت بكلمتها . ولابد ان يخرج الملكالمخلوع سليما من البلاد

وانتظرت بجوار التليفون ، ولم يلبث مندوب الضباط الاحرار ان اتصل بى ليخبرنى ان كل شىء على ما يرام .. فقد استطاع اقناع ضباط مدفعية السواحل بعدم نسف المحروسة !!

وبقى اقناع جلال علوبة بالسفر مع فاروق ، فهو كان قد رفض السفر عندما اخبرته بامر القيادة اثناء وجودى فى رئاسة البحرية ، لانه خاف ان لا يسمح له بالعودة الى مصر بعد توصيل فاروق لكنى اخذته الى القيادة وهنـــاك اقنعناه بان عقليتنا لا يمكن ان تصل الى هذا الحد .. فهو مصرى ومكلف بمأمورية وبالرغم من صداقته لفاروق فنحن لا يمكن ان نمنعه من العودة الى بلده !!

وبعد ذلك ركبنا اللنشات واتجهنا الى مراكبالاسطول لنمنع ضباطه من نسف المحروسة !!

فاروق فى اللحظات الاخيرة

وكان من نصيبى الطراد « فاروق » وهو اكبر قطعة من اسطولنا

ومن العجيب انه كان يقف تجاه المحروسة تماما !!

ووقفت على ظهر الطراد وبدأت انظر الى رأس التين بالمنظار البحرى المكبر

واقتربت الساعة من السادسة .. وكنت لا ازال اتجه ببصرى نحو رأس التين . وكنت ارى اللنشات وهى تتجه الى المحروسة ثم تعود ثم تجىء اليها مرة ثانية ، وعلمت انهم يحملونها بالمؤن وبمتاع الملك المخلوع استعدادا للرحيل

وفى الساعة السادسة تماما نظرت من المنظار المكبر فرايت علم فاروق فوق السارية امام رأس التين وقد انزل .. ثم رأيتهم .. رأيت فاروقا ومن حوله المودعون من نساء ورجال ، ولم أميزهم جيدا بالمنظار ، وان كنت عرفت فيما بعد انه كان من بين هؤلاء المودعين على ماهر والسفير الامريكى وشقيقته فوزية

فاروق يشتم الصحفيين

وظللت فى مكانى فوق الطراد « فاروق » احملق فى المنظار المكبر واشهد امامى نهاية ملك .. بل نهاية نظام

ورأيت فاروقا بجسمه الضخم يســـتقل اللنش الى المحروسة ، وكان يرتدى بذلة بحرية بيضاء ويقف على مقدمة اللنش . وخيل الى انه يريد ان يبدو شجاعا فى لحظاته الأخيرة ، وهو يغادر أرض الثورة

وكانت اللنشات تروح وتجيء فى الميناء منذ الصباح حتى ساعة الرحيل ، وتقترب تلك اللنشات من راس التين ثم تدور حول المحروسة .. فكل الناس يريدون مشاهدة الفصل الاخير من رواية فاروق الاول .. بعد ان شهدوا كل فصول الرواية وضاقوا بها

وكانت ناريمان وبنات فاروق قد وصلن الى المحروسة قبل الساعة السادسة

وقبل ان يمر اللنش الذى يحمل الملك المخلوع امام الطراد الذى كنت فوقه سمعت طلقات رصاص .. وبحلقت فى المنظار وقد انتابنى شعور بالفزع .. خيل الى ان احدا اطلق الرصاص على فاروق.. وبهذا تكون القيادة قد اخلفت وعدها

ثم عرفت ـ فى الحال ـ أن أحـد اللنشات اقترب من « لنش » الملك المخلوع وكان فيه صحفيون مصريون جاءوا ليلتقطوا صورا لفاروق ساعة رحيله عن مصر .. وما كاد فاروق يراهم وهم يقتربون منه حتى « تهيج » وصرخ بصوت عال وسبهم بشتائم مقذعة ، فما كان من حرس خفر السواحل الذين كانوا فى « لنش » يسير بهم محاذيا للنش فاروق الا ان اطلقوا النار للارهاب .. وانطلق لنش الصحفيين بعيدا

ووصل فاروق الى المحروسة ، ورأيته يصعد درجات السلم ثم يقف بعد ذلك فى الممشى فوق ظهر اليخت ، وكأنه ينتظر وصول احد

وبعد فترة قصيرة جدا جاء لنش آخر يحمل نجيب وجمال سالم وحسين الشافعى .. وكان من المفروض ان يودعوا فاروقا من « مرسى » سراى رأس التين قبل رحيله لكنهم تأخروا .. واقتربت الساعة من السادسة ، فاستقل فاروق اللنش على الفور كما ينص الانذار الذى تلقاه

وجاء محمد نجيب وجمال سالم وحسين الشافعى الى

المحروسة لتوديعه ، ورأيتهم يقفون مع فاروق ، وظللت ابحلق فيهم بمنظارى لكنى لم اكن اسمع حديثهم .. ثم ما لبثوا ان غادروا المحروسة

كان امر القيادة يقضى بأن يؤدى الطراد « فاروق » آخر تحية للملك المخلوع والمحروسة فى طريقهـــا الى المنفى ، وطلبت من قائد الطراد ان يؤدى تلك التحية . فبدأت المدافع تنطلق .. واطلقوا واحدا وعشرين مدفعا ، وكانت المحروسة خلال الطلقات تنسحب الى الخلف لكى تغادر « البوغاز » ثم تمضى بعد ذلك بعيدا عن ارض الثورة

نمت على باب القيادة

وظللت اتابع « المحروسة » بالمنظار الى ان غابت عن عينى وهنا تلفت حولى لاجد ضباط الطراد يحيطون بى وعلى وجوههم الفرحة الطاغية .. وفى هذه اللحظة فقط وبعد ان انتهت « العميلة » شعرت بالتعب يطبق على كل جزء فى جسمى . وترنحت وكدت اسقط فوق ظهر الطراد .. فمنذ ٢٣ يوليو حتى ذلك المساء لم انم ولم استرح . ولم اطمئن

وكنت قبل رحيل المحروسة لا اشعر بتعب ولا بارهاق . وفجأة اصبحت لا استطيع جر قدمى ، حتى عندما اردت مغادرة الطراد لاعود الى القيادة فى مصطفى باشا لم استطع النزول من فوق السلم .. فامسك بى ضباط الطراد وساعدونى حتى وصلت الى اللنش

ووصلت الى مصطفى باشا ، وكنت لا ازال اترنح .. ثم دخلت من باب القيادة اجر قدمى جرا كأنى مصاب بعشرات اللكمات والضربات ، ورأيت الى جوار الباب حجرة الضابط النوبتجى .. ولم يكن فيها احد .. وبلا تفكير اتجهت اليها ، وبحذائى وبثيابى المبللة بالعرق والتراب تمددت فوق الارض لاستغرق فى نوم لم اذق اعمق منه ابدا

مشكلة البنات والحيوانات

واستيقظت من نومى فى صباح اليوم التالى . ووجدت نفسى اغادر القيادة فى مصطفى باشا واتوجه الى محل البان كنت اتردد عليه فى وقت ما اثناء هربى من البوليس . وتناولت طعام الافطار ثم عدت الى القيـــادة . وعلمت ان جمال عبد الناصر اتصل بنا فى المساء وطلب منا ان نعوداليوم الى القاهرة

وقد توجهت مع اللواء محمـــد نجيب الى مستشفى الحرس ، حيث زرنا الجنود السبعة الذين اصيبوا فىمعركة راس التين .. وصرفنا لهم مكافآت

واثناء وجودنا فى المستشفى جاء اللواء عبد الله النجومى وكان معينا من قبل القيادة لتصفيةالسرايات الملكيةوتسليمها للحكومة

وخيل الى أن النجومى فى ورطة .. وفعلا بدأ يتحدث عن ورطته.. قال انه يوجد فى سراى المنتزه واحدة وعشرون فتاة من مختلف الجنسيات وهن كن يعملن وصيفات ، وسألنا النجومى ماذا يصنع بهن الآن ؟

ثم بدأ يتحدث عن مشكلة ثانية استعصت عليه وهى ان الحيوانات والغزلان والطيور الموجودة فى السرايات مطلوب لها طعام

وطلب النجومى منا ان نحل المشكلتين ، وحللنا مشكلة البنات الوصيفات باخراجهن من البلاد . فترحل كل واحدة الى بلدها

اما مشكلة الحيوانات والغزلان فقد حلت بان قلنا للنجومى انها ـ اى الحيوانات ـ يمكن ان تأكل طعامها العادى الذى كان يؤتى لها به .. الى ان تتسلمها الحكومة

وعدنا الى القيادة بعد ذلك لنستعد للسفر الى القاهرة وفى القيادة كانت تنتظرنا مفاجأة اخرى ..

أول اجتماع للقيادة

كانت تنتظرنا مفاجأة فى القيادة بمصطفى باشا .. وقد استبدت بنا الدهشة عندما دخل رشاد مهنا علينا فى ذلك اليوم بعد رحيل فاروق !

وكنا ـ أو كنت أنا بالذات ـ لا أتوقع تلك المفاجأة اطلاقا ..

ماذا يريد هذا الرجل ؟.. وما الذى جاء به أيضا فى الاسكندرية ؟

لا أحد كان يدرى .. فذلك الرجل لم يفهمه أحد تماما، ولم يعرف أصدقاؤه ، أو أعداؤه أهدافه الحقيقية ..

هل يريد أن يثير زوبعة هنا .. مثل تلك التى أثارها فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ..؟! عندما جاء من العريش بدون اذن الى القاهرة ، وكان ضباط المدفعية لا يعلمون موقفه من الثورة ، ورفضه الاشتراك فى العملية عندما بدأت ، بل بعد أن نجحت صباح ٢٣ يوليو ، ظل يرفض التعاون .. ثم فوجىء بأننا نجحنا نهائيا وأصبحنا فعلا نسيطر على الجيش وعلى البلد .. فأسرع الى القاهرة وهو مذهول لايكاد يصدق أن الثورة نجحت بدونه !

ويومها ـ كما قلت ـ ظنه ضباط المدفعية أحد أقطاب الثورة فأحاطوا به هاتفين ، ثم جاءوا به فى موكب هائل الى القيادة فى كوبرى القبة ، ولم نستطع أن نفسر لضباط المدفعية موقف رشاد مهنا . لم نقل لهم ان هذا الرجل ليس من الثوار ، ليس واحداً منكم ، فالمسألة لم تكن تحتمل ، فقد

كان من الحماقة اثارة خلافات في يوم الثورة الاول ..

تذكرت كل هذا وأنا أبحلق في وجه رشاد مهنا عندما جاء الينا في الاسكندرية يوم طرد الملك ، ووقف في الحجرة تائها مضطربا

لقد شعرت عندما رأيته في ذلك اليوم أن المتاعب في طريقها الينا ان لم تكن قد جاءت فعلا !

ولم أتمالك مشاعري ، كان لابد أن أحدد موقفي على الفور من ذلك الرجل ، الذى لم يحدد اطلاقا أهدافه أو معتقداته ، ولا يستطيع انسان أن يعتمد عليه

وزاد في احساسي بالريبة منه ذلك الاضطراب البادي عليه

كانت عيناه تتدحرجان في جميع الاتجاهات وهو يتحدث الينا

لقد علم أن العرش قد سقط ، ولم يشترك هو في عملية اسقاطه . وعرف انه قد أصبح في مصر مئات الابطال وقادة فتح لهم التاريخ كل أبوابه وهو ليس واحدا منهم ، فمكانه سيكون خلف تلك الابواب

وهاهو الآن أمامي في تلك الحجرة بقيادة مصطفى باشا ، انى أراه جيدا في تلك الصورة .. الانسان الذى لم يعرف طريقه ، وبالرغم من جهله بالطريق فهو يريد أن يصل سريعا ، وبأى ثمن !

وظللت أتأمل في رشاد مهنا وهو في جلسته المضطربة أمامي في مصطفى باشا ..

وكما قلت لم أتمالك مشاعري فاقتربت منه ثم أخذته من ذراعه الى ركن في الحجرة .. وسألته :

ـ ايه يا رشاد .. مالك ..؟!

ونظر الى في اضطراب أكثر .. فسألته في هذه المرة بلهجة جافة الى حد ما .. قلت له :

ـ عايز ايه يارشاد ·· قول ايه اللى انت عايزه··مالك كده ·· مضطرب ليه ··!؟
وفوجئت به يبكى ··
ثم قال لى وهو لايزال يبكى :
ـ أنا مش عايز حاجة ·· أنا جاى أباركك على الخطوات الموفقة دى ··

رشاد يطلب اخراجي مع جمال سالم

وقد تكلم رشاد مهنا يومها بصوت مهزوز ، وكان طوال حديثه زائغ البصر ··
ثم انشغلنا عنــه بأمورنا ·· وتركناه فى الحجرة تائها كما هو ومن حوله أربعة جدران ··
ولم أكن أدرى يومها أن حديثى الصريح معه سوف يفهمه على أساس أنى عدو له حتى كان ذلك اليوم الذى ذهب فيه جمال عبد الناصر الى رشــاد مهنا ، وكان رشاد وقتها قد أقيل من منصبه كوصى للعرش وأراد جمــال كعادته دائما مع كل من تربطه بهم صلة ما ·· صداقة كانت أم زمالة أو حتى مجرد تعارف عابر ·· أقول أراد جمــال أن يمــد يده لرجل يعرفه ، لا لأنه صاحب نفوذ فهو كان قد أصبح لاشىء ··ولا لأنه فى حاجة اليه ، بل لأنه قد عرفه فى فترة ما··
أراد جمال أن يمد يده لرشاد مهنا بعد خروجه من وصاية العرش فذهب اليه وقال له ان من الممكن الاستفادة بخدماته لهذا فهو يعرض عليــه أن يكون سفيرا لمصر فى أية دولة يختارها ، وظن رشاد مهنا فى تلك اللحظة أن جمال عبــد الناصر قد جاء اليه تائبا ·· وأنه ـ أى جمال ـ فى حاجة شديدة الى معونته ، وأن الثورة لم يعد يمكنها السير بدونه ·· فقال لجمــال ان له شرطا أساســيا لقبول التعاون من جديد ·· وهو أن يخرج جمال سالم وأنور السادات من القيادة ··

واضطر جمال عبد الناصر أمام هذه المفاجأة أن يوضح لرشاد مهنا فى هدوء المسألة كلها ·· فقال له انه لم يأت اليه لانه فى حاجة الى التعاون معه ، بل لكى يساعده

وتكلم جمال معه بصراحة ·· فاستعرض أمامه مواقفه من الثورة قبل قيامها وبعد أن قامت ، ثم بعد أن أصبح وزيرا ثم وصيا على العرش ·· وخرج جمال من هذا كله بنتيجة واحدة أعلنها فى هدوء أمام رشاد مهنا ·· وهو ان الوضع بالنسبة له أى ـ رشاد ـ هو انه خرج على الثورة، أما بالنسبة للاثنين اللذين طلب ابعادهما عن القيادة فهو العكس تماما ··

ورفض رشاد بعد أن سمع رد جمال عبد الناصر ·· أقول رفض الوظيفة

هذا ما عرفته بعد موقفى الصريح منه يوم طرد فاروق، عندما فاجأنا بوجوده فى مصطفى باشا

ولنترك حديث رشاد مهنا ، فرشاد سوف نلتقى به كثيرا فى قصة ثورتنا ··

وأعود الى الموضوع ··

كان علينا بعد أن رحل فاروق عن البلاد أن نعود فورا الى القاهرة ، بعد أن استدعانا جمال ليلة ٢٦ يوليو

وفى اليوم التالى ـ ٢٧ يوليو ـ كنا فى القاهرة،وانعقد فى نفس اليوم أول اجتماع للهيئة التأسيسية للضباط الاحرار بعد قيام الثورة ، والاجتماع كان يرأسه جمال عبد الناصر ، وكان جمال قد انتخب مرتين رئيسا للهيئة بالاجماع كما سبق أن قلت فى مقال سابق ··

ولم يحضر اللواء نجيب هذا الاجتماع لأنه لم يكن عضوا فى الهيئة

وعندما بدأ اجتماع الهيئة كان اللواء نجيب فى مكتبه ، ثم جاء الينا ، وعندما رآنا مجتمعين عاد ثانية الى مكتبه ··

استقالة جمال عبد الناصر

وفى هذا الاجتماع الاول للهيئة التأسيسية بعد الثورة وقف جمال عبد الناصر وتكلم فقال انه يقدم استقالته من رئاسة الهيئة بعد أن انتهت أول مرحلة من كفاح الضباط الاحرار ، ثم توجت بالنصر ساعة أن طرد الملك .. ومضى جمال يقول : انه رأى حتما عليه أن يستقيل بعد انتهاء تلك المرحلة من كفاحنا لكى يعطى فرصة لاعضاء الهيئة فينتخبوا رئيسا جديدا يواجه الاحداث القادمة

وانتهى جمال من حديثه بأن أصر على تقديم الاستقالة ..

وقد رفضت استقالة جمال بالاجماع ، وطلب اليه الاعضاء أن يستمر فى عمله كرئيس للهيئة ، لكنه أصر على الاستقالة اصرارا تاما ..

واضطررنا الى اجراء انتخاب جديد ، وتمت عملية الانتخاب فى اقتراع سرى – كالعادة – ففاز جمال بالاجماع

موقف خالد محيى الدين

وبعد أن تمت عمليه الانتخاب وبقى جمال رئيسا للهيئة، وقف خالد محيى الدين وطلب الكلمة .. وتكلم فشرح موقفه

قال خالد انه يطلب من زملائه تنحيته عن عضوية الهيئة التأسيسية لانه يدين بمبدأ معين ، ولهذا فهو يخشى لو بقى فى الهيئة التأسيسية أن يصطدم معنا من أجل المبدأ الذى يدين به ..

ومضى خالد يقول انه رأى منعا لأى خلاف أن يعرض علينا تعيينه فى السلك السياسى ، فيسافر الى الخارج

وقد دارت مناقشة طويلة بين الزملاء وبين خالد، وكانت مناقشة عاطفية للغاية ، ثم انتهت برفض انسحاب خالد محيى الدين من الهيئة .. أى استمرار لتعاون معه ..

اجتماعات فى الليل والنهار ..

وبعد ذلك توالت اجتماعات الهيئة التأسيسية ، كنا

نجتمع بصفة مستمرة ، فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، وتلك الاجتماعات المستمرة ليلا ونهارا كانت من أخطر اجتماعاتنا .. فهى اجتماعات كنا نعد فيها خطط المعارك القادمة التي لا مفر منها بعد أن أصبحنا نحن على المسرح ، بعد أن خرجنا من تحت الارض ومن نطاق الاجتماعات السرية ، والكفاح فى الخفاء ، الى الكفاح فى العلن مع الشعب جنبا الى جنب .. وبلا فاروق ..

والعالم كله كان لا يدرى شيئا عن أهدافنا بالتحديد.. والشعب أيضا ..

لم يكن أحد يعرف ماذا بعد فاروق ..

هل يبقى النظام كما هو ، وتظل مصر تحكم بتاج أسرة محمد على ، وصاحب الجلالة أحمد فؤاد الثانى ـ الطفل ـ كان على عرش البلاد !؟

بل لم يكن أحد فى مصر أو فى خارج مصر يعرف من نحن .. !؟

وهذا الذى حدث قد تم على أيدى من . !؟

عرف الناس ـ فقط ـ فى مصر وفى خارج مصر أن اللواء نجيب هو قائد عام القوات المسلحة ، وانه هو الذى سيصنع المستقبل ، لانه هو الذى طرد فاروق فى ذلك اليوم من شهر يوليو !

وكنا نحن لانريد على الاطلاق أن يعرف أحد فى مصر أو فى خارج مصر شيئا عن جمال عبد الناصر أو عبد الحكيم أو أى واحد منا .. لاننا قررنا أن نفنى جميعا فى شخص اللواء نجيب القائد والزعيم

وأردنا أن يرسخ فى أذهان الشعب وفى أذهان كل العالم أن نجيب هو صانع كل تلك الاحداث فى شهر يوليو !

الطريق نحو الديمقراطية

وقد يسألنى بعض الناس .. ولماذا اتخذتم هذا القرار!؟

مادمتم قد حققتم أخطر مرحلة فى كفاحكم ، وطرد صاحب العرش عدوالملايين،فلماذا لم تخرجوا الى الشعب بأشخاصكم وهو كان سيحملكم فوق رأسه مثلما حمل اللواء نجيب !؟

وأقول لهذا البعض اننا لم نكن نريد حكما ‥ لم نكن نريد أن نكون أعضاء فى حكومة مصر ، أو ساسة ضمن ساسة البلاد ‥ بل كانت كل أهدافنا هى تغيير نظام الحكم ‥ ولا يعنينا أن يحملنا الشعب على رأسه أم لا ، بل الذى يعنينا هو أن يتطور هذا الشعب بعد تحطيم كل قيوده !

أما الزعامة والمجد والنفوذ والسلطان فانها لم تكن من أهدافنا ، ومنذ اللحظة الاولى حددنا لأنفسنا الطريق ، فاللواء نجيب هو القائد والزعيم ‥ وهو كل شىء !

ونحن ــ كما سبق أن قلت ــ لسنا سوى جنود فى الثورة نحميها ونمهد أمامها الطريق لكى يصل الشعب الى الحرية والعدالة الاجتماعية وباختصار لكى يحكم الشعب فى النهاية نفسه بنفسه !

ذلك كان موقفنا بعد طرد فاروق فى ذلك اليوم من شهر يوليو عام ١٩٥٢ ‥

وكان علينا أن نعمل فى الليل وفى النهار لكى نحقق النصر فى مراحل الكفاح القادمة ، وفى كل اجتماع للهيئة التأسيسية كنا نتناقش لا حول الاهداف فالاهداف مقررة ولا سبيل الى تغييرها ، بل حول وسائل تحقيقها ‥ بعد أن أصبحنا نكافح جنبا الى جنب فى العلن مع الشعب فى سبيل أعظم هدف وأخطره بالنسبة لحياة ملايين المصريين ‥ فى سبيل القضاء على المستعمر !

فهو ــ أى المستعمر ــ باق لم يطرد مع فاروق ‥ والمعركة القادمة ستكون حتماً معه ‥ فليس هناك فى طريق الحرية والعدالة والديمقراطية أمام الشعب سواه ويجب أن يزول ‥ !!

وكان الاستعمار فى تلك الايام التاريخية من شهر يوليو

قد فوجىء باللطمة التى أصابته عندما طرد فاروق ..
وانى أذكر أول معركة كانت بيننا وبين ذلك المستعمر .. أذكر اليوم الذى طرد فيه فاروق وكيف جاء الينا سفير بريطانيا بالنيابة فى ذلك الوقت ليقابلنا فى القيادة بمصطفى باشا .. قبل أن نعود الى القاهرة

كيف بدأت المعركة وكيف انتهت ..

دخل علينا القائم بأعمال السفارة في مصطفى باشاوكنا مجتمعين ، وكانت فى يده مذكرة مكتوبة على الآلة الكاتبة.. وبدأ يتكلم تماما مثلما كان سفير الاستعمار يتكلم قبل أحداث يوليو ..

وقال نائب السفير لنا وهو يقرأ فى « المذكرة » سالفة الذكر ان لديه طلبات !

ثم مضى يقرأ « المذكرة » محددا تلك الطلبات وكانت :

أولا : أن يعلن حظر التجول فى أنحاء مصر خوفا على أرواح الاجانب لانه يخشى - على حد قوله - أن يفقد الشعب السيطرة على مشاعره من شدة الفرح فيعتدى - أى الشعب على المحلات والمؤسسات !

ثانيا : أن لاتحدث أية ثغرة فى نظام الحكم بعد خروج فاروق من البلاد ، فيعين مجلس وصاية على وجه السرعة..

ثالثا : أن تحفظ حقوق أسرة محمد على، وبالتالى حماية النظام الملكى فى البلاد !

وما كاد ينتهى من قراءة مذكرته حتى فوجىء بجمال سالم وبى - ونحن نتحداه ونسخر من طلباته ..

قلنا له ما دخل بريطانيا فى مثل هذه الامور ، وهى أمور داخلية بحتة تخص الشعب المصرى لا الانجليزى ، وقلنا له انه ليس لبريطانيا أولغيرها أن تتدخل فى مثل هذه المسائل لان هذا الزمن الذى كان لبريطانيا وغيرها من الدول حق تقديم طلبات قد انتهى ساعة أن تحركت

« المحروسة » حاملة فاروقا الى منفاه ..

وكانت فرصة لنا لكى نلقى على ممثل بريطانيا أول درس بليغ عن الموقف فى مصر بعد فاروق ..!

وبعد أن ألقينا على نائب السفير الانجليزى ذلك الدرس رأيناه يتراجع بسرعة عن موقفه ، وقال على الفور وبلهجة ناعمة وعلى فمه ابتسامة وديعة :

ـ أرجو أن تعتبروا زيارتى هذه ودية وهى زيارة للصداقة وللنصح لاغير .!

وطلب ـ رسميا ـ أن لانعتبر أن هناك طلبات من بريطانيا، وأن حكومته لم تكلفه بهـذه الزيارة على الاطلاق ، وهو قد فعل ما فعل كصديق !

وقاطعناه قائلين :

ـ ولـكنك كنت تقرأ من مذكرة فى يدك .. فمـا هى الحكاية !؟

ومد يده لنا بالمذكرة وكانت تحوى تلك الطلبـات .. وقال وهو يحاول تفسير موقفه : انه فعلا كتب تلك المذكرة بنفسه لكى يتذكر ما سوف ينصحنا به كصديق

ولم يتركنا نائب السفير يومها الا بعـد أن أكد لنا أكثر من مرة انه ما جاء الا كصديق ، وان المسألة ليست تبليغا رسميا من بريطانيا . . وقال انه يسحب كل ما قاله لنا وطلب منا أن ننسى ما حدث .. ثم خرج !

تلك كانت أول معركة بيننا وبين بريطانيا ، وحدثت يوم طرد الملك ..

وكانت زيارة القائم بأعمال السفارة ـ فى ذلك اليوم ـ قد سبقتها زيارات أخرى ومواكب أخرى عجيبـة وكانت كلها مواكب نفاق .. بعد أن عرف الساسة الباشوات ان فاروقا قد رحل عن البلاد

الثورة وزعماء الأحزاب

الموقف السياسي بعد طرد فاروق

ماذا كان عليه الموقف السياسى بالتحديد ، بعد رحيل فاروق !؟ هذا هو السؤال ...

انها كانت تجربة ضخمة فى تاريخ مصر السياسى

فى اليوم الاول للثورة ــ ٢٣ يوليو ــ وبعد أن سرت الفرحة فوق هذه الارض ، ماذا فعل الساسة الباشوات !؟

هل فرحوا ... وأيدوا وثبة الجيش فى ذلك اليوم من شهر يوليو !؟

كان الموقف واضحا .. الجيش قام ليصفى الموقف مع جلادى الشعب ، والجيش يفرض ارادته على ملك البلاد.. ثم الجيش يطلب عــزل ذلك الملك . ! فهــل وقفــوا بجوار قيادة الجيش صانعة أحداث يوليو التاريخية ! ؟

وهم حينما كانوا زعماء للبلاد ، كانوا يطالبون بالاستقلال التام او الموت الزؤام ، وينادون بالحرية والعدالة والديمقراطية، كلما أرادوا حكم الشعب .. ! ؟

الوفد والسعديون والدستوريون والاخــوان .. وكل الهيئات السياسية فى هذا البلد ، هل أيدت موقف الجيش من الملك فى ايام ٢٣ و٢٤ و٢٥ يوليو ، مثلما أيد الشعب ذلك الموقف !؟

أم أنهم كانوا لا يمثلون الشعب فموقفهم ــ اذن ــ يصبح مختلفا تماما عن موقفه ! ؟

لقد كانت أحداث تلك الايام من يوليو تشير بوضوح الى أن الضربات بدأت توجه لاعداء الشعب ... لتصرعهم !

كان فرض ارادة الشعب على أسرة محمد على عملا ديمقراطيا ومن المحال وصفه بغير هذا ... فلماذا لم يقف زعماء البلاد الى جوار قيادة الجيش فى اللحظات الاولى للمعركة ، وهم الذين كانوا يطالبون بحقوق الشعب وهم فى مخادعهم ! ؟

هل كانوا يتوقعون أن يفشل الجيش فى طرد الملك ، وفى هذه الحالة يصبح موقفهم اذا كانوا قد أيدوا الجيش عدائيا من أسرة محمد على ! ؟

وماذا عليهم لو كانوا قد وقفوا ذلك الموقف معنا ، والشعب كان يؤيدنا منذ الدقيقة الاولى .. أقول ماذا كان عليهم - وهم الزعماء الغيورون على مصالح الشعب - لو وقفوا وأيدوا الخطوة الاولى ، ولا أقول باقى الخطوات .!؟

انى أقولها ويقولها التاريخ نفسه أن الزعماء جميعا كانوا يستهدفون فى تلك الايام مصالحهم فقط ومصالح أحزابهم .

ففى صباح ٢٣ يوليو لم يؤيدوا الجيش لأن فى ذلك التأييد خطرا على تلك المصالح وذلك فى حالة فشل الجيش !

أما نجاح الثورة فذلك شىء لم يتوقعوه .. أما عزل الملك فذلك شىء لم يؤمنوا بأنه سيحدث .. !

لهذا فهم كانوا فى بيوتهم ، لم نسمع لهم صوتا ، ولم نر وجها واحدا من وجوههم الكريمة . !

كنا وحدنا فى المعركة ومعنا الشعب ... أما هم دعاة الديمقراطية والدستور والحريات فقد كانوا يأملون أن يفشل الجيش ويبقى ملك البلاد على عرشه .. فلا يحرمون من مقاعد الحكم ومغانم السلطان . !

حتى ذلك الرجل حسن الهضيبى وأتباعه ورثة كتاب الله فى هذا الزمان ، لم يؤيدوا قيادة الجيش فى أيام الثورة الأولى .. لم نر وجه الهضيبى وهو الداعية الذى طالب بالحريات والديمقراطية ! !

فأين كان .. !؟

أين كان وأتباعه وهم الذين زعموا فيما بعد انهم صانعو الثورة !!
ثم فجـــأة وعندما عـرفوا أن الثـــورة نجحت وأن العرش قد سقط من فوق رأس مولاهم جاءوا الينا مهنئين .. وهم الذين اختفوا عن انظارنا قبل رحيل الملك المخلوع .. بل ان رجال حزب الاغلبيـة ، الحزب الذي يدعى أصحابه تمثيل الشعب ، أقول أن هؤلاء الرجال ذهب بعضهم يوم ٢٤ يوليو ـ والشعب والجيش فى عنفـــوان معركتهمـــا ضد صاحب الجلالة ـ وقيدوا أسماءهم فى سجل التشريفات ، فى سراى رأس التين ، رافعين الى الاعتاب السامية فروض الولاء والطاعة ، فى الوقت الذى كانت قوات الجيش تستعد للتحرك الى الاسكندرية لتطرد ذلك الملك !!
ان اسم الفاضل صلاح الدين وزير خارجيـــة الوفد لا يزال فى دفتر التشريفات يشهد على صدق ما نقول !؟

وجاءوا للسيد الجديد

وكنا فى القيادة نعجب من هؤلاء الزعماء .. كنا نتوقع أن يجيء الينا بعضهم ليعلنوا عن تأييدهم لما حدث .. لكن يبدو أننا كنا نحسن الظن بهؤلاء القادة ، فهم الذين صانعوا القصر والمستعمر طوال أعوام حكمهم ، وهم الذين فرضوا طغيان فاروق فرضا على الملايين العارية الجائعة المريضة !
وهم الذين انسلخوا عن طبقتهم فعاشوا فى القصـــور كسادة يرفلون فى الحرير والنعيم ، ولتذهب المثل والقيم وكل المبادىء الى الجحيم ! ..
وبعد أن زالت دهشتنا فوجئنا بمواكبهم تتدافع علينا فى مصطفى باشا بالاسكندرية ، وفى كوبرى القبة بالقاهرة
وقد بدأت طلائع تلك المواكب تظهر على أبواب القيادة بعد أن عرفوا أن فاروقا قد انتهى ! ..
ان الفاضل صلاح الدين الذى رفع آيات الولاء والطاعة

الملك باسم الوفد يوم — ٢٣ يوليو — أى بعد الثورة ، جاء بعد رحيل فاروق ليهنئنا ويبارك ما حدث على أيدينا

والهضيبى وصلاح الدين والزعماء الافاضل من الأغلبية والأقلية .. وكل القطيع السياسى تزاحم على أبواب القيادة يقدم فروض الولاء للسيد الجديد ! ..

نفس الموقف .. فهم فى الماضى كانوا يتزاحمون على أبواب القصر معلنين عن الولاء والخضوع والطاعة ، واليوم يجيئون الى أبواب القيادة بعد أن رحل صاحب القصر ، وقد ظنوا أننا مثل سيدهم الذى ذهب ! ..

ظنوا أننا ستدور بنا الرؤوس أمام نفاقهم وريائهم فنضع مقاعد الحكم بين أيديهم ببساطة ونحن راضون ! ..

ظنوا أننا ستدور بنا الرؤوس أمام نفاقهم وريائهم فنضع لا يمكن أن تخرج عن هذا ..

ذهب سيد وجاء سيد ، تلك كانت معتقداتهم وآمالهم !

لقد كنا ونحن نستقبلهم فى القيادة لا نستطيع اخفاء اسفنا ، كنا نكاد نختنق من الضيق ، وهم أمامنا يبتسمون فى خضوع ومباركين ومهنئين ومؤيدين ! ..

وكلما جاء الينا زعيم من زعماء البلد كنا نلتفت الى بعضنا ، ولا نملك الا أن نشكره على عواطفه الرقيقة ووطنيته الصادقة !

كانت المسألة رياء فى رياء ... وليس لها أصل من الحقيقة ! ..

تجيب يبدى دهشته ..

ولنترك حديث دعاة الديمقراطية ، بل جلاديها .. فحديثهم سيجىء كثيرا فى قصتنا .. وأعود الى الموضوع قلت أمس أن الهيئة التأسيسية عقدت أول اجتماع لها بعد الثورة وبعد رحيل فاروق واستقال جمال عبد الناصر من رياسة الهيئة فى ذلك الاجتماع ، ثم أجريت

انتخابات جديدة ففاز جمال بالاجماع للمرة الثالثة .. ثم توالت اجتماعات الهيئة التأسيسية

وكانت الهيئة مجتمعة بصفة مستمرة فى الليل وفى النهار، فقد كان علينا أن نعد عدتنا للمعارك القادمة بعد أن أصبح كفاحنا فى العلن جنبا الى جنب مع الشعب

ولم يحضر اللواء نجيب تلك الاجتماعات فهو لم يكن عضوا فى الهيئة التأسيسية فكان يظل جالسا فى مكتبه حتى ننتهى من أعمالنا ، فيجىء يجلس معنا ، ونحيط به كأنه أب لنا ؛ فكان لا يترك مناسبة دون أن يعبر لنا عن عجبه من موقفنا ..

كان يقول لنا أن كل شىء قد تم بمجهودنا ، وبالرغم من هذا فنحن ننسب كل شىء له وحده ، وهو لم يصنع شيئا على الاطلاق .. وكان يبدى لنا خجله من هذا الموقف ، فكنا ننكر فى شدة أننا صنعنا شيئا ، كنا نحاول خلق روح من الثقة التامة بيننا وبينه .. وفعلا كان موقفه يزيد من ثقتنا فيه ، الى حد أن عبد اللطيف بغدادى قال ذات مرة ـ كما قلت من قبل ـ أن هــذا الرجل ـ أى نجيب ـ أصبحت أحبه مثل والدى .. وربما أكثر ! ..

جمال يتنازل
عن الرئاسة لنجيب ! ..

وفى تلك الاجتماعات المستمرة للهيئة كانت كل صغيرة وكبيرة تعرض علينا للبت فيها طوال النهار والليل .. واللواء نجيب كان يجلس فى مكتبــه يستقبل الصحفيين المصريين والاجانب . ثم عندما يعلم اننا لسنــا مجتمعين يترك مكتبه ويجىء ليجلس معنا

واستمر الوضع على هذا الحال حتى منتصف أغسطس وفى جلسة الهيئة التأسيسية التى انعقــدت يوم ١٧ اغسطس ، فوجئنا بجمال عبد الناصر ـ رئيس الهيئة ـ

يتقدم بطلب يقول فيه انه يتنازل عن رئاسة الهيئة للواء محمد نجيب !!

وقبل أن نفيق من دهشتنا مضى جمال يقول :

ـ ان الوضع أصبح حرجا للغاية بالنسبة لنجيب ، فهو لا يحضر اجتماعاتنا وهو يحمل رتبة لواء فلا يصح ان نضمه كعضو فى الهيئة ، بل انى متنازل له عن الرئاسة !

وتناقشنا طويلا حول هذا الموضوع ، ثم تقدم جمال عبد الناصر باقتراح بضم أربعة آخرين الى الهيئة التأسيسية مع نجيب ، على أن يكون نجيب رئيسا بالنسبة لرتبته ، لانه لا يعقل أن يجلس معنا كعضو عادي ونحن الذين قدمناه للشعب باعتباره قائدا للثورة . وبعد أن فرضناه أيضا قائدا عاما للقوات المسلحة !!

اقتراح من جمال سالم

وفى نفس الوقت تقدم جمال سالم باقتراح ثان وقال فيه انه يرى أن يكون أعضاء الهيئة التأسيسية خمسة فقط ، او ثلاثة ، على أن يعود باقى الاعضاء الى وحداتهم فى الجيش ، ويبقى الثلاثة أو الخمسة لقيادة الثورة !

واستمرت المناقشة حول الاقتراحين فترة طويلة ، ثم انتهت بأن وافقت الهيئة على اقتراح جمال عبد الناصر ، فدخل محمد نجيب ـ لاول مرة ـ الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، ومعه أربعة هم : يوسف صديق ، وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى وعبد المنعم أمين ..

ومضينا نستعد للاحداث القادمة ..

والى الحلقة التالية

موقف حزب الوفد من الثورة

اصبح اللواء نجيب معنا فى الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار، ولم يكن عضوا من قبل ولم يكن يحضر اجتماعات الهيئة لا قبل الثورة ولا بعدها ..

فكنا كلما اجتمعنا بعد طرد فاروق كان يجلس فى مكتبه حتى ننتهى من الاجتماع، فيجىء الينا لنحيط به وعواطفنا كلها معه، لم نشك فى ايمانه بالثورة، فأعطيناه كل ثقتنا وعتبرناه كأب لنا .. فهو كان فى كل لحظة يجلس معنا يتحدث فى خجل عن انكارنا لاشخاصنا، فيقول أن كل شىء قد تم بمجهودنا نحن وهو لم يصنع شيئا، وبالرغم من هذا فهو يعجب لاننا ننسب كل شىء له، ونقول للشعب وللعالم انه هو قائد الثورة، وهو صانع كل شىء ..!

وهكذا تبادلنا الثقة فى أيام مابعد فاروق . !

وكما قلت أول أمس فاجأنا جمال عبد الناصر فى جلسة الهيئة التى انعقدت فى ١٧ اغسطس ١٩٥٢ بتنازله عن الرئاسة للواء نجيب، وقال لنا وهو يبرر ذلك التنازل : ان الوضع اصبح حرجا للغاية، فاللواء نجيب قد قدمناه للشعب باعتباره قائدا للثورة، وفرضناه قائدا عاما للقوات المسلحة ... وفى نفس الوقت هو لا يحضر اجتماعاتنا، وهذا ما لا يصح ان يدوم

وبعد مناقشة استمرت وقتا طويلا جدا وافقنا على اقتراح جمال، واصبح اللواء نجيب رئيسا للهيئة التى ظل جمال رئيسا لها منذ انشئت، وانتخب ثلاث مرات

قبل الثورة وبعدها بالاجماع ليرأسها

ودخل أربعة آخرون مع نجيب أعضاء فى الهيئة هم : زكريا محيى الدين وحسين الشافعى ويوسف صديق وعبد المنعم أمين

ومضينا كما قلت اول امس ، نستعد لمواجهة الاحداث القادمة .. نجيب رئيسا للهيئة وجمال وكيلا لها ..

وقبل أن أمضى فى سرد الوقائع التى جرت بعد ذلك ، أرد أن أذيع على الراى العام فى مصر وفى الخارج حقيقة ظلت فى طى الكتمان منذ قامت الثورة ..

وهى سر اختيار رشـــاد مهنا وصيا للعرش .. فقد أوضحت فى الحلقات السابقة موقف رشاد مهنا أولا بأول من الثورة ..

وكان آخر موقف له سردته هنا هو قصة مجيئه الينا فى الاسكندرية يوم طرد الملك ، وحيرته الشديدة واضطرابه عندما دخل علينا فى القيادة هناك ! وسألته يومها عن سر اضطرابه وحيرته .. فبكى وقال انه جاء ليبارك الخطوات الموفقة للثورة . !

وقد عاد رشاد الى القاهرة معنا فى نفس الطائرة يوم ٢٧ يوليو ــ ولم يكن أعضاء القيادة يتوقعون أن يقرر جمال عبد الناصر حسم الموقف بالنسبة لرشاد مهنا منعا للخلافات وبطريقة تحقق آمال ومطامع رشاد نفسه ..

فقد كان ضباط المدفعية وغيرهم من الضباط لا يعلمون حقيقة موقف رشاد من الثورة كما قلت من قبل ولم يعرفوا أنه رفض الاشتراك فى العملية ورفض ان يتعاون على الاطلاق واعتقدوا عندما جاء من العريش بدون اذن ، أقول اعتقدوا ان رشاد مهنا هو أحد أقطاب الثورة وقائد من قادتها . !!

والموقف لم يكن يحتمل تفسيرا .. فربما حدثت بلبلة ونبتت خلافات والثورة فى أيامها الاولى

فلم نقل للضباط الحقيقة ، وظل رشاد صامتا أيضا ..

وعلى هذا ظل الاعتقاد ـ بأن رشاد مهنا قطب من أقطاب الثورة ـ سائدا بين ضباط المدفعية وغيرهم

□

وامام هذا الموقف شعر جمال عبد الناصر أن رشاد مهنا يريد شيئا ما ..

وعرف جمال الشيء الذى يريده رشاد

واراد جمال أن يعطيه ذلك الشيء حتى لا تحدث خلافات او انقسامات نتيجة للفهم الخاطىء لموقف رشاد مهنا ..

ورشاد يهوى المظاهر والنفوذ والسيطرة .. رشاد طوال حياته هكذا يجرى خلف المظاهر ويتشبث بها ، ولا يعنيه شيء على الاطلاق سوى عشقه للمظاهر

ودون أن نعلم توجه جمال عبد الناصر الى على ماهر وكان رئيسا للوزارة فى ذلك الوقت . وقال له ان القيادة تريد أن يكون هناك من يمثلها فى مجلس الوصاية وطلب جمال من على ماهر أن يكون رشاد مهنا هو الذى يمثلنا فى مجلس الوصاية

وتبين بعد مراجعة الدستور أنه لكى يعين احد وصيا لابد أن يكون وزيرا سابقا على الاقل ..

وذللت العقبة ، فاتفق جمال على تعيين رشاد وزيرا للمواصلات ليصبح بعد ذلك وصيا على العرش ..

وبعد أن أنهى جمال المسألة عاد الينا فى القيادة واخبرنا بما تم . وبالرغم من انها كانت مفاجأة لنا ، الا اننا اعتبرنا ذلك حلا رائعا لمأساة رشاد مهنا .. ولمشكلته التى كنا جميعا نشعر بخطورتها . وعندما تمت المسألة واصبح رشاد وصيا على العرش استنتج الناس فى مصر وفى خارج مصر ان ذلك الرجل هو قطب الاقطاب .. فى الثورة ، تماما كما كان شائعا عن اللواء نجيب ..

والواقع ان رشاد مهنا كان يتصرف عندما اصبح وصيا

للعرش باعتباره ملك البلاد .. وسأروى فى حلقة اخرى كيف كان رشاد مهنا يتصرف وهو جالس فى قصر عابدين؟!
انه لم يشبع بالوصاية فبدأ يعد لنفسه مستقبلا اكبر .. ونسى الثورة كالعادة
ويكفى اليوم أن أشير الى كلمة قالها ردا على طلب للقيادة وكنا نعتبره ممثلا لنا ..
قال رشاد يومها وهو يرفض الموافقة :
ـ انى املك واحكم ايضا ..

نصحونا بأن نحكم ..

واعود الى قصتنا ..
قلت اننا بدأنا نستعد بعدخول نجيب الهيئة التأسيسية لمواجهة الاحداث القادمة ، وبدأنا نناقش الوضع السياسى فى البلاد ، بعد خروج فاروق ..
والموضوع الذى شغل وقتا كبيرا من مناقشاتنا فى تلك الايام هو دعوة برلمان الوفد الذى كان قائما قبل حريق القاهرة للانعقاد ، والنحاس وسراج الدين كانا فى مصايف اوروبا يستشفيان فى ذلك الوقت ..
واذكر انه بعد ٢٦ يوليو اى بعد خروج فاروق جاء الينا أناس كثيرون فى نشوة النصر ونصحونا بأن نجلس نحن على مقاعد الحكم ..
لقد ظنوا ان بريق النصر سيخدعنا ..
اعتقدوا اننا طلاب حكم ، لكنهم فوجئوا بنا نقول لهم :
لا .. لا ..
وكررناها فى حزم وقوة
واعود الى الفترة التى سبقت الثورة بوقت قليل .. عندما كنا نتصل بكل الهيئات ونحن نستعد لاشعال نار الثورة
لقد فكرنا فى تلك الفترة ان نطلق شرارة الثورة الاولى

بأن نفرض حزب الاغلبية وقتذاك ـ الوفد ـ على الملك .. واعتبرنا هذه الخطوة بداية للمناورة ، واتصلنا فعلا بفؤاد سراج الدين « باشا » واوفدنا اليه البكباشى احمد انور احد الضباط الاحرار ـ وقائد البوليس الحربى الآن ـ وذهب احمد انور ليسأل فؤاد سراج الدين عن موقف حزب الوفد فى حالة ما اذا فرضه الجيش على الملك ؟!

وقد طلب سراج الدين مهلة ليرد على ذلك السؤال .. حددها بشهر ..

الوفد يخشى المعركة ..

وبعد شهر جاءنا رد سراج الدين .. وهو الرفض لان قطب الوفد ، ووارث الزعامة رأى أنه من المحال ان ينجح الجيش فى هذه العملية ..

ان احمد انور عاد الينا وهو يحمل رد الوفد .. أن حزب الاغلبية لا يؤمن على الاطلاق بأن هناك قوة يمكنها فرض اى شىء على الملك ، لهذا يعتذر سراج الدين عن تحديد موقف معين ـ للوفد ـ فى مثل هذه الحالة ..

وفهمنا يومها مدى ايمان قيادة الوفد بالشعب .. فتلك القيادة لا تؤمن على الاطلاق بالكفاح العملى ضد اعداء الشعب « أى القصر » بل تترقب وتنتظر تحسن الاحوال حتى يستدعيها ملك البلاد الى حكم البلاد ..

اما فرض ارادة الشعب على الملك فذلك شىء لا يؤمنون به ، بل يهابون الاشتراك فى اظهار تلك الارادة ..

وزيادة على هذا فقيادة الوفد قد رات فيما عرضناه عليها خطرا قد يودى بها فى حالة الفشل ، وهى قيادة قد قررت عدم خوض معارك مع الشعب أو الجيش ضد الاعداء بل قررت مهادنة هؤلاء الاعداء والتعاون معهم آذا أرادوا ـ اى الاعداء ـ تلك المعاونة .. وليذهب الشعب الى حيث يشاء .

وفهمنا يومها أيضا أن قيادة الوفد قد انسلخت نهائيا عن طبقات الشعب المكافحة المتطلعة الى المستقبل . انسلخت عنها فى اللحظة التى ضمت فيها تلك القيادة طبقة الاقطاعيين وهى الطبقة التى اتحدت مصالحها مع مصالح القصر والاستعمار أيضا . . الطبقة التى لولاها لما كان فى البلاد قصر ولا استعمار ولا جوع ولا عرى ولا مرض . . هى الطبقة التى تشرب الدم البشرى وتريد أن تظل ممعنة فى ارتكاب هذه الجريمة الى الابد . . !

الوفد يتجه الى مصدر القوة . . .

واستعرضنا يومها مواقف الوفد — أو بعبارة اكثر صدقا — مواقف قيادة الوفد منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى حريق القاهرة !

وكان لابد أن نستعرض ذلك الموقف . . فالمسألة هى مسألة القضية الوطنية وليست شيئا آخر . . وعلينا ان نعرف اعداء هذه القضية ثم علينا أن نعرف أيضا قادتها الحقيقيين !

لقد كان موقف قيادة الوفد — وهو حزب الاغلبية — هو الاتجاه الى مركز الثقل فى السياسة المصرية ، ومركز الثقل كان فى يد كيلرن السفير الذى كان يحكم البلاد . . ثم عندما انتقل مركز الثقل هذا الى يد الملك بعد الحرب العالمية الثانية — وكان ذلك من خطة الاستعمار فى ذلك الوقت — اتجه الوفد الى القصر وهادنه . . تماما مثلما هادن كيلرن وارتمى فى احضانه !

وهذا التحول المؤسف فى سياسة الوفد ظهر واضحا العيان بعد أن أجريت الانتخابات على يد حسين سرى وفاز الوفد بأغلبية ساحقة ، وأصبح على الملك ان يدعو الحزب الفائز ليتولى الحكم . .

وسواء كان الوفد قد كسب تلك المعركة الانتخابية بالباطل او بالحق فهو ـ اى الوفد ـ قد فاز على اى حال وتربع اقطابه على مقاعد الحكم بعد أن ظلوا خمسة أعوام بعيدين بعيدين عنها . .فى انتظار الفرج . !

أصبح الوفد ـ اذن ـ فى يده كل الفرص لتحقيق مصالح الشعب وأهدافه العظمى بعد فوزه فى تلك الانتخابات . . فهل فعل ؟

لقد استبد الرعب بالملك عندما عرف نتيجة الانتخابات !

انتابه الفزع ، فالوفد قادم ليصفى معه الحساب . ليأخذ منه حق الشعب !

وليلة أن أذيعت نتيجة الانتخابات استدعى الملك حسين سرى رئيس الوزراء وقال له :

ـ تعالى حوش عنى الوفد . !

وكان مفروضا ان يخوض الوفد ـ باعتباره ممثلا للشعب كما يقولون ـ المعركة فى الحال ضد استبداد القصر . . فان الفرصة الذهبية التى كان ينتظرها قد هبطت بين يدى قادته . . فهم اصبحوا حكاما . !

وفى يناير ١٩٥٠ استدعى الملك مصطفى النحاس ليكلفه بتاليف الوزارة بعد نجاح حزبه فى الانتخابات . . وكان الملك يرتجف عندما دخل النحاس عليه فى عابدين . . كان يتوقع استفزازا أو حتى ابتسامة شماتة تظهر على فم صاحب المقام الرفيع ، بعد أن فاز رغم انف الملك وأصبح حاكما رغم انفه أيضا . . وهو الذى ظل فريسة لاضهاده طوال خمسة اعوام قضاها بعيدا عن لاظوغلى . . وعن النفوذ والصولجان !

وسمع الملك صوت صاحب المقام الرفيع يتكلم . . سمعه يقول له :

ـ انا ليه طلب . .

وتوقع فاروق شرا . . ظن أن زعيم الامة قرر الاشتباك

معه فى معركة وهو لم يزل فى أول الطريق .. وقبل أن تختفى صفرة الخوف من وجه فاروق بعد ذلك السؤال سمع النحاس يقول له :

ـ طلبى .. انى أبوس ايد مولانا !

وهكذا سقطت قيادة الوفد نهائيا فى قبضة أعداء الشعب فهى اذن قيادة غير شعبية .. وهى القيادة التى ايدها الشعب وجاء بها الى الحكم لتحمى مصالحه وتعمل من أجله .. ففوجىء بها تحمى مصالح القصر وتعمل من اجل سراج الدين وباقى الباشوات اعضاء القيادة الوفدية !

ومن أجل هذا لم نعجب حين حمل الينا أحمد انور مندوب الضباط الاحرار الى الوفد رد سراج الدين .. الذى اعتذر فيه عن التعاون معنا ، وكنا قد قررنا ان نفرض الوفد على الملك كخطوة أولى لاشعال نار الثورة

يريدون حكما ونريد ثورة

وبعد ذلك ــ اى بعد ان رفض فؤاد سراج الدين ان يخوض الوفد المعركة مع الضباط الاحرار ــ قررنا عدم التعاون اطلاقا مع الهيئات والاحزاب فى مصر .. لان العقلية التى تسيطر على قادتها تختلف تماما عن عقليتنا .. فهم يريدون حكما ونحن نريد ثورة . نحن فى ناحية وهم فى ناحية اخرى .. نحن نريد تغيير نظام الحكم ، وهم يريدون الحكم نفسه !!

يريدون الحكم فى كنف فاروق .. وكريم ثابت وبوللى وخدم القصور

أما المعارك جنبا الى جنب مع الشعب ضد فاروق فذلك شيء يرعبهم ويجعلهم يهربون من الميدان .. الى المخادع الناعمة فى انتظار العطف السامى

كانت المسألة فى برنامجنا هى كفاح من اجل الشعب ، اما المسألة التى فى برنامجهم فهى كانت كفاحا من أجل الحكم

لهذا قررنا استبعاد كل الهيئات والاحزاب من كل خططنا فى المستقبل

وقررنا فى نفس الوقت الاعتماد على انفسنا .. على تشكيل الضباط الاحرار، فمن بين صفوف هــــذا التنظيم المناضل يمكن ان تظهر القيادة السياسية الوحيدة التى لا تتعارض مصالح افرادها مع مصالح طبقات الشعب المتطلعة الى التحرر . فكل الضباط الاحرار من عائلات متوسطة وليسوا ابناء باشوات وليسوا من صلب الارستقراطية المصرية الخائنة المتعاونة مع القصر وكل اعداء الشعب ..

رايان يتصارعان ..

غير اننا بعد عزل الملك بدأنا نناقش الوضع من جديد . وفى كل اجتماعات الهيئة التأسيسية المستمرة دائما فى تلك الايام لم يقف احد منا لينادى بأن نتولى نحن الحكم .. وانما كان هناك رايان يتصارعان ..

الرأى الاول يقول : بما اننا كنا ننوى ان تبدأ الشرارة الاولى للثورة بفرض حزب الاغلبية على الملك فماذا يمنع لو استدعينا برلمان الوفد لتسيير الامور ونجلس نحن نراقب الاحوال والخطوات وتنفيذ اهداف الثورة

والرأى الثانى يقول : لا يصح ان يحدث هذا .. فالوفد وكل الاحزاب والهيئات بما فيهم الاخوان قد تخلفوا عن التعاون معنا قبل الثورة ، واعتقدوا عندما اتصلنا بهم أن المسألة خيال فى خيال .. وتخلفهم هذا معناه انهم ليسوا ذوى نوايا حسنة بالنسبة للشعب ، ومعناه أيضا انهم لا يؤمنون بما ينادى به الشعب ، وكفاحهم من أجل مصالحهم هم لا مصالح الشعب . وقيادة كل هيئة وكل حزب اصبحت معزولة عن الشعب تماما .. ومصالحها متناقضة مع

مصالح الشعب فهى ـ اى تلك القيادات ـ سوف تكون حربا على اهداف الثورة لو مددنا ايدينا اليها ..

ومضى أنصار الرأى الثانى يفسرون اهداف الهيئات والاحزاب ويقارنونها بأهداف الشعب . ثم قالوا ان الثورة تحتم الغاء كل تلك الاحزاب والهيئات التى تآمرت على الشعب طوال الربع قرن الاخير .. وهى على استعداد فى كل وقت للتآمر على مصالحه حتى بعد خروج فاروق .. فلن يعدموا طاغية آخر واعداء آخرين للشعب تتفق مصالحهم مع مصالح هؤلاء الساسة القدامى . وفى هذه الحالة ماذا سوف يحدث !؟

كأننا لم نقم بثورة .. وكأننا لم نطرد صاحب العرش وكأننا كافحنا واصررنا على الكفاح من أجل أن نسلم البلد لهذا القطيع المتآمر والخاضع للاستبداد المتطلع الى لاظوغلى لا الى الشعب !!

واستمرت المناقشة واحتدمت تلك الاجتماعات للهيئة التأسيسية . وكان الرأيان المتصارعان هما محور كل المناقشات !!



التطهير المزيف للأحزاب

.. كان رسل الوفد يقفون امامنا ، وينبرى قطب منهم ويقول :

ـ اسمعوا ... لا خلاص لكم الا بالوفد

وقال لنا الاخوان :

ـ نحن لها ... نحن الذين سننقذ الموقف ... اما غيرنا فيخدعكم ويغرر بكم ... اجعلونا أوصياء على الثورة .. هذا هو الحل الوحيد .. ولا خلاص لكم الا بوصايتنا

... وكنا نؤمن بأن الثورة لا يمكن ان تمضى فى طريقها بديمقراطية الوفد والاخوان والسعديين ... ديمقراطية النظام الملكى الاقطاعى القائم فى كنف القوات المحتلة ... ديمقراطية العبيد

... وكنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صاحبة الحق القادس فى كل شبر من أرض مصر بعد طرد فاروق تتيقظ وتعى موقفها تماما ازاء الاحداث التى ستترى بعد ذلك : حتى لا تضلل ؛ فينتخب الفلاحون صاحب العزبة نائبا عنهم وهو سارق أرزاقهم ، وحتى لا تسير مظاهرة من افراد مساكين ، ويقودها مشعوذ ، أو اجير لتهتف :

ـ حرامى ... حرامى ... لكن عايزينه

... وطالبنا الأحزاب بالتطهير

... ومنهم زرق الانياب وقدامى السياسة والحكم ... انهم يستطيعون أن يضحكوا علينا

... وعقد الوفد اجتماعا .. وأصدر قائمة
وعقد السعديون اجتماعا .. وأصدروا قائمة
... وعقد كل حزب اجتماعا ، وأصدر قائمة
.. وكانت حكاية التطهير مهزلة
.. ولو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للاشخاص والبرامج لما كان فى مصر ثورة ، ولا كانت مصر تستطيع ان تثور قبل عشرات السنين

الاحزاب

.. ماذا كانت تريد .. ؟

لقد وقفت بالقارىء فى آخر حلقة من القصة عند موقف الاحزاب من هذه الثورة ، وقلت أننا فتحنا أمامهم الابواب ومددنا أيدينا لكل زعيم منهم وقلنا : تعالوا .. ساهموا معنا فى هذا العمل التاريخى الكبير .. تعالوا نصنع جميعا مستقبل شعب قضى عمره يجوع ويمرض ويموت

وترددوا – جميعا – ولم يمدد أحدهم الينا يده .. كانوا يعتقدون أن الذى حدث فى ٢٣ يوليو ماهو الا أحد الانقلابات المعروفة العادية ، والتى قد تزول بين يوم وليلة ، وبعد ذلك يتولون زمام الامور من جديد

لم يفهموا على الاطلاق أنها ثورة والا فما معنى ترددهم ؟!

قرروا أن ينتظروا ليروا الى أين تتجه الاحداث بعد ذلك اليوم من يوليو ، وفى نفس الوقت ، ونحن نعد خططنا لتغيير نظام الحكم ، كان الرسل يجيئون الينا ويروحون .. رسل الوفد يقفون أمامنا وينبرى قطب منهم ويقول :

– اسمعوا .. لاخلاص لكم الا بالوفد .. صدقونا .. أنتم لن تتمكنوا من صنع شىء على الاطلاق ، الا اذا أيدناكم نحن الوفديين ، فلابد من حزب سياسى يقف الى جواركم

ولا ينسى « القطب » أن يستعرض أمامنا قائمة الاحزاب المصرية الموجودة

وبعملية بسيطة يخرج من الاستعراض بأن الوفد هو الحزب الوحيد الذى لا نجاة للثورة الا به ، لانه حزب الأغلبية ويخرج أقطاب الوفد من عندنا ليدخل أقطاب آخرون هم الاخوان ، وفى بساطة وبمنطق غريب يتحدثون عن أنفسهم كأنهم هم صناع التاريخ والتطور الانسانى !

قال لنا الاخوان : نحن لها .. نحن الذين سننقذ الموقف .. اما غيرنا فيخدعكم ويغرر بكم . اجعلونا أوصياء على الثورة .. هذا هو الحل الوحيد ، ولا خـــلاص لكم الا بوصايتنا

من يريد أن يثور معنا ؟

وكنا نلاحظ بوضوح ونحن نستمع الى كلام «الاخوان» انهم على ثقة من قدرتهم على خداعنا ، فكنا نلوذ بالصمت ولا نشعرهم بأننا نفهم كل ما يدور فى رؤوسهم .. الجميع كانوا ينظرون الينا باعتبارنا صغارا لا قدرة لهم على مواجهة الاحداث .. كأنهم كانوا بأعمـارهم المديدة قادرين على مواجهة أحداث ما قبل يوليو .. فما بالهم بما بعد ذلك التاريخ ؟!

الواقع أننا ـ فى ذلك الوقت ـ كنا فى حيرة ، فقد كانت الخطة التى وضعناها فى اخلاص شديد تقضى ـ فعلا ـ بالتعاون مع من يريد ان يثور معنا ، من يفهم أن المسألة هى العمل والعمل والعمل ... وليس الحكم !

ومن أجل هذا طلبنـــا من كل الأحزاب أن تطهر نفسها فورا كشرط للتعاون من أجل بعث مصر وتغيير شـــكل النظام القائم

ديمقراطية العبيد !

قلنا لهم : انسوا برامجكم القديمة وأساليبكم الماضية ،

وتخلوا عن معتقداتكم التى كانت تتفق مع الوضع قبل يوليو ، وقد اختلف الوضع بعد ذلك التاريخ .. ولا سبيل الى العمل او التعاون والاشتراك فى «الثورة» بهذه العقلية وبتلك البرامج والمعتقدات !

كنا نؤمن بأن « الثورة » لا يمكن أن تمضى فى طريقها بديمقراطية الوفد والسعديين والاخوان ، فتلك كانت ديمقراطية النظام الملكى الاقطاعى القائم فى كنف القوات المحتلة .. اى ديمقراطية العبيد ! !

فالبرلمان والدستور وكل الأشكال الوهمية للحرية .. والتي كانت قائمة قبل يوليو كانت وسيلة لحكم الشعب بالقوة ومنعه من نيل حق واحد من حقوقه التى كانت فى قبضة أعضاء البرلمان والحكام وحماة الدستور

كان الاقطاعى يمثل تمثيلا ـ ديمقراطيا ـ مصالح الفلاحين ... عبيده ! فأين الديمقراطية هنا ، وكيف كان يمكن الثورة أن تقضى على الاقطاع اذا رأى قادتها أن يجعلوا مبدأ التعاون مع الوفد وغيره من الاحزاب هو الاساس الذى سيقوم عليه النظام بعد يوليو !؟

ذلك كان الموقف بالتحديد ، لا ديمقراطية اذن ولادستور ولا حريات ولا برلمان ولا ممثلين للأمة . لا شىء من هذا على الاطلاق كان يمكن أن تبقى عليه الثورة اذا لم تتطهر الاحزاب وتغير من برامجها ، من أشخاص القائمين عليها وهم الاعداء الحقيقيون للشعب

وليس هناك غيرهم يمكن أن يعطل التطور المحتوم للناس فى مصر بعد سقوط فاروق

النائب والشعب ..

وقد كنا فى ذلك الوقت نحاول ان نجد طريقة نغير بها من

اساليب الكفاح السياسي الوفدى والسعدى والدستورى والاخوانى .. كنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صاحبة الحق المقدس فى كل شبر من أرض مصر بعد طرد فاروق تتيقظ وتعى موقفها تماما ازاء الأحداث التى ستترى بعد ذلك حتى لا تضلل فينتخب الفلاحون صاحب العزبة نائبا عنهم وهو سارق أرزاقهم ، وحتى لا تسير مظاهرة من افراد مساكين ويقودها مشعوذ أو اجير لتهتف ـ حرامى .. حرامى .. لكن عايزينه !

كيف يفهم الفلاح !؟

كان حتما أن يحدث التغيير فى وعى الجماهير ليسير جنبا الى جنب مع دورات الثورة ، فكيف يكون ذلك ، والثورة كانت بيضاء لم يشترك فيها الشعب بالسلاح كما هو الحال فى كل الثورات التى غيرت نظم الحكم والاقتصاد !؟

كيف كان يمكن أن يفهم الفلاح الذى فى «درين»ان الهتاف، بحياة عبد العزيز البدراوى نائب مركز طلخا جريمة .. بعد يوليو . !؟ وهو ـ أى فلاح درين ـ لم يهدم الاقطاع بفأسه حتى كان يمكنه ان يعى معنى الثورة ! ؟ كنا نواجه حالة تاريخية شاذة ...

كنا لا نريد أن تسيل الدماء فى درين وفى القاهرة وفى كل المدن والقرى حتى يعى الشعب موقفه ، ويفهم أن الثورة ما قامت الا من أجله هو ومن اجل تحديد مستقبله ، لا من اجل طبقة معينة

والدماء كان يمكن أن تسيل . . كان الجيش على استعداد لخوض المعركة المسلحة الى جانب الشعب فى درين وفى القنال وفى اقاصي الصعيد . . لكن ما ثمن كل هذا .. وما نتيجة الدم المراق . !؟

حيرة التاريخ . !؟

وماذا لو استطعنا ان نحقق للشعب كل حاجاته وأهدافه بلا دم !؟ هنا يقف التاريخ حائرا الى حد ما ليرقب النتيجة . . فهى حالة شاذة كما قلت فى تاريخ الثورات . . !

وفى حجرتنا القائمة هناك فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، كنا نجلس لنعد خطة الزحف الابيض على اعداء الشعب .. الزحف الذى يمتد بلا ضحايا .. بلا بارود ولا اشلاء ولا رقاب طائرة ..

صحيح أن الثورة الدموية تخلق الوعى السياسى فى الحال بين الجماهير وتجعل الشعب يرى طريقه فيمضى كالمارد فيه حتى النهاية ، لكن مقومات الثورة الدموية التى كان من المفروض أن تحدث بعد يوليو لم تكن موجودة ... فلا الشعب يريد الدم ولا الجيش.

وليس فى البلاد ميادين لمثل هذه المعارك ، لأن الموقف فى مصر مختلف عنه فى كل بلاد الدنيا .. الظروف ؛ والأوضاع والوعى ، والتنظيم الثورى النابع من أعماق الشعب .. ثم هناك الحقيقة الكبرى فى قصة ثورتنا ، وهى أن قيادة الثورة ظهرت بين صفوف القوات المسلحة فسيطرت تلك القيادة على هذه القوات . . وهذه الحقيقة ذكرتها فى مقالاتى السابقة مرارا عديدة .. فهى ـ اذن ـ حقيقة تاريخية ومعناها أنه لا مجال على الاطلاق لمعركة مسلحة بين الشعب وأعدائه ما دام الشعب قد أصبح يملك السيطرة على قواته المسلحة ، وما دامت قيادة تلك القوات أصبحت تنادى بمطالب الشعب .. وتعمل على تحقيقها

اين هم الأعداء الذين يمكنهم أن يقفوا أمام هذه الحقيقة دون أن يستسلموا ..

لا البدراوى ولا اى عدو آخر يمكنه أن يتمسك بالارض

إذا رأى دبابة تقف أمام قصره فى درين وينـــذره قائدها بتسليم الأرض لأصحابها ..

ان الموقف بالتحديد هو أن الدبابة كانت تحمى البدراوى من فلاحيه ، ثم أصبحت بعد يوليو تحمى الفـــلاحين من البدراوى !

ومضينا فى زحفنا الأبيض

وأمام هــذا الوضع التاريخى رأينا أن نمضى فى زحفنا الأبيض على أعداء الشعب حتى النهاية .. ومن اجل أن نطمئن الجميع ـ حتى الاعداء ـ طلبنا من الاحزاب ـ كما قلت ـ أن تطهر نفسها وتعد برامج تتفق مع التطور المحتوم الشعب بعد يوليو ..

لـكن ـ كما قلت ـ اعتقـد أقطاب تلك الاحزاب أنهم يستطيعون أن يضحكوا علينا .. نحن الضبـــاط الشبان الصغار .. فهم زرق الأنياب وقدامى فى السياسة والحكم .. أما نحن .. فمن نكون ؟!

وانتظرنا من زرق الأنيـــاب هؤلاء أن يطهروا أنفسهم ويغيروا من برامجهم فى صدق وليس كما فعلوا بعد ذلك كما سيجىء فيما بعد .. لكنهم ظلوا يناورون مما اضطرنا الى انذارهم ، ونشر الانذار فى الصحف واذيع ، وقد جاء فى نهايته تلك العبارة : « وقد أعذر من أنذر .. »

التطهير المزيف ..

وهنا شعروا أن « الثورة » جادة فى المسألة ، وأن الموقف ليس كما كانوا يعتقدون مجرد كلام فى كلام

وأسرع حزب الوفد وعقد اجتماعا ، وأدارالاجتماع الاعداء الذين ما قدمت الثورة فى مصر الا لتقضى عليهم ، بل ما قامت أية ثورة فى اى قطر من الاقطار الا للقضاء على امثالهم ..

المهم ان الوفد عقد الاجتماع والسلام ، وأصدر الوفد قائمة بأسماء بعض اعضائه الذين قـــرر اخراجهم من الحزب لتطهيره ، وهؤلاء الاشخاص لم يكن لهم نفوذ فى الحزب بل لم يكن هناك مبرر لاخراجهم ، ولا احد يعلم لماذا قرر الوفد اخراجهم ، وقد ظنوا كما ظن غيرهم فيما بعد أنهم ضحكوا علينا بعمليات التطهير والتغيير المزيفة تلك .. وكانت حكاية التطهير مهزلة ..

ولو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للاشخاص والبرامج لما كان فى مصر ثورة ولا كانت مصر تستطيع أن تثور قبل عشرات السنين !

تحديد الملكية

تحديد الملكية والاحزاب

كان هناك رأيان يتصـــارعان فى اجتماعات الهيئـــة التأسيسية ، وقد احتــدمت المناقشة بين أعضاء الهيئة حول الرأيين ...

وكان أصحاب الرأى الاول يرون أنه بالرغم من أن قيادة الوفد قد انسلخت عن الشعب حين ضمت اليها الاقطاعيين، الا أنه يمكن استدعاء برلمان الوفد الذى كان قائما قبل أحداث يناير سنة ١٩٥٢ لتسيير الامور ، على أن نراقب نحن الاحوال والخطوات وتنفيذ أهداف الثورة .. ذلك هو الرأى الأول

أما الرأى الثانى فيقول أصحابه أن حزب الوفد والاخوان وكل الأحزاب فى البلد ، يكافحون ـ جميعـــا ـ من أجل مصالحهم فقط ، وليس من أجل مصالح الشعب ، والثورة قامت لتحقيق المصالح الشعبية ، فوجود تلك الهيئـات والاحزاب ـ اذن ـ معنا سيعطل الثورة وربما قضى عليها

وظلت المناقشات دائرة فترة طويلة ، ليلا ونهارا حول ذلك الموضوع .. فالى أى الرأيين اتجه الأعضاء فى النهاية !؟

... فى النهاية اقتنع الاعضاء بالرأى الثانى ...

اقتنعنا أن كل الأحزاب والهيئات بما فيها الاخوان ما هى الانتاج طبيعى للوضع السياسى فى البلاد خلال ربع القرن الأخير ... أى أنها ما وجدت الا لتعمل فى كنف الاستعمار وعملاء المستعمر والقصر .. ورواسب الاحتلال باقية فى رؤوس قادة تلك الأحزاب والهيئات لأن مصالحهم ارتبطت

به وبوجود النظام القائم فى البلاد .. فالتعاون بين تلك الهيئات والأحزاب وبين الاستعمار هو تعاون من أجل تبادل المصالح والمنافع ، فاذا مدت الثورة يدها لهؤلاء القادة فمعنى هذا هو أن الثورة ستهادن أيضا الاستعمار وتبقى على النظام القائم وكل شيء .. اى أنها لا تكون ثورة .. ولم يكن هناك ما يدعو لقيامها ما دامت اهدافها هى جمل الاحزاب والهيئات التى وجدت فى البلاد خلال ربع القرن الأخير تتولى زمام الأمور ..

واستعرضت خلال المناقشة المفاسد التى كانت الطابع الواضح فى قيادات الوفد والاخوان وباقى القطيع !

وعلى هذا الأساس أعدت الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار قرارا يقضى بحل الأحزاب كلها والاخوان أيضا ، وابعاد كل السياسيين القدامى الذين تعاونوا مع القصر والمستعمر ، وانسلخوا عن القاعدة الشعبية نفسها ، والتى بدونها لا يصبح للحزب أو للهيئة مهما كانت صفتها دور فى تطور الشعب أو تحريره من المظالم كلها .. أو فى خلق الحياة الديمقراطية الصحيحة التى قامت الثورة من أجل ارساء قواعدها الصحيحة

وفى نفس الوقت يفسح المجال أمام جيل سياسى جديد يؤمن بالشعب وبأهدافه ويرتبط بمصالحه ولا ينسلخ عن طبقات الأمة التى قامت الثورة من أجل تحطيم قيودها !

جمال يقول .. هذه ديكتاتورية

وبعد أن وصل أعضاء الهيئة الى هـذا القرار ، وقف جمال عبد الناصر .. واعترض على هذا القرار .. وقال :

ـ يا جماعة .. انى أخشى أن يفهم البعض من هذا القرار اننا نتجه نحو الديكتاتورية !

ومضى جمال يقول لنا :

ـ ان ثورتنا ديمقراطية ، وهى قد قامت أساسا لاعادة

حقوق الشعب بعد انتزاعها من أعدائه ، الملك والاستعمار والحكام ، ونحن لا نستطيع أن نصنع ديكتاتورية فى هذه البلاد ، لأن الديكتاتورية لا تقوم الا لحماية مصالح طبقة ، والبطش بمصالح الطبقات الشعبية الاخرى ... وليس فى مصر طبقة يمكن أن تقام ديكتاتورية تحميها من الشعب الا الاقطاع ، ونحن فى سبيل ضرب ذلك العدو الذى ربض على صدور الشعب طوال مئات السنين ، فلمصلحة من تقام الديكتاتورية !؟

لمصلحة الرأسماليين !؟

اننا قمنا بثورتنا لتحرير الشعب من استغلال الرأسماليين فالديكتاتورية اذن تصبح ضد أهداف الثورة !؟

وبدأنا ننصت الى كلمات جمال وهو يتحدث الينا معترضا على قرار حل الأحزاب والهيئات ، ومنع السياسيين القدامى من مزاولة اى نشاط سياسى

وعاد جمال يقول :

ـ أحب أن تفهموا أن الديكتاتورية معناها أن طبقة معينة تريد استغلال باقى الطبقات الأخرى فى الأمة ، وهى ، اى تلك الطبقة ، لا تستطيع أن تستغل الشعب الا فى ظل النظام الديكتاتورى . فأى طبقة تلك التى نريد نحن أن نستغل الشعب لحسابها ونبطش به ، ونحكمه بالكلمة المجردة من أجل بقاء الطبقة المذكورة وحماية مصالحها ؟

اننا لا نمثل طبقة الرأسماليين فنحن جميعا ابناء فلاحين ومن عائلات متوسطة فليست لنا مصلحة فى اقامة نظام ديكتاتورى .. فمصلحتنا هى نفس مصلحة جميع ابناء العائلات المتوسطة والفقيرة والكادحة .. هى نفس مصالح الشعب ، وتلك المصالح على اختلافها لا تتحقق الا فى ظل نظام ديمقراطى سليم يفرض ارادة تلك الطبقات على الحاكم . فيظل ملتزما حدودها ..

والديكتاتورية لاستعمار الشعوب !

ومضى جمال يقول :

ومسألة ثانية وهى أن الديكتاتورية تقام ايضا من أجل استعمار بلاد اخرى

بمعنى أن تقرر دولة ما فتح أسواق عالمية أمام انتاجها وتكون تلك الأسواق تسيطر عليها دول اخرى ، وفى هذه الحالة تقيم الدولة المذكورة ديكتاتورية فى أرضها لتوجيه شعبها الى الحرب ، أى لاستعمار الدول التى تريد الاستيلاء على أسواقها

فهل نحن نريد استعمار دول العالم ؟

لا شىء من هذا على الاطلاق له وجود فى رؤوسنا او فى حياتنا .. فكيف اذن نقيم حكما ديكتاتوريا ؟

انه من المحال ــ ماديا ــ اقامة مثل هذا النظام فى مصر ! لأن الوضع فى مصر يحتم اقامة نظام ديمقراطى ..

ومضى جمال يومها يتحدث عن الديكتاتورية والديمقراطية حتى قال :

ــ أنا بطبيعتى أنفر من الديكتاتورية ولا أتصور أنه من الممكن العمل فى ظلها وأخشى أن يفهم بعض الناس هنا أو فى الخارج من هذا القرار الذى أعددتموه اننا نستهدف اقامة نظام ديكتاتورى .. ففى هذا الفهم الخاطىء تعطيل للثورة ، وعرقلة لخطواتها . وستحاول الرجعية المصرية ، وكل الأعداء ، استغلال هذا الموقف وهذا الفهم الخاطىء للقرار المذكور فى تشويه ثورتنا !

صحيح أن كل الهيئات والأحزاب فى مصر ، كما وضح لنا ، لا تصلح على الاطلاق بوضعها الراهن لحكم البلاد أو للعمل الى جانب الشعب ، لكنى أرى أن نعطى الجميع فرصة ، ولا داعى لهذا الاجراء العنيف ، فربما أودى بنا

هذا الى الديكتاتورية ، والفرصة التى سنعطيها للأحزاب والهيئات هى أملنا الأخير فيها

لنعط الأحزاب هذه الفرصة لتصلح من برامجها وتحدد أهدافها فاذا ما حددت تلك الاهداف والبرامج ، وطهرت نفسها من عوامل الفساد والرجعية أصبح من السهل عليها ـ أى الأحزاب ـ أن تتعاون مع الثورة ، وتمضى معها فى طريق واحد ... فتتبلور كل الجهود داخل الثورة ويصبح تحقيق الديمقراطية السليمة أمرا هينا فى الشهور القادمة

وختم جمال عبد الناصر كلمته فى ذلك الاجتماع التاريخى بقوله :

ـ اننا اذا أعطينا الاحزاب والهيئات فرصة لتطهير نفسها وتحديد برامجها وأهدافها بما يتفق والوضع الجديد بعد فاروق .. نكون قد أشركنا الشعب معنا فى الحكم على صلاحية تلك الأحزاب والهيئات أو عدم صلاحيتها !

وبعد أن انتهى جمال من حديثه عن الديكتاتورية قال للأعضاء :

أما اذا رأيتم الأخذ بذلك القرار فانى أدعو لكم بالتوفيق وأرانى مضطرا الى الانسحاب ، وسأدعو لكم بالتوفيق ، وسأكون طوع أمركم فى الجيش أو خارج الجيش ، وفى هذه الحالة أرجو أن تعتبرونى مستقيلا من الهيئة !

وتوجه جمال على الفور الى منزله بعد أن ترك لنا استقالته !

نجيب يوافق على حل الأحزاب .. !

ذلك كان موقف جمال عبد الناصر بعد أن قرر أعضاء الهيئة التأسيسية حل الأحزاب والهيئات كلها ومنع كل السياسيين القدامى من مزاولة أى نشاط سياسى .. وكان

اللواء نجيب يرى نفس الرأى .. أى حل الاحزاب والهيئات

كان جمال هو الوحيد الذى عارض وأصر على موقفه ، وأمام هذا رأينا أن نعيد النظر فى الموضوع من جديد ، فكلنا كنا نؤمن بأن جمال لا يتكلم الا اذا كان حديثه قائما على أسس واقعية

انه دائما ينظر الى بعيد ، انه دائما ذلك المناضل الناضج الذى يعى موقفه ويعرف أين يضع قدميه .. وهو طوال أعوام نضالنا كان ينادى دواما بأن نلتصق بالشعب ولا ننعزل عنه .. وهو كان دواما يرى اشراك الشعب فى كل صغيرة وكبيرة لأن المسألة مسألته وليست مسألة أحد غير الشعب ..

دينامو الثورة ..

لقد عرفنا جمال منذ عام ١٩٤٣ عندما تسلم جمال قيادة التنظيم .. عرفنا فيه « الدينامو » الذى يحرك الجهاز كله ، ومن أجل هذا انتخبناه ثلاث مرات رئيسا للهيئة التأسيسية ، مرتين قبل الثورة ومرة بعدها ! ثم تنازل من تلقاء نفسه عن الرئاسة لنجيب .. وأصر على ذلك التنازل حتى اضطررنا الى الموافقة !

وقد ظللنا نفكر فى كلمات جمال التى قالها لنا وهو يعترض على القرار المذكور ويصر على اعتراضه الى حد تقديم استقالته !

فكرنا فى كل كلمة قالها وحللناها .. وكنا نعرف أن جمال يؤمن ايمانا عميقا بالتنظيم ..

كان يقول دائما بأنه لا يمكن ان يتم اى عمل بدون خطة .. ويعد للخطة آلاف الاعتبارات ..

كان كما قلت هو « الدينامو » الذى يحرك الجهاز كله .. وفى كل عمل قمنا به قبل الثورة أو بعدها كان نضج تفكيره

هو الذى يحسم الموقف .. ومن أجل هذا كله آمنـا به كصاحب عقلية متطورة منظمة مؤمنة .. وتلك هى العقلية التى يتحتم أن يتصف بها كل قائد ..

وأمام هذا كله ، رفضنا استقالة جمال فلا يعقل أن يدور جهاز ـ أى جهاز ـ بدون الشىء الذى يحركه ! وجمال هو الذى كان يحرك جهاز الثورة !

ورأينا انه لا بد من أن نعيد النظر فى القرار

وفتحنا باب المناقشة .. مرة ثانية فى الموضوع .. وفى النهاية راينا أن نعطى الأحزاب فرصة لتطهير نفسها وتحديد برامجها وأهدافها بما يتفق والوضع الجديد .. بما يتفق ومصالح هذا الشعب . هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى ففى اعطاء هذه الفرصة للأحزاب والهيئات اشراك للشعب معنا فى الحكم عليها .. وسوف يعرف ان كانت ستعمل ـ بعد اعطائها تلك الفرصة ـ على تحقيق مصالحه وأهدافه أم أنها لا تزال كما هى تستهدف مصالح قادتها وأقطابها !

صممنا على اجراء الانتخابات ..

وصدر القرار فعلا بهذا .. وتحدد ـ فى القرار ـ موعد أقصاه شهر فبراير عام ١٩٥٣ أى ستة شهور لاجراء الانتخابات ، بعد أن تنتهى الاحزاب من تطهير نفسها ، ومن تحديد أهداف جديدة وبرامج جديدة تتفق والوضع الجديد .. وتتمشى مع التطور الذى لا بد منه للشعب

وكان على ماهر فى ذلك الوقت لا يزال فى الحكم ، فأصدر بيانه المشهور الذى هاجم فيه الاحزاب كلها .. لكنه أغفل ذكر الموعد الذى حددته القيادة لاجراء الانتخابات !!

وكنا قد ابلغناه بذلك القرار الذى يتضمن اعطاء فرصة للاحزاب لتهيئة نفسها للانتخابات .. بالتطهير وتحديد برامج وأهداف جديدة !

وبعد ان صدر بيان على ماهر بساعتين ، وقد فوجئنا باغفاله ذكر موعد الانتخابات ، أصدرنا بيانا آخر أكدنا فيه تمسكنا باجراء الانتخابات فى فبراير سنة ١٩٥٣ ..

فماذا حدث ؟ ..

لماذا لم تتم الانتخابات ، ولماذا لم يتقدم الساسة والزعماء الى الطريق ويمضوا مع الثورة حتى النهاية ؟ ..

لماذا لم يقرروا مد أيديهم للشعب فى كفاحه الطويل المرير ؟!

لماذا لم يكونوا ديمقراطيين فيؤمنوا بأهداف الثورة ؟.. وكان الهدف الاكبر للثورة فى ذلك الحين ، أو بعبارة اخرى كان الاساس الذى أردنا أن نقيم عليه بناء الثورة الكبير هو قانون تحديد الملكية .. اى ضرب رأس الخيانة والظلم والفساد السياسى فى البلاد .. الاقطاع

ديكتاتورية وديمقراطية !!

فهل كان قانون الاصلاح الزراعى وهو قانون أخذت به أحدث الدول فى التقدم والتطور .. أقول هل كان ذلك القانون هو الذى كشف عن حقيقة الأحزاب والهيئات المصرية .. ونوايا قادتها وأقطابها !!؟

أو ما هو الشيء الذى كشف عن نواياهم تجاه الثورة أى الشعب ، فمنع تنفيذ قرار الهيئة التأسيسية الذى حددنا فيه موعد الانتخابات خلال ستة شهور !؟

انها كانت مرحلة خطيرة حقا فى كفاحنا .. ان رئيس الوزراء نفسه الذى يحكم فى ذلك الوقت كان يعارض ذلك القانون .. كما عارضه كل الباشوات .. فهل أخطأنا نحن وأصاب الباشوات !؟

هل كنا ضد الديمقراطية حين اصررنا على ضرب الاقطاع والبطش به !؟

هل كان موقفا ديكتاتوريا منا حين أردنا منع شخص واحد من ان يملك الارض ومن عليها من بشر وحيوان وجماد !؟

ان كلمات جمال عبد الناصر لا تزال ترن فى اذنى ، عندما قال :

ـ سوف تستغل الرجعية موقفنا المنيف هذا من الأحزاب والهيئات لتشوه ثورتنا .. فتصمها بالديكتاتورية

أوصياء العرش والاقطاعيون

حددنا – اذن – موعد الانتخابات كما قلت – أمس – وأعطينا للاحزاب فرصة لتراجع نفسها ، وتقرر هل هى تؤيد أحداث يوليو مثل الشعب ، أم هى قد روعت بما حدث فى ذلك الشهر الخالد ..

أعنى أننا أردنا أن نكشف الطريق أمام الثورة ..

فقد كان حتما علينا أن نعرف الاعداء الذين سيتربصون بالثورة وهى ماضية فى طريقها ، فاذا ما عرفناهم أصبح الطريق أمام الثورة أكثر أمنا ونورا ، فلا يطعن الشعب فى ظهره وهو ماض فى زحفه نحو المستقبل ..

وصدر القرار من الهيئة التأسيسية كما قلت – أمس – وحددنا فيه شهر فبراير عام ١٩٥٣ لاجراء الانتخابات ، وكان أمام الاحزاب التى ستخوض معركة الانتخابات أن توضح نواياها تجاه أهداف الشعب بعد أن طرد فاروق .. فتطهر نفسها وتبعد عن صفوفها كل فرد فيها مهما كانت صفته فى الحزب .. وخاصة الافراد الذين ارتبطت مصالحهم بمصالح العرش الذى طرد صاحبه ..

وبعد أن تكون تلك الاحزاب قد غيرت من برامجها وأهدافها أيضا ، فلا يعقل أن تبقى البرامج والاهداف التى حددتها الاحزاب لنفسها أيام فاروق ..

والزمن قد تغير .. وكل شىء كان لابد أن يتغير والا فلا كانت الثورة ولا كان الكفاح فى سبيل قيامها .!

وكان على ماهر رئيس الوزراء ، نفس السياسى المصرى

الذى فرضته الثورة على فاروق قبل اخراجه من أرض الثورة

وأذاع على ماهر بيانا ـ كما قلت ـ هاجم فيه الاحزاب، وأغفل فى البيان الاشارة الى قرار الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، والذى حددت فيه القيادة الانتخابات ، واضطررنا بعد صدور بيان على ماهر الى اصدار بيان فى الحال أكدنا فيه اصرارنا على تحديد شهر فبراير المذكور لاجراء الانتخابات

لقد كان الوضع غريبا جدا ، فالوزارة التى تولت الحكم بعد ٢٣ يوليو كانت فى واد والثورة فى واد آخر ..

كنا نريد ثورة ، والوزارة لاتكاد تشعر بما يجرى وسيجرى تحت سماء مصر من أحداث ..

وربما كان يظن أفراد تلك الوزارة أننا فرضناهم على الملك لكى يحكموا ويوجهوا الشعب ويصنعوا مستقبله بلا ثورة !

مفاجآت لحكومة على ماهر

ولم تؤمن تلك الوزارة بأنه لابد أن يحدث تغيير فى الوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى ..

وربما فوجئت تلك الوزارة باتجاه الثورة الى ضرب الاقطاع بعد أن خلعت الملك عن عرشه ...

وأكاد أعتقد أن الوزارة المذكورة فوجئت بالثورة نفسها

فقد كان على ماهر يظن فى اللحظات الاولى للثورة أن المسألة لاتخرج عن أن الجيش له طلبات ، ويريد أن تنفذ ، ثم بعد ذلك يبقى كل شىء كما هو !

لكنه فوجىء بعد يومين من قيام الثورة برجال القيادة يكلفونه بحمل الانذار الى الملك بمغادرة البلاد ، وكان على ماهر قد اطمأن على بقاء النظام ، بعد أن حمل طلبات الجيش الى الملك ، وموافقة الملك على تلك الطلبات ..

وبعد ذلك توالت المفاجآت أمام حكومة على ماهر ..

وعرف أن القيادة تريد انهاء مسألة الاقطاع فى الحال كوسيلة لتحطيم القيد الذى رسفت فيه أغلبية الشعب ـ الفلاحون ـ طوال مئات السنين .. فلم يكن لتلك الملايين ارادة على الاطلاق ولا حقوق على الحاكم... بل الارادة كانت ارادة الاقطاعيين والحقوق كلها لهم ..

وكانت تلك هى فلسفة الثورة المصرية

الفلسفة التى تحددت فى منشورات الضباط الاحرار منذ بدأوا نضالهم التاريخى المرير فى سبيل الشعب

وقد تضمنت تلك الفلسفة أيضا القضاء على سيطرة رأس المال ...

حالتان كانتا لابد أن تزولا لتحقيق أهداف الشعب .. لكن الوزارة ـ كما قلت ـ كانت فى واد والثورة فى واد آخر

وأعود الى الانتخابات التى كانت قد تحدد موعدها ..

فعلى أى أساس كانت ستجرى تلك الانتخابات !؟

طلبنا ـ كما قلت ـ من الاحزاب أن تحدد موقفها من الثورة .. أى من أهداف الشعب... كشرط أساسى للتعاون بين الثورة وبينها .. لانه كان لايعقل أبدا أن تجرى الانتخابات بعد طرد فاروق والباشوات وأذنابهم والارستقراطيون هم الذين يسيطرون على كل الدوائر الانتخابية

ان الاقطاع هو الذى سيكسب المعركة ، كما كان يكسبها دائما فى كل انتخابات جرت فى هذه البلاد

فالاقطاعى يملك القرى والارض بمن فيها ومن عليها من بشر .. ومصير الناخب أى الفلاح كان فى قبضة ذلك الاقطاعى . والاقطاعى فى يده أن يجيعه ويشرده مع أبنائه .. فكيف السبيل الى تحرير الفلاح من هذا القيد حتى

يمكنه أن يختار الذى يمثله فى برلمان بلاده ؟

ان السبيل كان واضح المعالم ولا يحتاج الى سؤال ..

لترفع الثورة القيد الذى يرسف فيه الناخب ، وبعد ذلك ستكون للناخب الارادة وتكون له الحرية فى اختيار ممثليه فى البرلمان .. لتبطش الثورة بعدو هذه الملايين المستعبدة .. والعدو هم هؤلاء الافراد القلائل الذين يملكون الارض ومن عليها ويتحكمون فى حياة ومصائر أغلبية الشعب .. الفلاحين ..

لقد تقرر هذا فعلا كاجراء حتمى اتخذته الثورة لتمهد للديمقراطية الصحيحة التى ما قامت الا من أجل تحقيقها للشعب

جمال يجتمع بسراج الدين

كانت نوايانا واضحة .. أردنا ديمقراطية صحيحة تمكن الشعب من فرض ارادته وحكم نفسه بنفسه وأراد جمال أن يشرك كل الهيئات والاحزاب فى تحقيق أهداف الثورة وفى صنع مستقبل الشعب

ودفعه ايمانه بهذا الرأى الى مقابلة فؤاد سراج الدين.. قطب الوفد الكبير ومحرك سياسته وصاحب الكلمة الاولى فى اتجاهات الحزب المذكور ..

وفى منزل اليوزباشى عيسى سراج الدين قريب قطب الوفد ، وصهر رشاد مهنا تمت المقابلة .!

وكان مع جمال فى ذلك الاجتماع عبد الحكيم وصلاح وبغدادى وكان مع فؤاد سراج الدين ابراهيم طلعت وأحمد أبو الفتح

وتكلم جمال عن حزب الاغلبية ، وعن ايمانه بأنه من الممكن جدا للحزب الكبير أن يصلح من الاوضاع السائدة

فيه وفى قيادته ، ويغير من أهـدافه وبرامجـه بما يتفق والوضع السياسى الجديد بعد فاروق

ومضى جمال يقول لسراج الدين وزميليه ان حزب الوفد لو فعل هذا لأصبح من السهل أن يسير دفة الامور،فالثورة لاتريد دكتاتورية ...

واشترط لكى يتم التعاون بين الثورة وحزب الوفدشرطا واحدا وهو أن يصـــدر الحزب بيانا يعلن فيــه على الملأ موافقته على قانون تحديد الملكية ، لان الديمقراطيــة كمـا يفهمها هو . بل كما يفهمها كل الديمقراطيين فى جميع أنحاء العالم ليست برلمانا فقط .. بل هى تحرير الفرد من كل القيود .. هى تحرير عبيد الارض حتى يمكن أن يعبروا عن ارادتهم وبالتالى يمكنهم اختيار ممثليهم فى البرلمان بلا ضغط من أصحاب الارض الاقطاعيين !

واستمرت المناقشة أربع ســاعات ... جمـال ورفاقه يتحدثون عن حقوق الشعب والاسلوب العملى لاعطائه تلك الحقوق .. لكن فؤاد سراج الدين رفض الموافقة على تحديد الملكية .. وقال انه لايمانع فى رفع الضريبـة على الارض أما تحديد الملكية فلا .. ولا !

ورد عليـه جمـال بأن رفع الضريبة ربمـا ضاعف من ايرادات خزينة الدولة ، ولكنه لايحقق الهدف السياسى الذى تؤمن به الثورة .. أى تحطيم قيود عبيد الارض ليختاروا ممثليهم الحقيقيين فى البرلمان بلا قهر أو ارهاب . وهذا هو أساس الديمقراطية الحقة ..

ثم انتهى الاجتمـــاع عندما قال فؤاد سراج الدين انه سيعرض الامر على حزب الوفد فى الاسكندرية ، وبعد ذلك سيصدر بيانا فى أقرب وقت ..

وخرج جمال والزملاء لننتظر جميعا بيان الوفد ..

وقد سافر فؤاد سراج الدين الى الاسكندرية فعلا ،وعقد

الوفد اجتماعه وناقش موضوع تحديد الملكية ·· أى زوال الاقطاع ·· ثم رفض الحزب الموافقة على هـذا الاجراء الثورى !··

لم يصدر الحزب البيان كما وعد سراج الدين ·· فماذا كانوا يتوقعون ؟! وماذا كانوا ينتظرون من القيادة ؟!··

هل كانوا يؤمنون بأن المسألة لن تخرج من أيديهم، وانهم هم الذين سيحكمون البلاد رغم كل شيء ·· وبلا ثورة !؟

ان المسألة لم تكن ثورة فى اعتقادهم ·· ظنوها انقلابا كما كانوا يشيعون ·· والانقلاب لا يحتم تغيير الوضع السياسى أو الاجتماعى ·· ولا يحتم أعطاء الشعب حقه الكامل فى التعبير عن ارادته وحكم نفسه بنفسه ··

وهنا فقط آمن جمال عبد الناصر بأنه لا أمل له على الاطلاق فى تعاون هؤلاء الساسة والاقطاب مع الثورة ··

هنا فقط اقتنع جمال واقتنعنا نحن جميعا بأن الشعب فى واد والاحزاب والهيئات كلها فى واد آخر

وأين الثورة ؟

ورئيس الوزراء ـ كما قلت ـ قد عارض فى تحديد الملكية مثلما عارض حزب الوفد ، وقال لنا ان الضريبة التصاعدية تكفى ··أى ان الانتخابات ستجرى وسيكسبها نفس الاشخاص الذين مثلوا الفلاح رغم أنفه فى البرلمان··· وفى هذه الحالة كان الاقطاعيون ودعاة سيطرة رأس المال سيحكمون البلاد من جديد ويتحكمون فى مصير الشعب عن طريق ذلك البرلمان !؟

فأين اذن تكون الثورة لو كان قد حدث هذا ؟

بل أين هى الديمقراطية لو كنا تخلينا عن مبادئنا وأهدافنا !

أى لم نحدد الملكية وجرت الانتخابات فى فبراير

والاحزاب يسيطر عليها الاقطاعيون والارستقراطيون أعداء الشعب !؟

ان الاحـزاب لم تستجب لنداء الثـورة ·· وبقى نفس الاقطاب وتجار السياسة والوطنية وجلادو الديمقراطيـة يقودونها ، ويتحفزون لمعـركه فبراير الانتخابية ليوقفوا زحف الثورة بعد فوزهم ، كما كانالامر يجرى فيالماضى·!

رشاد مهنا مع الاقطاع

لم يكن رئيس الوزراء هو الذى عارض فيتحطيمالاقطاع وحده ·· بل ان عضوين فى مجلس الوصاية عارضا قانون الاصلاح الزراعى وبشدة ·· فأى موقف أعجب منهذا ·!؟

وكيف كنا نستطيع تحقيـق الديمقراطيـة الصحيحـة وأهداف الشعب لو انسقنا مع التيار ، وتركنا كل شيءكما هو بلا تغيير !؟·

ان رشاد مهنا وبهى الدين بركات عارضا القانون،وهما الوصيان على العرش اللذان وضـعتهما الثـورة فى هذين المكانين ··

وكما قلت كان تحطيم الاقطاع هو الاساس الذىحددناه للتعاون بين الثورة والاحزاب والهيئات ·!

وهكذا اختلفنا ·· وكان خلافا جوهريا خطيرا ·· فنحن نريد ثورة ·· وهم يريدون حكما ·!

قلنا للحكومة ··

وقد دارت مناقشة تاريخية حول هذا الخلاف الخطير فى جلسة فى دار مجلس الوزراء وحضر هذه الجلسة جمال عبد الناصر وجمال سالم وصلاح سالم كممثلين للقيادة ·· كما حضر الجلسة رشاد مهنا وبهى الدين بركات وعلىماهر وعبد الجليل العمرى ··

فانظروا اذن الى الموقف وكيف كان عجيبا ومثيرا ..

ان رجال الثورة لم يتراجعوا .. وقالوا لرجال الحكومة وللوصيين على العرش انه لابد من انهاء مسألة الاقطاع .. والمسألة ليست اقتصادية فقط ، بل هى فى صميم السياسة !

فالشعب الذى فرض ارادته على فاروق وأرغمه على التنازل عن عرشه لم تفعل قواته المسلحة ذلك لان الملك كان فاسدا فقط .. بل لانه كان عقبة فى طريق الديمقراطية الصحيحة ، ويجب أن تزال كل العقبات أمام الثورة لتحقق هذه الديمقراطية ، وبقاء الاقطاع ، ونزول الاقطاعيين الى معركة الانتخابات فى فبراير ١٩٥٣ سوف لايحقق هذه الديمقراطية ، وسيظل الوضع كما كان أيام فاروق: برلمانات يتثاءب أعضاؤها فى مقاعدهم ، ولا يستيقظون الا ليقولوا نعم .. موافقون !!

والثورة تريد برلمانا يمثل أعضاؤه طبقات الشعب على اختلافها تمثيلا حقيقيا لا قهر فيه ولا ارغام !

واستمرت المناقشات بين رجال الثورة ورجال الحكومة اياما عديدة ..

الاحزاب ترفض نداء الثورة..

وشعرنا فى تلك الايام أن الاقطاعيين بدأوا يتكتلون مع الحكومة وأوصياء العرش ، ليسدوا الطريق أمام الثورة .. ولم تتحرك الاحزاب ولم يفق رجالها من الغيبوبة التى ظلوا فيها منذ ربع قرن مضى على البلاد ، والملايين من أبنائها يتطلعون الى العدالة والحرية والحق والعدل والعلم ، فلم تمكنهم تلك الاحزاب التى لاتمثل الا أصحابها من تحقيق واحد من هذه الاهداف ..

وانى أذكر تلك المناقشة التى دارت فى البرلمان أيام

حكومة الوفد .. حين وقف الدكتور طه حسين وطلب اعتمادات مالية لوزارة المعارف ، حتى تتمكن الوزارة من انشاء مدارس جديدة لأبناء البلاد..ويومها وقف البدراوى وصرخ في برلمان الامه قائلا .. طيب علموا الشعب،وبكره تشوفوا حيجرالكم ايه منه !!

ذلك كان موقفهم من الشعب على الدوام

فهل كانت الثورة تستهدف الديكتاتورية حين أبعدت تلك العصابات من ميدان السياسة ليتعلم الشعب وليتحرر وليصنع مستقبله وليقرر مصيره بنفسه !؟

ما أروعها من ديكتاتورية ، لو كانت كذلك .. لوكانت تستهدف أن يسكت البدراوى الى الابد ، فلا يتكلم باسم الشعب..واذا كانت تستهدف أن يجلس فى البرلمان مواطن من صميم الشعب ليتكلم باسم الملايين لا باسم فرد أوأسرة

تلك هى دكتاتوريتنا وتلك هى ديمقراطيتهم ..

ديكتاتوريتنا التى فرضت على العرش أن يسقط ، كما أراد الشعب .. ديكتاتوريتنا التى حتمت أن يتحرر ملايين الفلاحين من السخرة .. من طغيان مالك الارض ، ليبدأوا مرحلة جديدة فى تاريخ تطورهم ، وليختاروابلا ضغط من البدراوى أو سراج الدين أوأميرمخمور ممثليهم فى البرلمان!!

انها ديكتاتورية الشعب كما أعلنها جمال عبد الناصر منذ شهور على الملأ .. وهى الديمقراطية الحقيقية ، لا ديمقراطية العائلات والامراء والمخمورين !!

ومن أجل هذا..من أجل فرض ارادة الشعب على الحاكم فى البرلمان كما أرادت الثورة ، لم تحدد الاحزاب موقفها ، لم تغير من برامجها وأهدافها .. لم تقبل الوضع الجديد.. لم توافق على أن تكون فى مصر ثورة ..

ولم يخرج من قيادتها الاقطاعيون والارستقراطيون والسماسرة .. بل بقوا ليخوضوا معركة فبراير كأن شيئا لم يحدث بعد فاروق !!

محمد نجيب والثورة

اشاعات

سئلت من كثير من المواطنين المصريين لماذا لاتتكلم عن محمد نجيب بصراحة ، وتروى لنا قصته كلها مع الثورة !؟

والواقع ان كل أصحاب الخطابات التى وصلتنى حول هذا الموضوع كانوا على حق .. فليس من المنطق قطعا أن اتحدث عن موقف مجلس قيادة الثورة من ساسة الماضى واحزاب الماضي ثم أغفل قصة اللواء نجيب معنا ..

ومضيت مع خواطرى .. ثم وجدتنى فى حيرة كيف ابدأ القصة !؟

ثم هل هذا وقت الكلام فى موضوع انتهينا منه !؟

وعدت اتطلع الى الخطابات المتناثرة على مكتبى .. ان اصحابها ينتظرون الآن ما سوف أقوله لهم عن اللواء نجيب ، ولابد أنهم وكل الشعب يريد أن يعرف القصة .. وهذا مازاد من حيرتى !

لقد سكتنا على الدوام ـ نحن رجال الثورة ـ حيال ما يقال عنا ، وموقفنا من اللواء نجيب ، وفسر المغرضون هذا السكوت بما يتفق ومصالحهم وأشاعوا ان اللواء نجيب اختلف معنا ، او اختلفنا نحن معه لأنه ديمقراطى ويعشق الدستور والحريات والشعب .. اما نحن فلا .. نحن نخالفه فيما ذهب اليه ، ونحن وقفنا فى طريقه الذى كان سيقود الشعب فيه الى الحرية والديمقراطية والدستور !

وطارت الاشاعات والاقاويل هنا وهناك وكل اشاعة كانت تؤكد ديمقراطية نجيب وديكتاتورية مجلس قيادة

الثورة ، واعضاء المجلس المذكور يلوذون بالصمت ويتركون الاقوال تترى والاشاعات تطير الى حيث تشاء ولم يحاول مجلس الثورة اذاعة القصة كلها .. ليعرف الشعب الحقيقة الصارخة ...!

كنا جميعا وحدنا الذين نعرف الحقيقة ، أما الشعب فكان لايعرف سوى الاشاعات !

فهل نقول الحقيقة وامرنا لله !؟

ومرة ثانية ــ أوثالثة لاادري ــ عدت الى كومة الخطابات انقل بصرى بين سطور بعضها .. ان اصحاب الخطابات يريدون الحقيقة .. يريدون ان يعرفوا .. هل نجيب اختلف معنا لانه ديمقراطى ويريد الدستور أم لسبب آخر !؟

ان المسألة لم تعد تحتمل السكوت .. فهى مسألة الشعب وليست مسألة شخصية ..

ونجيب ان كان على صواب ــ فالشعب سوف يعرف الحقيقة اليوم أو فى الغد ، وان كان قد أخطأ فالشعب سيعرف ايضا كيف اخطأ سواء قلنا له نحن الحقيقة أو قالها التاريخ فيما بعد

وبين الرسائل التى أمامى واحدة يصرخ صاحبها وتكاد صرخاته تقفز من بين سطور الرسالة .. انه يقول لى :

« قل لنا الحقيقة كلها ، فمن حقى ومن حق كل مواطن أن يعرفها .. لماذا قلتم لنا ان محمد نجيب هو قائد الثورة ، ولماذا حملتموه على اكتافكم الى الوجه البحرى ثم الى الوجه القبلى ، ثم قدمتموه الى الدنيا كلها شرقها وغربها على انه قائدكم .. وبعد ذلك تبين أنه كان يتآمر على هذه البلاد ، ثم لا يلقى جزاءه .. نريد أن نعرف الحقيقة ! ؟ »

وقد مرت على لحظات بعد أن قرأت تلك الرسالة ، وكانت لحظات مليئة بالحيرة والتأمل ، ثم قررت أن أروى

قصة محمد نجيب كلها .. قررت ان أرويها لـكي نسدل الستار نهائيا على هذا الموضوع .. ثم نستريح ونريح !

وامسكت بالقلم وتوكلت على الله ..

من اين أبدأ ..؟

هل أبدأ قصة اللواء نجيب بتاريخ ازمة فبراير المـاضى التى قبل فيها مجلس الثورة استقالة نجيب ثم لم يلبث ان اعاده .!؟

أم أبدأ بيوم ٢٥ مارس وقراراته المشهورة ..!؟

ان عشرات من المواقف تتبلور أمامى الآن .. وكل موقف منها يصلح ليكون بداية لقصة رهيبة .. لاضخم قصة فى تاريخ هذه الثورة !

هناك مثلا موقف ٢٧ مارس الماضى .. وكنا يومها قد ذهبنا الى مطار الماظة لنودع صاحب الجلالة الملك سعود ، وكان الوقت فى الصباح الباكر ، وعرجنا على ميس ضباط الطيران لتناول طعام الافطار على مائدتهم ، وماكدنا نمسك باقداح الشاى حتى اقتحم « الميس » خمسة من ضباط الطيران وعلى وجوههم الحنق الشديد ، وكانوا يلهثون وهم يقولون لنا :

ـ تعالوا .. الحقوا نجيب ..! ؟

وبداية أخرى لقصة نجيب .. يوم ان عثرنا على تقرير فى قصر عابدين بين أوراق حافظ عفيفى ، والتقرير مرفوع الى السدة العلية الكريمة قبل الثورة بيومين اثنين فقط .. فمن الذى ارسله الى القصر .. الى السـدة العلية الكريمة ؟!

انه بطل هذه القصة .. اللواء نجيب !

ان خيوط القصة تتجمع الآن كلها فى يدى .. هاهو الخيط الاول

هاهو جمال عبد الناصر يذكر لنا اسم نجيب لاول مرة قبل قيام الثورة ، ولم يكن نجيب وحده الذى رشحه جمال ليوضع على رأس الثورة ، بل كان هناك شخصان آخران رشحا لهذه المهمة مع نجيب ، فلماذا وقع الاختيار على نجيب !؟

الايام الاولى

انني أرى الآن أمامى وجه نجيب وهو جالس معنا فى الايام الاولى للثورة . . انه كان وجها طيبا يفيض بالاخلاص الشديد . . للثورة !

كانت تصرفات نجيب تبدو لنا رائعة للغاية فى الايام الاولى ، عندما كنا نعمل جميعا فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، ننام هناك ونأكل ونشرب هناك أيضا

كان نجيب يتوجه الينا بالحديث بمناسبة وبغير مناسبة قائلا :

ـ انا أشعر بالخجل من نفسى ، لانى أراكم تنسون انفسكم تماما ، وانا لم أفعل شيئا ، لكنكم تنسبون الى كل شيء ، وكل شيء قد تم بمجهودكم أنتم . .

وكانت تلك الكلمات التى سمعناها من اللواء نجيب بمناسبة وبغير مناسبة كافية لكى تبعث فينا الثقة المطلقة به ، مما دفعنى الى أن أخرج الى الناس ذات مرة واخطب فيهم متحدثا عن نجيب وزعامة نجيب !

بل ان عبد اللطيف بغدادى تأثر ذات مرة الى الحد الذى قال فيه لنا :

« اننى أحب هذا الرجل كأبى تماما ، واخشى أن يكون حبى له أكثر . . »

فماذا حدث بعد كل هذا . . وبعد أن وقف عبد الحكيم عامر فى قريته « أسطال » يبايع نجيب أمام أهله ، وبخطاب حماسى رائع كان عبد الحكيم عامر خلاله متأثرا الى حد انه تشنج !!

لقد كنا جميعا نشعر بالحب لذلك الرجل ، لانه كان فى الايام الاولى لايترك مناسبة دون ان يبدى فيها خجله منا ، ويعبر فيها عن دهشته لاننا ننسى أنفسنا ، وننسب كل شىء له ، وهو الذى لم يفعل شيئا !؟

ان قصة اللواء نجيب مليئة بالاحداث والغرائب ..

انها اعجب قصة فى تاريخ مصر الحديث ، انها الاسطورة الكبرى التى ظهرت على ضفاف النيل فجأة ثم تلاشت ايضا فجأة كضباب الضحى ..

انها قصة الصراع الهائل الخالد بين من يؤمنون بحرية الشعوب ويعملون لتحقيقها وبين الذين لايؤمنون الا بأنفسهم حتى اذا كانت وسيلة ذلك هى تضليل الجماهير !!

انها قصة الثورة المصرية وكيف تمت وكيف قرر قادتها المضى بها حتى نهاية الشوط رغم كل العقبات ..

وهى أيضا قصة الذين كانوا يرهبون كلمة « ثورة » ويحاولون وقفها بأكذوبة الدستور والانتخابات والاحزاب

وهى نفسها قصة الصراع الخالد المجيد بين جيل ثائر يريد ان يبنى مصر فتصبح دولة عظمى .. وجيل عفن مهزوم عاش فى كنف الخنوع واصبح لايعنيه أن يتطور الشعب أو يتحرر أو تنشق الارض فتبتلع أفراده جميعا

انها قصة القيادة المؤمنة الباسلة التى تقدمت الصفوف بلا وجل ، وخاضت أعنف المعارك ، وصمدت ثم أثبتت ان الشعب سينتصر على الدوام ..!

هى باختصار قصة الثورة الديمقراطية ..

وسوف يقرأ الشعب القصة كاملة ، فأنا اعدها منذ اليوم ..

أعدها من أجل الحائرين الذين رأونا نحمل نجيب على أكتافنا الى قبلى ثم الى بحرى . ورأونا ونحن ننكر انفسنا ونذكره ، ورأونا ونحن نصنع منه زعيما ، وهو يحفر للثورة قبرا ..!!

نجيب يدخل من أبواب التاريخ

كيف دخل اللواء نجيب من أبواب التاريخ !؟

من فتح تلك الابواب أمامه وقال له تفضل .. انت زعيم !؟

وعلى أى أساس قامت زعامته وقيادته لثورة شعب !؟

لقد هتف الشعب والجيش له من الاعماق ، وترددا اسمه على أفواه الناس فى مصر وفى كل شبر من العالم لانه القائد الذى انتصر وحرر بلاده ..

لقد كان نجيب رمزا لبطولة اسطورية بهرت العالم كله وفى كل بيت فى مصر علقت صورته ، صورة البطل الذى ظهر فجأة فى أرض النيل ، ليحرر العبيد ، ليطعم الجياع ويبرىء المرضى وينشر العلم والعدل والحق والمساواة ..

الجميع قالوا له انت زعيم ، أنت بطل ، أنت منقذ الشعب .. انت محرر الوادى

لم يختلف احد من أفراد الجيش أو الشعب على زعامة نجيب وبطولة نجيب وقيادة نجيب ، وكان عليه ان يتقدم الصفوف ليحقق آمال البلاد فى قائد ثورتها ..

لم يكن ينقصه شىء أو يعطله شىء . فكل مقومات الزعامة والبطولة والمجد والولاء قد وضعت تحت أقدامه ، فماذا حدث ..!؟ لماذا لم يتقدم فى الطريق الى النهاية . وماذا كان يعطله .!؟

لقد أخلينا امامه الطريق تماما ، ووضعناه على رءوسنا ، ثم انكرنا أن هناك ابطالا غيره . كان مجرد الاشارة الى بطل آخر غير نجيب جريمة فى رأينا ..

كنا نؤمن بأن الذى حدث فى مصر يوم ٢٣ يوليو يجب ان ينسب الى رجل واحد ، رجل يصبح زعيما يقودالشعب فى الطريق الطويل الوعر حتى النصر ..

كنا نؤمن بأن كل الذى صنعناه طوال اعوام نضالنا قبل ٢٣ يوليو هو من أجل هذا الشعب .. من أجل ثورته على اعدائه ، وكل ثورة يجب أن يقودها زعيم

ونجيب أصبح الزعيم .. ثم ماذا حدث ؟

لماذا انهارت زعامته .. لماذا اختفت الاسطورة سريعا كضباب الضحى ؟

هل لان مجلس الثورة يريد الدكتاتورية ونجيب يريد الديمقراطية ؟..

ومن أجل هذا عزلناه وابعدناه من الطريق ؟..

اننى هنا أنشر الحقائق كلها ، ليعرف العالم كله شرقه وغربه حكاية اللواء نجيب .. وليعرف الشعب هنا فى مصر من كان يريد الديمقراطية ومن هو الديكتاتور .. وليعرف الشعب من هم الثوار ، ومن هم الحكام ؟..

وقبل أن ابدأ القصة اود ان اسجل هنا خاطرا مر بذهنى وانا أمسك بالقلم لابدأ القصة .. تخيلت جمال وعبد الحكيم وصلاح وبغدادى وجميع الرفاق فى تنظيم الضباط الاحرار وقد بطش بهم نجيب فى ازمة مارس الماضى ، واصبح هو الحاكم على البلاد ..

فماذا كان سيحدث فى مصر ، بعد البطش بالذين صنعوا نجيب ؟..

هل كان نجيب سيطلق الحريات والعدالة والحق ..

وباختصار هل كان سيجيء للشعب بالديمقراطية .. وعلى يد من ؟..

هذا هو السؤال ..

على يد من كان نجيب سيحقق أهداف الثورة المصرية ؟

على يديه وحده .. أم كان سيكمل اتصالاته فى مارس المشهور ويجيء بابراهيم عبد الهادى وبالهضيبى وبالنحاس وبسراج الدين وبكل أقطاب الرجعية المصرية ليحكموا البلاد من جديد ؟..

على أى حال ، الله وحده الذى كان يعلم ماذا كان سيصنع نجيب بالبلاد بعد ان يبطش بنا ؟!

والذى كان معروفا انه كان ينوى تكوين مجلس لرئيس الجمهورية يضم الاخـــوان والسعديين والوفد والاحرار الدستوريين ، ويلغى مجلس الثورة



الثورة والدستور

الاحزاب وخط الثورة

قلت ان الأحزاب لم تفهم معنى الانذار الذى وجهناه اليها بضرورة تطهير نفسها ، وكان مفروضا أن تسرع تلك الأحزاب فتغير من برامجها ، ومن أشخاص قادتها ومن معتقدات أفرادها ــ اذا استطاعت ــ لكن تبين بالرغم من حسن نوايا الثورة أن هؤلاء الناس ليسوا سوى تجار سياسة ، وأن الشيء الذى يعنيهم سواء أكانت فى مصر ثورة أم أسرة مالكة هو أن يحكموا البلاد

والواقع أن موقف الثورة من الأحزاب كان خاطئا من البداية .. فهى ــ أى الثورة ــ كان حتما عليها ، أن تقضى على كل التركة التى خلفها لنا العهد الماضى ، والأحزاب بشكلها الموجود كانت شيئا مخالفا لمفهوم الثورة .. وما حدث فى البلاد من مآس ومن ظلم وغدر واستبداد منذ وجدت فيها تلك الأحزاب لاتقع مسئوليته على النظام الذى كان قائما ، بقدر ما تقع هذه المسئولية على القيادات السياسية التى تولت زمام الامور بالتتابع فى كنف دستور اقطاعى ملكى يحفظ لهذه القيادات السياسية حقها فى البقاء والحكم والاستبداد بالشعب

أقول انه كان مفروضا بعد أن مدت الثورة يدها البيضاء الى القيادات السياسية الموجودة فى البلاد ، أن تفهم تلك القيادات أن ماحدث فى مصر ليس انقلابا سوف يزول بين وقت وآخر ، بل الذى حدث هو تطور اجتماعى محتوم

يفرض على كل القيـــادات السيـاســـية اذا كانت حقا ـ ديمقراطية ـ أن تؤمن به وتعمل على تحقيقـه ببرامج مدروسة تتفق مع الاتجاه الذى سار فيه التطور الاجتماعى المذكور ، بل كان مفروضا أن تنظر فى بعض القيادات السياسية فتضع برامج تهدف الى القفز بركب التطور فى البلاد الى أبعد مدى ، لا الى تعطيله ووقفه كما ارادت بعض تلك القيادات

☐

ويبدو ان رفض الأحزاب الوقوف الى جانب التطور الاجتماعى كان من صالح البلاد . . . فلو كانوا قد فعلوا لظهر بعد توليهم الحكم مدى ايمانهم ذلك بالثورة المصرية واتجاهها الانسانى نحو التحرر والعدالة

فكل القيادات السياسية التى مارست الحكم والسياسة فى مصر طوال ربع القرن الأخير كان كل أفرادها من طبقة معينة لا تتفق مصالحها على الاطلاق مع مصـــالح طبقات الشعب الكادحة والمتوسطة التى استمدت الثورة اهدافها الحقيقية من مصالحها

وبالرغم من تراجع الأحزاب عن خط الثورة المصرية ، وبالرغم من رفض قيادات تلك الأحزاب التطهير المطلوب الذى يحتمه معنى الثورة ، فاننا ظللنا نؤمن بامكان التعاون مع الجميع فى نطاق الوضع الثورى الذى وجد بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فأردنا أن تكون فى البلاد أحزاب ، وأن تجـــرى انتخابات ، وأعددنا قانون الأحزاب فعـلا ، وكان الهدف الأساسى لذلك القانون هو ان تسـجل الاحزاب الجديدة برامجها الجديدة بشرط استبعاد الأشخاص الذين ثبت انهم افسدوا فى الحياة السياسية ، وهم أكثر من أن نحصيهم هنا . . .

النحاس وسليمان حافظ

وبدأ الوفد يناور ويحاور ، ثم وقع حادث صلاح الدين وسليمان حافظ وهو حادث مشهور ولم تكن لنا فيه يد على الاطلاق

فقد ذهب محمد صلاح الدين ، وزير خارجية الوفد لمقابلة وزير الداخلية فى ذلك الوقت ، وذلك ليسجل حزب الوفد الجديد هيئته التأسيسية .. وفى مكتب سليمان حافظ جلس صلاح الدين يتحـــدث مع الوزير .. وفجأة قال سليمان حافظ لصلاح الدين :

ـ مصطفى النحاس ده عبارة عن دمل ولازم يتفقع

وطلب سليمان حافظ أن لا يشترك النحاس بصـــفة فعلية فى ادارة حزب الوفد الجديد

وهرول صلاح الدين الى سراج الدين وابلغه الحكاية ؛ وذهب سراج الدين الى النحاس وروى له ماقاله سليمان حافظ ، ثم بدأت المعركة بين الوفد وسليمان حافظ

وكما قلت لم يكن للثورة دخل فى الموضوع ، لكن الحملة التى شنها الوفد على سليمان حافظ امتدت الى الثورة نفسها .. فكتب أحمد أبو الفتح سلســـلة مقالات تحت عنوان « الى أين .. » واظهر فيها بطولة خارقة ، فبـــدأ تكلم عن الثورة بأسلوب عجيب ، واعتبرها انقلابا من انقلابات الاقليات السياسية ، وكان ذلك خطأ كبيرا وقع فيه الكثيرون من رجال السياسة والقلم فى البلاد

وأذكر أننى كنت فى ذلك الوقت مسئولا عن الرقابة على الصحف وسمعت زملائى فى مجلس الثورة يتساءلون :

ـ هل من المصلحة أن يقال مثل هذا الكلام ؟.. اننا لم نقم بما قمنا به لمصلحة حزب معين ، بل لمصلحة الشعب كله ، فمالنا نحن وسليمان حافظ واحمد أبو الفتح وباقى

الناس الذين ليس لهم وضع فى الثورة ، والذين ان وجد الجد واحسوا برقابهم تتأرجح فوق اجسادهم ـ كما حدث لنا ليلة ٢٣ يوليو ـ لفزعوا وولوا الادبار ...

تجاهل الوضع الثورى ...

وسمعت كلاما كثيرا من الزملاء الثوار ، وبعضهم قال ان هذا الكلام فيه تضليل للشعب ؛ لأن احمد أبو الفتح اعتبر اننا حكاما وتجاهل الوضع الثورى

وقلت يومهـا لزملائى : دعوه يكتب كيف يشاء ودعوه يفرغ كل ما فى راســه من كلام ولنر صدى كلامه عند الراى العام

وفعلا لم يكن لتلك المقالات صدى معين لأنها كانت تأخذ نفس الشكل القديم لمقالات الصحف المصرية التى تسيطر عليها الأحزاب ... مدح فى هذا وقدح فى ذاك ولا شىء غير ذاك . لا موضوع ولا راى ولا توجيه ثورى ، او على الأقل يستهدف الصالح العام ، لا مصالح حزب الوفـد فقط

كانت مقالات « الى اين » كلها مدحا فى مصطفى النحاس، كان مصطفى النحاس هو القضية ، وليس الشعب ...

وكان الناس لا يزالون يذكرون موقف النحاس أثناء توليه الحكم آخر مرة ، من القصر ... وكيف تحالف حزبه معه الى أبعد مدى ، وتنازل عن شكله الشعبي من اجل ان يبقى فى الحكم ... اهذا كان مدح النحاس آخر حليف سياسى لفاروق والاقطاع شيئا غير مستساغ بالمرة فى وقت راى الناس فيه صاحب العرش يطرد من البلاد

واحد وعشرون زعيما

وانتهت زوبعـــة « الى اين ... » وبدات اخطارات

الأحزاب الجديدة تترى ، وخيل الينا أن مصر سوف تشهد عهدا غريبا يتصارع فيه ألف حزب سياسى من أجل كراسى الحكم ...

وأحصينا الرقم الأخير فوجدنا أن هناك واحدا وعشرين زعيما فى مصر ، تقدم كل واحد منهم باخطار عن حزب جديد ، وبينهم زعماء لم يسمع بهم أحد .. وكأن الارض قد انشقت عنهم فى غفلة من الشعب

مبادىء من كل لون ، وبرامج غير مفهومة وكثير جدا منها متشابه بل تكاد تكون نسخة طبق الأصل من بعضها

وجلسنا نفكر ، هل هذا هو ماتريده الثورة المصرية ؟. وهل هؤلاء الزعماء الواحد والعشرون هم الذين سيسيرون بالثورة المصرية الى نهايتها ؟

ومن هم !؟
ما هو ماضيهم !؟
ما هو كفاحهم !؟

رحلة ملكية لرشاد مهنا

ولم نكن ندرى ماذا يدور فى راس رشاد مهنا بالتحديد ، ورأيناه يدلى بأحاديث صحفية وينظم حملة دعاية عجيبة حول شخصه فيذهب الى مسجد السيدة ليصلى الفجر « حاضرا » ومعه مصورو الصحف الذين لم يصلوا الفجر « حاضرا » مرة واحدة من قبل !

ولم نبال بهذه التصرفات الغريبة ، فقد كنا نتوقع أن يذهب كرسى « العرش » بلب رشاد مهنا الى حد ما ... لكن فوجئنا ذات يوم برشاد وهو يأمر ادارة قصر عابدين باعداد العدة لقيامه برحلة الى واحة سيوه ، وكانت الأوامر

التى اسدرها رشاد تطابق تماما الأوامر الملكية التى كانت تصدر فى مثل هذه الأحوال ... ســــيارات من جميع الماركات والاشكال وحاشية وخدم ومصاريف .. وعندما بلغنا النبأ نظرنا الى بعضنا وقلنا

ـ الله .. ايه الحكاية !؟

كنا نعرف أن رشاد مهنا لا يؤمن بمعنى الثورة ولا يفهمها، لكننا لم نكن نتوقع ابدا ان يعين رشاد مهنا نفسه ملكا هكذا ببساطة ... وكأن طرد فاروق كان حبرا على ورق

ويبدو ان سراى عابدين ومناظرها والابهة الشائعة فى حجراتها وكل مكان فيها و « الجو » الملكى الذى يطبع ذلك القصر بوضوح ؛ كل هذا قد ذهب بباب رشاد مهنا فطار عقله ونسى انه ليس من اسرة محمد على

ويبدو أيضا أن سراى عابدين كانت شؤما على كل من حكم منها البلاد ... واذكر ان جمال عبد الناصر فى ابريل عام ١٩٥٤ كان يجلس فى مكتب اللواء نجيب بعابدين ، وقال جمال للواء نجيب :

ـ أنا حاسس ان القصر ده شؤم على كل من يجلس فيه ، فايه رايك .. تقعد لك فى مكتب تانى فى مكان آخر، ونخلى القصر ده متحف ؟

ورد اللواء نجيب على جمال قائلا بالنص :

ـ يا سيدى .. ما شؤم الا الشؤم

وسكت جمال

انا املك واحكم

واعود الى الموضوع .. الى « الهيصة » فأقول ان الأمور تطورت بسرعة بعد حكاية رحلة رشاد الملكية الى سيوه ففى ذات يوم استدعى رشاد مهنا اللواء نجيب الى مكتبه فى

عابدين ، وفى حضور سليمان حافظ اخذ رشادمهنا يعنفه، وكان رشاد وهو يفعل هذا يضرب المكتب بقبضة يده ويقول لنجيب : انا لا أسمح بهذا ، ولا أرضى بذاك ، ثم صرخ قائلا وبصوت عال جدا :

ـ انا مش زى فاروق .. انا هنا املك واحكم !

وكانت مفاجأة أخرى لنا .. فنحن نعمل ليلا ونهارا من اجل اعداد خطوات الثورة المصرية ، ورشاد فى قصرعابدين يصرخ ويريد ان يملك ويحكم ..

ولم يقف طموح رشاد مهنا عند حد ، وبدأ يصطدم بنا

حدث ان الملك المخلوع كان قد اغتصب كالعادة سيارات تابعة للجيش ، وبعد الثورة طلبت ادارة الجيش من سراى عابدين اعادة تلك السيارات الى وحداتها وفوجئنا بأن « مولانا » رشاد مهنا يرفض اعادة تلك السيارات ..وكان هذا الموقف كفيلا بأن يقنعنا تماما بأن الثورة فى خطر وأن البلاد توشك أن ترى ملكا جديدا من أسرة أخرى غير أسرة محمد على ...

يد الثورة تنقذ الموقف

وأمام هذا كله عقدت الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار اجتماعا سريعا ، اصدرت فيه قرارا باقالة رشاد مهنا من منصبه كوصى للعرش والاكتفاء بالامير السابق محمد عبد المنعم فى مقعد الوصاية الى ان يبت فى مسألة العرش ، وكنا قد أجلنا هذه العملية الى أن تأتى الفرصة المناسبة

وخرج رشاد من قصر عابدين الى بيته وذهب اليه جمال عبد الناصر وعرض عليه فى كرم شديد أن يختار لنفسه اى منصب فى السلك الدبلوماسى ... لكن رشاد رفض ... كان يريد أن يظل ملكا على البلاد

وبدأ رشاد ينشط مستغلا كرم الثورة وعطفها عليه .. فبدأ يتصل بالأحزاب وبالاخوان بصفة خاصة ، وكان الوفد يأمل فى ذلك الوقت فى العودة بشكله القديم ، ورأى الوفديون خروج رشاد مهنا فرصة ذهبية ...

وظنوا — جميعا — أن وراء رشاد مهنا تكتلات داخل صفوف القوات المسلحة ؛ لهذا كبر الامل فى صدورهم واعتقدوا — جميعا — ان رشاد هو منقذهم من الثورة

تكتل الاقطاع مع رشاد مهنا

وحدث ما كان لابد أن يحدث ... ففى كل بلاد الدنيا عندما تقوم ثورة يتكتل اعداؤها الذين تهدد الثورة مصالحهم فى جبهة واحدة ليقاوموها .. وقد حدث فعلا أن لاحظنا بوادر هذا التكتل ... الأحزاب والاقطاع ورشاد — جميعا — بدأوا يتحفزون للقضاء على الثورة .. وتتابعت الأحداث ورأينا أن حسن نية الثورة قد يقضى عليها ، كما رأينا أن عطفنا واستعدادنا للتعاون مع الجميع وايماننا بكل مصرى مخلص يريد ان يعمل فى نطاق الثورة مهمـــا كان لونه ومعتقداته .. كل هـــذا قد يطيح لا بالثورة .. فثورات الشعوب لا يمكن القضاء عليها .. بل قد يطيح بكل ما صنعناه نحن من احداث تاريخية كان حتما على الثورة أن تجتازها لتبدأ فى صنع مستقبل الشعب

احسسنا ان تكتل تجار السياسة مع رشاد مهنا مع الاخوان مع الاقطاع قد يعطل من سير الثورة ، وهذا ما لم نكن على استعداد للتهاون فيه .. فى مثل هذه الحالات يبدو الأمر مضحكا اذا لم نضرب بيـــد الثورة الحديدية لا البيضاء المسالمة العطوفة التى مددناها للجميع

وجاء يناير عام ١٩٥٣ ، وكان قد مضى على الثورة ستة شهور ؛ فوجدنا أنفسنا امام جبهات تتآمر علينا فى الخفاء

تظهر لنا الود فى العلن .. وجدنا أنفسنا امام احزاب
يد طعننا من الخلف ، وأفراد ينشطون فى الظلام لحساب
الاقطاع ، ورشاد والرجعية المصرية المتحجرة ... وكنا
واد وجميع الاحزاب والهيئات فى واد آخر .. كنا نريد
ثورة ونحمل رقابنا على أكفنا من أجل هذه الثورة المصرية
التى بدأت زحفها منذ يوليو ... وهم ماذا كانوا يريدون !؟

من يحتاج الى العدل ؟ ؟

هل كانوا يريدون الحرية !؟
هل كانوا يريدون العدالة .. فى الريف والحضر !؟
ام تراهم كانوا يريدون الحق والعدل والسلام !؟
وأين كانوا اذن قبل أن نصنع ما صنعنا !؟
ومن هم .. هذا هو السؤال ...

ان الحق والعدل والسلام آمال تملأ صدور الكادحين والعاملين وتدفعهم دفعا الى العمل على تحقيقها الحاجة اليها ... اما أن يطالب اقطاعى بالحرية وبالحق والعدل والسلام ... فهذا أمر يبدو مضحكا ... بل ويدعو الى السخط الشديد

فهو ليس فى حاجة الى عدل ولا الى حق ولا الى سلام .. هو يحتكر كل هذه الحقوق ويسلبها من البشر .. اذن فالذين تكتلوا ضد الثورة مع رشاد مهنا لم يكن هدفهم عودة الحياة الديمقراطية المزعومة ولا عودة الحق والعدل والسلام ... فتلك أشياء لم يكن لها وجود قبل الثورة للشعب جميعا — ويجب على الثورة سحقهم بلا رحمة .. بل وسحق الذين يقفون الى جوارهم فى انتظار الجريمة .. ولكن الجريمة لم تقع .. فقد امتدت يد الثورة الحديدية وقبرت الجريمة فى مهدها فانتهى الأمر بمحاكمة رشاد مهنا ، والغاء الأحزاب .. وتحديد فترة انتقال تبدأ من يناير ١٩٥٣ وتنتهى فى يناير ١٩٥٦ ...

أسقطنا الدستور الاقطاعى

ضربت الثورة ـ كما قلت امس ـ بقبضتها الحديدية فالغت الاحزاب وحددت فترة انتقال ، وذلك عندما اطل عليها خطر التكتل الذى تم بين رشاد مهنا ، والاقطاع ، والاخوان والاحزاب . . . وكان حتما على الثورة ان تضرب هؤلاء الأعداء منـــذ اللحظة الاولى التى خرج فيها كبيرهم ـ فاروق ـ من البلاد . . فالقيادات السياسية التى كانت فى مصر قبل يوليو لم تكن تريد ـ ثورة ـ كما ذكرت ، بل كان هدفها دواما هو الحكم والسيطرة على الشعب ، لصالح القصر والنظام الذى كان قائما . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فالثورة ـ اى ثورة ـ لا يعقل ابدا ان يتولى توجيهها نحو اهدافها العديدة جماعة من السياسيين لم يشتركوا ـ على الاطلاق ـ فى قيامها او فى التمهيد لها . . بل على العكس ، كانت الثورة المصرية التى تهدف الى تحرير الشعب من القوات المحتلة والنظام الملكى ، وتصنيع المجتمع الاقطاعى المهلهل ، لا تجد فى واحد من رجال الاحزاب عونا لها قبل ان تقوم ، فكيف يمكن لهذه الثورة ان تجد العون فى هؤلاء السياسيين بعد ان قامت فعلا وبعد ان بدأت تزحف على أعداء الشعب ؟؟

هل كانت الثورة الامريكيـــة او الروسية او الصينية تنجح لو ان رجالها لجاوا الى السياسيين القدامى وعهدوا اليهم بتوجيه الثورة ، وما هو دور الذين صنعوا الثورة نفسها ؟ ! يترهبنون ويطلقون لحاهم ، او ماذا يصنعون ؟

كنا ـ اذن ـ على حق عندما ضربنا بيد الثورة الحديدية وقبرنا الجريمة فى مهدها ، قبل ان تتم على ايدى رجال الاحزاب ، ورشاد مهنا وباشوات البلاد . . . ومشعوذيها !!

ان الغاء الاحزاب المصرية بعد يوليو عام ١٩٥٢ كان عملا ثوريا ينبع من أصول الثورة المصرية . ومن اتجاهها الانسانى الشعبى

فلم يحدث فى تاريخ الثورات ان قام جماعة من الناس بثورة على الطغيان والاستبداد والاستعمار والاقطاع ، ثم تركوا ـ الثورة ـ وهى لم تزل وليدة لم تقف بعد على قدميها للرجعيين والاقطاعيين والمشعوذين ليحفروا لها قبرا .. هذا هو الوضع الجديد بالتحديد بالنسبة لثورتنا عندما قررت الغاء الاحزاب ، وتحديد فترة انتقال واسـقاط الدستور ..

نحن نحمى الدستور

لقد قلنا بعد طردنا زعيم العصابات السياسية فى مصر الملك السابق فاروق اننا نحمى الدستور .. وكنا فعلا نعنى مانقول ، لكن الاحزاب المصرية وليدة النظام الملكى الاقطاعى ترجمت هذا الشعار بما يتفق ومصالحها ، فطالبت بالحكم وباجراء انتخابات .. اى بدفن الثورة المصرية فى اعماق الارض ، ليبقوا هم سادة للعباد والشـعب حيث هو فى الحضيض يمرض ويجوع ويموت .. هذا شىء لايعنيهم ، فسراج الدين وغيره من قادة « الشعب » فى عهد فاروق يريد أن يحكم ويحكم ، اما العدالة والحرية والنور فهو وغيره من القادة الكبار ليسوا فى حاجة الى شىء منها ، فالعدالة والحرية والنور اشياء موجودة فى حياته هو .. فى قصره وفى مكتبه وحيث يكون ، انه يملك كل شىء وليس فى حاجة الى شىء .. فقط هو يريد أن يحكم العباد ، فاذا

ثم يستطع فالامر اذن ديكتاتورية وفاشية وحكومة ضباط وعساكر .. وكان علينا ونحن نعد خططنا للزحف الابيض على اعداء الشعب ، ان نتردد الف مرة قبل أن نضرب بيد الثورة الحديدية ، فكما قلت من قبل كنا لا نريد ان نخوض معارك دموية ، مادامت الثورة تستطيع استرداد الارض من الاقطاعى بالحسنى ، حتى اذا لم يخضع لمشيئة الثورة ، كنا فى حل من استعمال القوة ، ذلك كان قانون الثورة .. وكل ثورة ، سواء اكانت فى مصر أم فى آخر الدنيا ..

واعود الى الدستور .. كنا نعنى كما قلت أن الثورة تحمى الدستور ، والدستور الذى وضع للبلاد فى أبريل عام ١٩٢٣ يتكون من ١٧٠ مادة وتنص المادة الاولى منه على أن « مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وهى حرة مستقلة وملكها لا يتجزأ ولا ينزل عن شيء منه ، وحكومتها ملكية وراثية وشكلها نيابى »

ذلك هو نص المادة الاولى من ذلك الدستور ، وكما قلت كانت الثورة تحسن الظن بجميع المواطنين ، وتريد ان يتعاون معها كل الناس ، وعندما مدت الثورة يدها للاحزاب ثم طالبت تلك الاحزاب بأن تثور ايضا مثلما ثار تنظيم الضباط الاحرار تبين للثورة خطؤها ، وكادت جريمة القضاء على الثورة تقع فعلا .. لولا أن ضربت ـ كما قلت ـ بيدها الحديدية ، فلم تتم الجريمة .. وانتهى الامر بحل الاحزاب ومحاكمة رشاد مهنا .. وكذلك باسقاط الدستور

كنا نريد ان نتعاون اذن مع الجميع فى نطاق الوضع الموجود ، ثم بعد ذلك يشترك معنا الجميع فى اعداد خطوات الثورة ، بنفس حماسنا ، وبنفس فهمنا للثورات .. وبنفس رغبتنا فى تحرير هذا الشعب من كل قيوده .. وعندما تراجع رجال الاحزاب ورفضوا ان يثوروا مثلنا ، رأينا ان

نعيد النظر فى خططنا .. راينا ان نعتمد على انفسنا ، وعرفنا فى الحال ان الثورة لايمكن على الاطلاق أن تنجح بغير رجالها ، هم وحدهم الذين يمكنهم حمايتها والذودعنها وقطع الطريق على المتآمرين والمتربصين واعداء التطور .. لا ثورة بلا ثوار .. كان ذلك هو شعارنا بعد أن اكتشفنا مدى الخطأ الذى وقعنا فيه ، عندما مددنا أيدينا للجميع وطالبنا الجميع بأن يثوروا ، فارادوا ان يحكموا

ثم رأينا ان الدستور الذى يأخذ علينا اعداء الثـــورة اسقاطه .. يحمى النظام الملكي كما ذكرت ، ويحمى مالك الارض وسيد العباد .. وتناقشنا فترة ليست قصيرة ، حول تعديل المواد التى تتعارض مع خطوات الثورةالاولى.. القضاء على تاج محمد على ، وعلى تيجان بشوات مصر فى الريف ..

اللواء نجيب يعارض ..

لكن بعد أن درسنا المسألة برمتها وجدنا ـ وقد قررنا العمل بمفردنا كثوار لا كحكام ـ أن بقاء دستور ١٩٢٣ ليس فى مضمون الثورةعلى الاطلاق .. فهى ثورةاجتماعية قبل كل شيء .. ثورة تستهدف تغيير الوضع الاقتصادى وهذا أمر يتنافى مع الدستور ، وكذلك طرد الملك واسقاط النظام القائم امر لا يجيزه الدستور ايضا ، فكيف اذن نبقى عليه .. ومواده الباقية تحمى الاحزاب ورجالها ، الذين هم أعداء للثورة ، والذين بدأوا يتآمرون عليها !؟

وكان لا بد للثورة المصرية بعد يوليو أن تسقط الدستور ثم بعد ذلك تضع الثورة دستورا ينبع من حاجات الشعب لا من مصالح الحكام أو الطبقات المسيطرة على الاقتصاد وكل شيء.. فقد كان من اسس ثورتنا القضاء علىسيطرة راس المال وعلى جهاز الحكم ،وأعلن عن هذا المبدأ فىمنشورات

الضباط الاحرار قبل الثورة بزمن طويل ، ثم أعلنه مرة ثانية الرئيس جمال عبد الناصر منذ اسابيع ضمن مبادىء الثورة الستة .. فكيف كان اذن يمكننا الابقاء على الدستور وكثير جدا من مواده يتعارض مع اهداف الثورة المصرية النابعة من مصالح الطبقات الكادحة والعاملة والمتوسطة !!؟

وقد كان اللواء نجيب يعارض فى اسقاط الدستور مثل باقى الاحزاب والهيئات التى كانت تريد الحكم ولا تريد أبدا أية ثورة ، ثم مالبث نجيب أن وافق على راينا . تماما مثلما حدث عندما قررنا الغاء النظام الملكى ، فقد عارض اللواء نجيب فى هذا أيضا ثم مالبث ان عدل عن رايه ، واذكر انى ذهبت اليه يومها فى منزله .. ثم خرجت وعقدت مؤتمرا صحفيا فى خيمة الحرس امام المنزل وأذعت من هناك البيان

تلك كانت قصة اسقاط الدستور .. ففى مصر ثورة ولها اهداف اقتصادية واجتماعية وسياسية يقف الدستور كجدار عال امامها .. وهنا ــ أيضا ــ تمتد يد الثورة لتهدم الجدار .. ولتعد دستورا ينبع من فلسفتها .. دستورا يحمى الشعب فى عصر ما بعد الثورة ، ويحفظ للشعب كل كسب حصل عليه من اعدائه .. وقد كان دستور ١٩٢٣ يحمى مكاسب اعداء الشعب فقط !!


يا ربّ ...

رب ما أجل حكمتك ..
وما أعظم قدرتك ..
لك الحمد والنعماء ..
تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
وتعز من تشاء وتذل من تشاء ..
الهى لك الحمد والنعماء ..

فقد آتيت ملكك الشعب بأسره ، بعد أن كان بيد فرد وحده ، كفر واستعلى وقال أنا ربكم الأعلى ..

ثم شاءت ارادتك ، ونفذت كلمتك فخرج الأجنبى المستعمر ذليلا بليل ، وتطهرت الأرض المباركة الى الابد من نجسه وأعوانه ، ومن شره وعدوانه ..

فى هذه اللحظة القدسية المباركة ، أسألك يا الهى بحق عزتك وجلالك أن تنفخ فينا من روحك روحا ..

وان تشعلها يارب أملا وطموحا ..
وأن تجعلها يارب نارا ونورا
حتى نصبح يارب أهلا لعطيتك ..
أمناء على نعمتك ..
ظامئين والى الأبد الى رحمتك ..
وما رحمتك يارب الا حكمة ورشاد ..

حكمة يارب تجنب قومى الزلل ، وتنأى بهم عن الفرقة والحسد والأحقاد . .

فلقد كان هذا الشعب يعيش آمنا مطمئنا متوحد الكلمة سليم البنيان ، ابتلى على مر التاريخ بالغزاة والفاتحين ،

ولكن احدا من هؤلاء لم يغلبه أبدا على امره ، أو يسلبه عزة نفسه

ظل هذا الشعب يقاوم ويكافح ، وكانت أقسى مراحل كفاحه تلك التى كان يكافح فيها القرصان اللص الذى تسلل فى الوقت الذى يكافح فيه دعاة الفرقة وأشباه الزعماء من أبنائه . . .

هنالك فقط أحس الشعب بوطأة جراحه . .

فالقرصان اللص جاثم على الارض يستعبد ابناءها ويسلب خيراتها ، والزعماء من أبناء البلاد لاهون عنه بأمرهم ، قسموا البلاد شيعا واحزابا وعلموا الناس التنابذ والأحقاد

رأينا القرية الصغيرة ينقسم أبناؤها ، والعائلة الواحدة تقتل فروعها ، كل ذلك من أجل عرض زائل سموه السياسة وسموه الاحزاب وسموه الانتخاب ، وما هو فى حقيقته الا الجشع والحقد والحسد والكراهية والطمع والفساد

وهكذا راحت جهود الوطن هباء بيد الحكام من ابنائه ، وأصبح الناس وأمسوا فى يأس من الحال وجأروا اليك يارب بالشكوى وسألوك عن المآل

هنالك تداركتهم يارب رحمتك . . .

فاحفظ اللهم فى مستقبل الايام على قومى وحدتهم التى جعلت لهم من بعد ضعف قوة ، وأحالت بأسهم بينهم رحمة وعلى الأعداء نقمة . .

وما رحمتك يارب الا يدك التى تضعها فوق ايدينا . .

ومكابر من يقول ان ماحدث كان ممكنا أن يحدث من غير ان تكون يدك يا الهى فوق أيدينا . .

رأيناها ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ نصرا وتمكينا

ورأيناها يوم تهاوت حصون الظلم امامنا حصنا فى اثر حصن وكأنها بيوت من ورق او قصور على الرمال . .

خرج الملك مذعورا يتلفت وكل ما يطلبه هو النجاة . .
وانكشف امر الأحزاب والحزبية على مرأى ومشهد من كل العباد . .
وانتهى الى الأبد على أرضنا التضليل باسم الدين واستغلال السذج والبسطاء
ورحل بالامس عن أرضنا قرصان مغتصب ظل طوال خمس وسبعين سنة يخنق حريتنا ويشيع فى الارض الخلف والفساد
رأينا يدك يارب واحسسناها فى كل مامضى من أحداث . .
فهلا أكملت لنا يارب ما بدا ، وأتممت على قومى يارب نعمتك بيدك تظل فوق أيديهم حتى يقيموا البناء . .
رب . . .
انك تعلم ما نخفى وما نعلن ، وما يخفى عليك يارب من شيء فى الارض ولا فى السماء . .
فاهد اللهم راعينا جمالا بنيته ، ووفقه على قدر ماتعلم من اخلاص فى سريرته
واقم يارب على يديه بناء هذا الوطن صرحا للحق والخير والسلام
واملأ قلبى وأفئدة قومى دائما بالبشر والحب والرجاء

فهرس

وكلاء مجلات دار الهلال

سوريا ولبنان	:	شركة فرج الله للمطبوعات ـ مركزها الرئيسي بطريق الملكي المتفرع من شارع بيكو في بيروت صندوق بريد ١٠١٢ (الأعداد ترسل بالطائرة للشركة وهي تتولى تسليمها لحضرات المشتركين)
العــــــراق	:	السيد محمود حلمي ـ صاحب المكتبة العصرية ـ ببغداد
اللاذقيـــــة	:	السيد نخلة سكاف
مكة المكرمة	:	السيد هاشم بن علي نحاس ـ ص.ب ٩٧
البحـــرين	:	السيد مؤيد احمد المؤيد ـ مكتبة المؤيد ـ البحرين
ساحل الذهب	:	The Queensway Stores, P.O. Box 400. Accra, Gold Coast, B.W.A.
نيجـــريا	:	Mr. M.S. Mansour, 110, Victoria Street, P.O. Box 652, Lagos, Nigeria, W.C.A.
انجلترا	:	مكتب توزيع المطبوعات العربية Arabic Publications Distribution Bureau 7, Bishopsthorpe Road, Sydenham, London S.E. 26, England.
فرنســـــا	:	Etablissements Helbaoui, 29, Rue Saint-Augustin, PARIS-2°, FRANCE.
البـــرازيل	:	Dr. Michel H. Thomé, Pateo Do Colegio N° 3 3° Andar — Sala 9 SAO PAULO — BRASIL.

هذا الكتاب

لأول مرة يصدر كتاب شامل عن قصة الثورة كاملة بقلم أحد قادة الثورة.

ولا ريب أن سلسلة كتاب الهلال التي نشأت أثناء ولادة هذه الثورة، تفخر بأن تنشر في هذه الأيام هذا الكتاب الذي يتفق صدوره مع هذه الأعياد الوطنية الكبرى: عيد الجلاء، وعيد الدستور، وعيد الجمهورية، وعيد الذكرى الرابعة لقيام الثورة المصرية المباركة.

وقد مهد واضع الكتاب القائمقام أنور السادات لهذه القصة التاريخية بفصول عن الثورة والديمقراطية، ثم روى أحداث هذه الثورة منذ بدأت حتى تم [illegible] على الفساد وحققت لمصر العزة والكرامة.

[illegible] صفحات هذا الكتاب تكشف عن أهم حادث في تاريخ مصر الحديث، حادث [illegible] هذه الثورة المجيدة التي أخرجت مصر [illegible] ظلمات الاستعباد إلى نور الحرية، وأتاحت لها [illegible] عهدًا جديدًا تحقق فيه الجلاء التام والدستور [illegible] والإصلاحات الاجتماعية والعمرانية [illegible]

[illegible] قصة تاريخية وقصة قومية وقصة إنسانية [illegible] إنها [illegible] مصر الجديدة